

سلسلة المؤلفات العلمية (١٦)

إصداراتنا الرقمية (١١٤)

روضات الجنان في تهذيب اللسان

للأستاذ الدكتور

صلاح محمد أبو الحاج

عميد كلية الفقه الحنفي

بجامعة العلوم الإسلامية العالمية

عمان - الأردن

أنوار العلماء

مركز أنوار العلماء للدراسات

روضات الجنان.......

.....في تهذيب اللسان

روضات الجنان

في تهذيب اللسان

للأستاذ الدكتور صلاح محمد أبو الحاج
عميد كلية الفقه الحنفي
بجامعة العلوم الإسلامية العالمية
الأردن، عمان

مركز أنوار العلماء للدراسات


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على دربهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدّين.

وبعد:

فبعد أن يسرَّ الله تعالى فتح تخصص «الإصلاح والوفاق الأسري» في كلية الفقه الحنفية المباركة، وهو تخصصٌ فريدٌ، لا مثيل له في كلية أُخرى؛ لأنّه يَسعى إلى إخراج علم التزكية والتصوف بحلّة عصرية ودراسة أكاديمية، بحيث يكون هو السَّبيل الأكبر لحلِّ الإشكاليات الزّوجية، وتخريج مُصلحين شرعيين ضابطين لعلم التربية والعلوم الشّرعية، قادريين على تقديم استشارات أُسرية للأزواج والآباء والأولاد والأفراد.

فعامةُ المشاكل راجعة إلى عيوب النفس، فمتى استطعنا أن نُعالج مشاكل أنفسنا، فإننا نصبح قادرون على حلِّ أي مشكلة زوجيةٍ أو اجتماعيةٍ أو اقتصاديةٍ أو سياسةٍ أو تعليميةٍ أو شخصيةٍ، فكلُّ المشاكل عائدة للنُّفوس في أساسها.

ولذلك عُنينا بدراسة ما يتعلّق بالنَّفس البشرية بعدّة مساقات جامعية، حتى يَتمكن الدّارس من الإحاطة بها، وإدراك عيوبها، ويَقدر على التعامل معها.

وفي هذا المساق نتكلم عن اللسان وما يتعلَّق به من أحكام، حيث اعتمدت في عرضه على كبار علماء التزكية والتربية: كحجة الإسلام الغَزاليِّ في كتاب «إحياء علوم الدين» و«بداية الهداية» ورسائله، فعَمَدْتُ إلى «الإحياء» واختصرتُ ما وَرَدَ فيه فيما يتعلق بموضوعنا، ثمّ صرفت همتي إلى كتاب «الطريقة المحمدية» للبركلي، و«البريقة المحمودية» للخادمي فانتخبت منهما ما يَلزمنا، وأَضفت إليهما إضافات كبيرة من «قوت القلوب» لأبي طالب المكي و«روضة العقلاء» للتميمي و«حسن السمت» للسيوطي و«التزكية على منهاج النبوة» للدكتور معاذ حوى و«الرسول المعلم» لأبي غدة وغيرها من المصنفات التربوية النَّافعة.

وقسّمتُ الكتاب على تمهيد وفَصلين:

التَّمهيد: في فضل الصَّمت، بيَّنتُ فيه أنّه أنجع الطُّرق لمعالجة مَشاكل اللِّسان؛ لكثرة ما له من آفات، ويصعب التَّخلص منها، وبالصَّمت يتدارك عامةَ عيوب اللسان.

والفصل الأول: في آفات اللسان، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في آفات اللسان المحظورة أصالة، وهي ما تكون في نفسها ممنوعة، فينبغي تركُها والإعراضُ عنها، واحتوى على ستين آفة للسان، مقسّمةً على ثلاثةَ عشرةَ مَطلباً:

المطلب الأول: في ألفاظ الكفر.

والمطلب الثاني: في الكذب.

والمطلب الثالث: في الاستهزاء.

والمطلب الرابع: في بذاءة اللسان.

والمطلب الخامس: في الغناء وأمثاله.

والمطلب السادس: في المراء وأمثاله.

والمطلب السابع: في السؤال الفاسد.

والمطلب الثامن: في الخطأ في الكلام.

والمطلب التاسع: في مخالفة الأدب.

والمطلب العاشر: في الكلام وقت الذكر.

والمطلب الحادي عشر: في الحلف المحظور.

والمطلب الثاني عشر: في الغيبة والنَّميمة.

والمطلب الثالث عشر: متفرّقات لم تذكر فيما سبقه.

والمبحث الثَّاني: في آفات اللسان المحظورة تبعاً، وهي ما تكون في نفسها مباحةً، ولكن طرأ عليها المحظور لسبب ما كالمزاح في نفسه مباحٌ، لكن المبالغة به أو إلحاق الأذىٰ فيه بغيره يجعله محظوراً، وهو يشمل ثمان آفات.

والمبحث الثَّالث: آفات اللسان المحظورة سكوتاً، وهي ما يكون المحظورُ السُّكوت لا النُّطق، مثل: السكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه خمس عشرة آفة.

فكان المجموعُ ثلاثاً وثمانون آفة، وليس هذا حصراً لها، فهي في نفسها غير محصورة، ولكنها تنبيهٌ علىٰ فكرتها وكيفيتها وحكمها وطريق علاجها.

وأكثر مَن توسَّع في ذكرها هو البركوي في «الطريقة المحمدية»، فأوصلها إلىٰ تسع وثمانين، فاقتفيتُ أثره في ذلك، لكن أمكن دمج بعضها في بعض وإضافة أُخرىٰ إليها، فوصل العدد إلىٰ سَبَق، في حين نجد أنَّ الغَزاليَّ ذكر منها في «الإحياء» و«رسائله» عشرين آفة فقط، لكنها تُعَدُّ الآفات الأَهم والأبرز التي ينبغي الاعتناء بها.

والفصل الثاني: في وظائف اللسان، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: فيما يتعلق بالذِّكر، فهو أبرزُ الطُّرق وأجدرُها بعد العزلة والصَّمت في معالجة آفات اللسان والتَّحكم به، ويشتمل علىٰ ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قراءة القرآن.

والمطلب الثاني: الأذكار.

والمطلب الثالث: الدعاء.

والمبحث الثَّاني: فيما يتعلق بالكلام، وعرضتُ فيه صوراً مختلفة لمحاسن الكلام، فكان مشتملاً على خمسة مطالب:

المطلب الأول: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والمطلب الثاني: في الصدق.

والمطلب الثالث: في الحياء.

والمطلب الرابع: في الكلام المستحسن، ومنه: التحبب للآخرين، وإفشاء السلام، والكلام الطيب، والدعاء للمسلمين، والستر على المسلم، ومواساات المسلم، وتشميت العاطس، والنصيحة للمسلمين، والكلام المباح.

والمطلب الخامس: في التعلم والتعليم، ذكرتُ فيه أَساليب النبي ﷺ في التعليم، ووصل عددها إلى أربعين أُسلوباً، وبينتُ فيه أفضل وسائل التعلم، ووصلت إلى سبع وثلاثين وسيلة.

وفي الختام أرجو من الله تعالى أن أكون قدّمت لبنةً طيبةً في هذا الموضوع، يُمكن أن يبنى عليها ويستفاد منها، وهي أول دراسة مفردة في اللِّسان في حدودِ علمي شاملةٌ لقبائح اللِّسان ومحاسنُه، بحيث استوعبتُ الفكرة فيها، وإن كانت تحتاج إلى زيادة تحقيق وتحرير لمباحثه وإضافة لفوائده، فلا ينحصر العلم بكتاب ولا عالم، وهذه سنةُ الله تعالى في كونه، إلا أنني وقفتُ على دراسة خاصّة بآفات اللِّسان للمشوخي.

وبسبب شمول الكتاب لما يتعلَّق باللسان، فقد حَوَىٰ الدَّاء والدَّواء، وذكر حلولاً لأمراض اللسان علىٰ النحو الآتي:

١. العزلة فيما لا حاجة فيه للاختلاط، وهي أنفعُ الطُّرق، وأولاها بالاهتمام، وينصح للدارسين فيه البدء بتطبيقها في أثناء دراسة المساق؛ ليكون عادة عندهم فيما بعد.

٢.الصمتُ فيما لا حاجة فيه للكلام، وهو أولىٰ الطرق بعد بعد العزلة؛ لكثرة محاذير اللسان، وصعوبة النَّجاة من الوقوع فيها.

٣.تعلم الآفات ومعرفتها، فلا يُمكن العمل بدون علم، ومعرفتها أساس كبيرة للحذر منها وتجنبها والابتعاد عنها.

٤.الوقوف علىٰ دلائل قبحها سواء في القرآن أو السنة أو أقوال السلف والخلف من الصالحين، فإن لها الأثر الأكبر في التنفير منها، وإيجاد قدوة صادقة تبين حالها وتحذر منها.

٥.معرفة أسبابها وبواعثها وطرق علاجها من كلام أئمة الفَنِّ كالغَزاليِّ، فيكون نافعاً لمن أراد التخلص منها.

٦.بيان الحكم الفقهي لكلِّ آفة، وهذا مما انفردت به هذه الدراسة عن غيرها، بحيث يعرف هل الكراهة فيه تنزيهيةً أو تحريميةً بإثم أو إساءة فحسب أو حراماً، فتنزل كلَّ آفة منزلتها من القبح، فلا يُعامل المكروه التنزيهي، وهو خلاف الأولىٰ معاملة الحرام، ولا يُعامل المكروه التَّحريمي

بإساءة كالمكروه التحريمي بإثم، فيتجاوز في الأقلّ من التنزيه والإساءة ما لا يتجاوز في الإثم والحرام.

وهذا المبحثُ مختلطٌ جداً في كتب التَّصوف، وتعنيتُ الاهتمام به كثيراً؛ لما فيه من الفائدة الكبيرة جداً في تقدير حال كلِّ آفةٍ، وبيان خطرها وأثرها؛ لأنَّ الحكمَ مبنيٌّ على ذلك.

٧.تفصيل الكلام في قراءة القرآن والذكر، وهي أقوى الوسائل اللسانية في معالجة الآفات، فكلما أكثر من فعلها وأدائها كان أقدر التحكم بفسه والسيطرة على لسانه؛ لاعتماده على ربه سبحانه، فينبغي للطالب عند دراسة المساق أن يكثرَ من قراءة القرآن في كلِّ يوم.

ويُكثر من الذِّكر بعدة آلاف لكلِّ يوم، حتى تصبح معتادة في حياته، فلا يغفل لسانه فيما بعد عن ذكر الله تعالى في جميع أَحواله كما كان حال النبي ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه»[1].

ويحافظ على الأدعية الواردة في القرآن والسنة والسلف في أوقاتها وأحوالها المذكورة، حتى يتعوَّد على الالتجاء لله تعالى في كلِّ صغيرة وكبيرة، ولا يعتمدَ على نفسِهِ، ويتكل عليها، فهي مصيبةُ المصائب.

---

(١) في صحيح مسلم١: ٢٨٢.

٨. معرفة وظائف اللسان من الكلام الصَّادق والمباح والمستحسن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعلم والتعليم، بما يُغني عن غيره من الكلام المستقبح، فمَن عَوَّد نفسَه تحقَّقت له الكفاية به، واستغنىٰ عما لا حاجة له به بما يلحقه المؤاخذة الدنيوية والأخروية.

٩. العلم بأن صلاح اللسان تابع لصلاح القلب، فينبغي أخذ التدابير المناسبة لإصلاح قلبه، وهذا سيكون في مساق دراسي آخر.

١٠. المعرفة بأن تهذيب اللسان أمرٌ عمليٌّ لا نظري، كما هو الحال في علم التجويد، فيحتاج علىٰ الرِّياضة المستمرة والعمل الدوؤب ورفقة الصَّالحين الصَّادقين ومصاحبة شيخ يَلتزم معه بما له وعليه، والصَّبر الكبير علىٰ مجاهدة النفس، فهذا المادةُ النظريةُ معينةٌ ومساعدةٌ، وبدون تطبيق وعمل وصحبة لا تؤتي ثمارها، ولا يتحقق الغرض والمقصد في استقامة اللسان.

وموضوع اللسان لا غنىٰ لكل مسلم عنه، وينبغي أن يهتم به غاية الاهتمام؛ لأن عامة مشاكل النفس ترجع للقلب واللسان، فيكون الكلام عن اللسان كلاماً في شقٍّ هامٍّ من حياة الإنسان.

وقد نبَّه الله تعالىٰ علىٰ أنّ عامّةَ ما يَصدر من اللِّسان من أقوال لغوٌ لا عبرة بها، وحصره سبحانه في أنواع محددة تمثيلاً لا قصراً للتذكير بالإعراض عن أكثر الكلام، فقال تعالىٰ: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: ١١٤].

وهذا ما أشار إليه نبينا الكريم ﷺ، فبَيَّن أنّ العاقلَ من يكون حافظاً للسانه لا تاركاً له يقول ما يشاء، فلا يتكلَّم إلا فيما يعنيه بقدره؛ لأنّ الكلامَ جزءٌ من العمل، وهو محاسبٌ عليه.

فعن أبي ذر رضي الله عنه، قال ﷺ: «كان في صحف إبراهيم: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن تكون له ساعات: ساعة يُناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله، قلّ كلامه إلا فيما يعنيه»[1].

ومدارُ الكتاب على هذه المعاني، فمَن حقَّقها نجا، ومَن أهملها هلك وخسر.

وقد سمّيتُ هذا المجموع:

روضات الجنان
في تهذيب اللسان

---

(١) في صحيح ابن حبان٢: ٧٦.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم، وينفع به البلاد والعباد، ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الأستاذ الدكتور صلاح أبو الحاج

عميد كلية الفقه الحنفي

بجامعة العلوم الإسلامية العالمية

صويلح، عمان، الأردن

١٣ ـ ٢ ـ ٢٠٢١م

تمهيد: في فضل الصّمت:

إن من ينظر في الآفات الناتجة من اللسان وصعوبة التخلص منها؛ لامتزاج محاسنه بمساوئه، فلا تفترق إلا بجهد جهيد من تعلم ومجاهدة، فلا سبيل للنجاة منها حتى لا تردي صاحبها في المهالك إلا بالعزلة أو الصمت، قال حكيم: «الحكمة عشرة أجزاء: تسعة منها في الصمت، والعاشر: عزلة الناس»[(١)].

والعزلة الكاملة غير ممكنة؛ لما تحتويه من الآفات، ومنها:

١. التعليم والتعلم اللذان هما من أعظم العبادات لا يتحصلان إلا بالخلطة، والعزلة قبل تعلم الفروض عصيان.

٢. النفع والانتفاع، فإن الخلطة للاكتساب لأجل التصدق أفضل من العزلة؛ لأجل النوافل.

٣. التأديب والتأدب بكسر النفس وقهر الشهوات بتحمل أذى الناس، وهو أفضل من العزلة لمن يتهذب .

٤. الاستئناس والإيناس ، وذلك قد يكون حراماً كمجالس الغيبة

(١) ينظر: حسن السمت ص٧٣ ـ ١١٩.

واللهو، ومباحاً كالأنس بالمشايخ، ومستحباً كترويح القلوب، فإن القلوب إذا كرهت عميت، ومهما كان في الوحدة وحشة، وفي المجالس ترويح فهي في بعض الأوقات ربما تكون أفضل في حق بعض الناس.

٥. نيل ثواب كحضور الجنائز وعيادة المرضى.

٦. التواضع الذي هو أفضل المقامات، ولا يوجد في الوحدة.

٧. التجارب؛ إذ مجرد العقل غير كاف في مصالح الدين والدنيا[١].

فيمكن الاستدراك بالعزلة الناقصة، فلا يختلط بالناس إلا لحاجة من معيشة أو عبادة أو دعوة، قال البركوي[٢]: «ولا مخلص عن جميعها في هذا الزمان، إلا بالعزلة وعدم اختلاط الناس إلا في الجمعة والجماعات وضرورات المعاش والمعاد».

وهذه العزلة تعين على تقليل مساوئ اللسان ولا تزيلها، فكانت الحاجة إلى علاج آخر لهذه الأمراض اللسانية، وهو الصمت، فإنه أفضل دواء لهذا الداء، قال عمرو بن العاص ﵁: «الكلام كالدواء إن أقللت منه نفع، وإن أكثرت منه قتل»[٣].

وهذا ما أمر به خير البر ﷺ وحثَّ عليه ومدحه، فقال ﷺ: «مَن صَمَت

---

(١) ينظر: بريقة محمودية ٤: ٤٧.

(٢) في طريقة محمدية ٤: ٤٦.

(٣) ينظر: حسن السمت ص٧٣ـ ١١٩.

نجا»[١]، قال الغَزاليُّ[٢]: «إنَّ خَطَرَ اللِّسان عظيمٌ ولا نَجَاةَ من خطره إلا بالصَّمت»، وقال وهب بن منبه: «اجتمعت الأطباء على أن رأس الطب الحمية، واجتمعت الحكماء أن رأس الحكمة الصمت»[٣].

وكان أبرز طرق النجاة بالعزلة والصمت، فعن عقبة بن عامر ﵁ قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»[٤].

وكان المكافأة بالجنة لمن يحفظ لسانه، فعن سهل بن سعد الساعدي ﵁ قال ﷺ: «مَن يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة»[٥].

والمعاقبة بالنار لمن يهمل لسانه، فعن أبي هريرة ﵁ سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يَدخل الناس الجنة، فقال: تقوى الله وحسن الخلق، وسئل عن أكثر ما يدخل النار، فقال: «الأجوفان: الفم والفرج»[٦].

بل أكثر الأعضاء للولوج في النار إن ترك وظيفته وانشغل بمعاصي الله تعالى؛ إذ «اللسان خُلق لتكثر به ذكر الله تعالى، وتلاوة كتابه، وترشدن به

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بسند فيه ضعف، وقال: غريب، وهو عند الطبراني بسند جيد، كما في المغني٣: ١٠٨.

(٢) في إحياء علوم الدين٣: ١٠٨.

(٣) ينظر: حسن السمت ص٧٣ ـ ١١٩.

(٤) أخرجه الترمذي، وقال: حسن، كما في المغني٣: ١٠٩.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كما في المغني٣: ١٠٩.

(٦) أخرجه الترمذي وصححه وابن ماجه، كما في المغني٣: ١٠٩.

خَلَقَ الله تعالىٰ إلىٰ طريقه، وتُظهر به ما في ضميرك من حاجات دينك ودنياك.

فإذا استعملته في غير ما خُلِقَ له، فقد كفرت نعمة الله تعالىٰ فيه، وهو أغلبُ أعضائك عليك وعلىٰ سائر الخلق، ولا يكبُّ النَّاس في النَّار علىٰ مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»[1]، فعن معاذ بن جبل ﵁ قال ﷺ: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلىٰ يا نبي الله، فأخذ بلسانه، قال: كفّ عليك هذا، فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمُّك يا معاذ، وهل يكبُّ النَّاس في النَّار علىٰ وجوههم أو علىٰ مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»[2].

وكان حفظ اللسان سبباً لتحصيل ستر تعالىٰ، فعن ابن عمر ﵄ قال ﷺ: «مَن كَفَّ لِسَانَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ»[3].

وكان ضبطه الطريق الأوفىٰ للنجاة من مهالك الدنيا والقرب من الله تعالىٰ، فعن معاذ ﵁ قال يا رسول الله أوصني قال ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه، وعد نفسك في الموتىٰ، وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله، وأشار بيده إلىٰ لسانه»[4].

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٠٩.

(٢) في سنن الترمذي٥: ١٢، وقال: حسن صحيح، وسنن النسائي الكبرىٰ١٠: ٢١٤، وسنن ابن ماجة٢: ١٣١٤.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت بسند حسن، كما في المغني٣: ١٠٨.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني ورجاله ثقات، وفيه انقطاع، ، كما في المغني٣: ١٠٨.

وكان سكوته عن المعاصي عبادة وقربة لله تعالى، فعن صفوان بن سليم ﵁ قال ﷺ: «ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت، وحسن الخلق»[1].

وكان حفظه علامة ظاهرة على قوة الإيمان، فعن أبي هريرة ﵁: «مَن كان يُؤْمِنُ بِاللهِ واليوم الآخر فَلْيَقُلْ خيراً أو ليسكت»[2].

وكان كفُّ اللسان أيسر الأعمال، فيقدر كل أحد من غير مال وجه لمن أراد دخول الجنة، فعن البراء بن عازب ﵁ قال: «جاء أعرابي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فقال: دلني على عمل يدخلني الجنة، قال: أطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، فإن لم تطق، فكف لسانك إلا من خير»[3]، لكن رغم عدم وجود الكلفة المالية بهذا العبادة، فهي أصعب في نفسها على الناس من بذل المال إلا لمن جاهد نفسه، قال محمد بن واسع: «حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم».

وكان إمساك اللسان أبرز وسيلة للتغلب على الشيطان، فعن أبي سعيد ﵁، قال ﷺ: «اخْزُنْ لِسَانَكَ إلا من خير، فإنك بذلك تغلب الشيطان»[4].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلاً ورجاله ثقات، ، كما في المغني٣: ١٠٨.

(٢) متفق عليه، ، كما في المغني٣: ١٠٨.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد جيد، ، كما في المغني٣: ١٠٨.

(٤) أخرجه الطبراني في الصغير والمعجم الكبير وابن حبان في صحيحه، ، كما في المغني٣: ١٠٨.

وكان الإكثار من الكلام سبب لكثرة الذنوب، فعن عمر ﷺ: «مَن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به»[١].

وقد سلك السلف مسالك متعددة، لمنع أنفسهم من الكلام بغير حق، فكان أبو بكر الصديق ﷺ يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام، وكان يشير إلى لسانه، ويقول: هذا الذي أوردني الموارد.

وبالتالي كان اللسان مستحقاً للحبس والسجن، حتى لا يهلك صاحبه، قال ابن مسعود ﷺ: «والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان»؛ لأنه كالسبع لم تحبسه أكلك بإهلاكه لك، قال طاوس: «لساني سبع إن أرسلته أكلني».

فكان حفظ اللسان من صفات العاقل، قال وهبُ بنُ مُنبه: «حقٌّ على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه، حافظاً للسانه، مقبلاً على شأنه».

وكان فهم السليم للدين بضبط اللسان، وقال الحسن: «ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه»[٢].

وكان نصيب مَن تفكر بأن محاسب على قوله أن يقل كلامه، فعن عمر ابن عبد العزيز: «من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن عَدّ كلامه من عملِهِ قلّ كلامه إلا فيما يعنيه».

---

(١) رواه أبو حاتم بن حبان في روضة العقلاء والبيهقي في الشعب، ، كما في المغني٣: ١٠٨.

(٢) الآثار والأقوال السابقة مستفادة من إحياء علوم الدين٣: ١٠٨ وما بعدها.

وكان حال من يحفظ لسانه صلاح عمله وأمره، قال يونس بن عبيد: «ما من الناس أحدٌ يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله».

وسبب هذا الفضل الكبير للصمت كثرة آفات اللسان، فلا تثقل عليه، ولها حلاوة في القلب، وعليها بواعثٌ من الطبع ومن الشَّيطان، والخائض فيها قلَّما يقدر أن يمسك اللسان، فيطلقه بما يحبُّ ويكفه عما لا يحب، ففي الخوض خطر، وفي الصمت سلامة، فلذلك عظمت فضيلة هذا مع ما فيه من جمع الهمّ ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا، ومن حسابه في الآخرة، فقد قال تعالىٰ: {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد}[ق:١٨].

ويدل علىٰ فضل لزوم الصمت أن الكلامَ أربعةُ أقسام، قسمٌ هو ضرر محض، وقسمٌ هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسمٌ ليس فيه ضرر ولا منفعة.

أما الذي هو ضرر محض، فلا بُدّ من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر، وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر، فهو فضول، والاشتغال به تضييع زمان، وهو عين الخسران، فلا يبقىٰ إلا القسم الرابع، فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام، وبقي ربعٌ، وهذا الربعُ فيه خطرٌ؛ إذ يمتزج بما فيه إثمٌ من دقائق الرِّياء والتَّصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام

امتزاجاً يخفىٰ دركه، فيكون الإنسان به مخاطراً[١].

وقال المكي[٢]: «الصَّمت يلقح العقل ويعلم الورع ويجلب التقوىٰ، ويجعل الله تعالىٰ به للعبد بالتأويل الصحيح والعلم الرجيح مخرجاً، ويوفقه بإيثار الصمت للقول السديد والعمل الرشيد.

وقال ذو النون المصري: الخوفُ يقلقُ والحياءُ يُسكت.

وقال بعض العارفين: قد جُزِئ العلم علىٰ قسمين: نصفُه سكوت، ونصفه أن تدري أين تضعه.

وقال الضحاك بن مزاحم: أدركتهم وما يتعلمون إلا الصمت والورع، وهم اليوم يتعلمون الكلام.

قال بعضُ السلف: الصَّمتُ زين العالم وستر الجاهل.

وقال بعضُ السلف: تعلّم الصمت كما تتعلّم الكلام، فإن يكن الكلام يهديك، فإن الصَّمت يقيك، ولك في الصمت خصلتان تدفع به جهل مَن هو أجهل منك، وتعلم به علم من هو أعلم منك.

وقال بعض العلماء: الصَّمت نوم العقل، والنطق يقظته، وكلُّ يقظة تحتاج إلىٰ نوم، وما صمت عاقل قطّ إلا اجتمع عقله وحضر لبه.

وعن جماعة السلف: إنّ تسعة أعشار السلامة في الصمت.

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١١١.

(٢) في قوت القلوب١: ١٧١ ـ ١٧٣.

وقال الحسن: لسان المؤمن وراء قلبه إذا أراد أن يتكلم تفكر، فإن كان له تكلم، وإن كان عليه أمسك، وقلب المنافق على طرف لسانه أي كلّ شيء خطر بقلبه تكلم به، ولا يتوقف ولا ينثني»[1].

وقال الشافعي:

وجدت سكوتي متجرًا فلزمته ... إذا لم أجد ربحًا فلست بخاسر

وما الصمت إلا في الرجال متاجر ... وتاجره يعلو على كل تاجر

وقال أيضاً:

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الأقران[2]

وكان الصمت وصية الصحابة ﷺ لمن جاء بعده، فعن عقيل بن مدرك أنّ رجلاً قال لأبي سعيد الخدري ﷺ: أوصني، قال: عليك بالصمت إلا في الحق فإنك به تغلب الشيطان، وعن ميمون بن مهران، قال: جاء رجل إلى سلمان، فقال: أوصني، قال: لا تتكلم، قال لا يستطيع مَن عاش في الناس أن لا يتكلم، قال: فإن تكلمت فتكلم بحق أو اسكت.

وكانت السلامة بالسكوت، قال ابن مسعود ﷺ: يا لسان قل خيرًا تغنم، واصمت تسلم من قبل أن تندم.

---

(١) اختصرت هذه الأقوال من قوت القلوب ١: ١٧١ ـ ١٧٣.

(٢) ينظر: مقدمة حسن السمت ص٢٧.

وكان حفظ اللسان سبيلاً للمحبة بين الناس، قال علي ﷺ: الصمت داعية إلى المحبة.

وكان الصمت طريقاً لتحصيل الحكمة، قال عمر بن عبد العزيز: إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس فاقتربوا منه فإنه يلقي الحكمة.

وكان السكوت عبادة لراحة القلب وكثرة الفكر، قال سفيان: «طول الصمت مفتاح العبادة»، بل قدم على سائر العبادات، قال الفضيل بن عياض: «لا حج ولا جهاد ولا رباط أفضل من حفظ اللسان»؛ لأن طريقه شاقة وتحصيله يحتاج لجهد كبير، قال عبد الله بن أبي زكريا: «تعلمت الصمت عما لا يعنيني عشرين سنة، فما بلغت منه ما أردت».

وكان الصمت أفضل آداب النفس، قال عبد الله بن المبارك:

أَدَّبْتُ نفسي فما وجدت لها ... من بعد تقوى الإله من أدب

في كل حالاتها وإن قصرت ... أفضل من صمتها عن الكذب»[1].

وبالجملة إن حفظ اللسان من أهم المهمات وأعظم القربات؛ إذ هو ترجمان القلب الذي هو منظر الرب، فلا ينبغي للترجمان أن يتكلم إلا بقدر الحاجة وإلا فيستحق المعاتبة[2].

---

(١) هذه النقول استخلصتها من حسن السمت ص٧٣ـ١١٩.

(٢) ينظر: بريقة محمودية٣: ١٥٩.

الفصل الأول
آفات اللسان

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: آفات اللسان المحظورة أصالة.

والمبحث الثاني: آفات اللسان المحظورة تبعاً.

والمبحث الثالث: آفات اللسان المحظورة سكوتاً.

تمهيد:

لما كانت معالجة آفات اللسان من أَصعب ما يُبتلى به الإنسان، قال الغزاليُّ[١]: «وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان، فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه، وإنه أعظم آلة الشيطان في استغواء الإنسان».

فإنّ الشَّرعَ الحكيمَ تدرج بطرق تقويمه من عزلةٍ ثم صمتٍ ثم تهذيبٍ ثم تحسينٍ، ومرَّت العزلة والصمت في التمهيد، وسيكون عرض التَّهذيب في الفصل الأول في آفات اللسان، فتذكر كلُّ واحدةٍ؛ ليتم تهذيبها والتَّخلص منها، ويذكر في الفصل الثاني وظائف اللِّسان، حيث يُبين فيه ما يَنبغي أن يَنطق به اللسان، ويكون وسيلةً فعَّالة في معالجة مساوئ اللسان، وبهذا يتحقَّق قصد الشَّرع فيما يتعلَّق باللِّسان.

ويقارن هذا المراحل الأربعة اشتغال على القلب بالتصفية والسلامة؛ لأنه مرد أفعال الجوارح له، وهو الملك عليها، وللجوارح تأثير بالغ في القلب كذلك، لا سيما اللسان، حتى قالوا: «لا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»، قال الخادمي[٢]: «لا تعلم استقامة قلبه إلا باستقامة لسانه على طريق

---

(١) في إحياء علوم الدين٣: ١٠٨.

(٢) في بريقة محمودية٣: ١٥٨.

الاستدلال من الأثر إلى المؤثر، فعدم استقامة اللسان يدلُّ على عدم استقامة القلب، وإلا فالقلب أمير وسائر الأعضاء مأمور يعمل على نهج أمره، فلا تؤثر استقامة اللسان في استقامة القلب، بل الأمر على عكس، إلا أن يقال: إن ما رَسَخَ في اللِّسان قد يعود إلى القلب، كما قالوا في الذكر، فقد ينقاد القلب لما يتعود عليه اللسان».

وإنّ اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبه، فإنّه صغير جرمه، عظيم طاعته وجرمه؛ إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان.

وإن كلَّ ما يتناوله العلم يُعرَب عنه اللسان إما بحق أو باطل، ولا شيء إلا والعلم متناول له، وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء.

واللسان له الميدان رحب، فمَن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان، سلك به الشَّيطان في كلِّ ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ على مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حصائد ألسنتهم، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، ويكفُّه عن كلِّ ما يخشى غائلته في عاجله وآجله[1].

ولذلك سيكون عرض هذا الفصل في ثلاثة مباحث:

---

(١) ينظر: إحياء علوم٣: ١٠٨.

المبحث الأول: آفات اللسان المحظورة أصالة.

والمبحث الثاني: آفات اللسان المحظورة تبعاً.

والمبحث الثالث: آفات اللسان المحظورة سكوتاً.

❧ ❧ ❧

المبحث الأول
آفات اللسان المحظورة أصالة

وهذا المبحث أوسع مباحث الكتاب وأهمها، فهو يشمل على عامة الآفات، ففيه ستون آفة، هي أهم آفات اللسان، والأصل فيها الحظر من المنع والحرمة، وهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: التلفظ بالكفر:

* الآفة الأولى: كلمة الكفر اتفاقاً ـ والعياذ بالله تعالى ـ:

وهي التلفظ بإنكارُ شيءٍ معلوم في الدين بالضَّرورة أو سبُّ الذات الإلهية أو سبُّ النبي ﷺ.

ومعنى الضّرورة قال الكَشميري[1]: «ما علم كونه من دين محمد ﷺ بالضّرورة، بأن تواتر عنه واستفاض، وعلمته العامة: كالوحدانية، والنّبوة...، والبعث والجزاء، ووجوب الصلاة والزكاة، وحرمة الخمر ونحوها، سمّي ضرورياً؛ لأنَّ كلّ أحد يعلم أنَّ هذا الأمر مثلاً من دين النبي ﷺ ولا بُدّ، فكونها من الدين ضروري، وتدخل في الإيمان...».

---

(١) في إكفار الملحدين ص٢-٣.

وحكمه:

إن كان طوعاً من غير سبق لسان إحباط العمل كلِّه.

وأما في حالة الإكراه، فإن بالملجئ أعني تلف النفس أو العضو، ففيه رخصة للعذر والعزيمة عدمه، فإن قتل كان من أفضل الشهداء وإن كان بغيره مثل الضرب الشديد والحبس المديد وتلف المال، فلا يجوز أصلاً حتى لو تكلم في تلك الحالة صار كافراً ديانة وقضاء.

ثم لا يعود عمله بعد التوبة، فلا فرق بين من أسلم ابتداءً وبين من صدر منه الكفر ثم تاب في عدم الخير بل أشد منه؛ لأنه بسبب الإسلام تخلص عن جميع الآثار، بخلاف من صدر منه الكفر، فإن معاصيه لا تذهب بكفره حتى يجب عليه بعد التوبة قضاء ما فات في إسلامه من الفرائض والواجبات، فيجب عليه الحج بعد التوبة ثانياً إن كان غنياً ولو حج أولاً.

ولا يجب قضاء ما صلى وصام وزكّى قبل الردة في حال إسلامه بعد التوبة؛ للحرج والمشقة، ولعدم تقرره في ذمته وعدم بقاء سبب وجوبه بعد التوبة، وهو الوقت والشهود والنصاب، ويجب قضاء ما فات منها في حال إسلامه بعد التوبة؛ لأنّ المعصيةَ لا تذهب بالكفر، فيجب قضاء جميع فوائته المفروضة والواجبة.

وينفسخ النكاح بلا طلاق عند أبي حنيفة وأبي يوسف ﵄، فلا يلزم الحلّ بعد الثلاث خلافاً لمحمد ﵁ ممن تلفظ بالكفر رجلاً أو امرأة إلا أنها تجبر على النكاح بزوجها الأول خلافاً لمشايخ بلخ كأبي جعفر وأبي القاسم الصفار،

فلا تؤثّر ردة المرأة في فساد النكاح، ولا يؤمر بتجديد النكاح حسماً لهذا الباب عليهنّ.

فلو صدرت كلمة الكفر من المرأة تجبر على تجديد النكاح بعد التوبة مع زوجها، وإن صدرت من الرّجل تتخيَّر المرأة إن تاب.

ويحرم ذبيحته.

ويحل قتله، فدمه هدر لا تلزم الدية على قاتله، لكن الأولى أن لا يقتل قبل العرض والإباء، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال صلى الله عليه وسلم: «مَن بدل دينه فاقتلوه»[1].

ويجبر على التوبة بنحو الضرب والوجيع والحبس المديد، وتكون التوبة بالرجوع عما قاله لا مجرد الشهادتين، فلو كان كفره من إنكار فرضية الصلاة، يقول: رجعت من إنكاري ذلك[2].

* الآفة الثانية: ما فيه خوف الكفر:

وهو التلفظ بما لم يجزم الفقهاء بإيجابه كفراً، بل قالوا فيه خوف الكفر أو خيف فيه الكفر أو خطأ عظيم.

وحكمه:

أن يؤمر بالتوبة وتجديد النكاح احتياط؛ لاحتمال كونه كفراً[3].

---

(١) في صحيح البخاري٤: ٦١.

(٢) ينظر: بريقة محمودية وطريقة محمدية٣: ١٦٧.

(٣) ينظر: بريقة محمودية وطريقة محمدية٣: ١٦٨.

❊ الآفة الثالثة: ما فيه الكفر خطأ:

وهو التّلفظ بما يوهم الكفر.

فيكون تكلمه به خطأً نتيجة الجهل مثلاً: كأن يقول: علم الله تعالىٰ في كلِّ مكان لإيهامه كونه تعالىٰ في المكان(١)، واليمين بغير الله تعالىٰ علىٰ الصحيح مثل أن يقول: ورأس ابني أو جدي أو السلطان أو نحو ذلك.

وحكمه:

أن يؤمر بالتوبة والاستغفار فقط بدون تجديد النكاح(٢).

المطلب الثاني: الكذب:

❊ الآفة الرّابعة: الكذب بالقول:

وهو الإخبار عن الشيء على غير ما هو عليه في الواقع، وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب(٣).

---

(١) في الفصل في الملل والنحل٢: ١٠٣: «إن قول القائل متىٰ علم الله زيداً ميتاً سؤال فاسد بالضرورة؛ لأن متىٰ سؤال عن زمان وعلم الله تعالىٰ ليس في زمان أصلاً؛ لأنه ليس هو غير الله تعالىٰ، وقد مضىٰ البرهان علىٰ أن الله تعالىٰ ليس في زمان ولا في مكان، وإنما الزمان والمكان للمعلوم فقط».

(٢) ينظر: بريقة محمودية وطريقة محمدية٣: ١٦٨.

(٣) ينظر: طريقة محمدية٣: ١٦٩.

قال الغَزاليُّ[1]: «الكذبُ من أُمَّهات الكبائر، ثمّ إنَّك إذا عُرفت بذلك سقطت عدالتُك والثقةُ بقولك، وتزدريك الأعين وتحتقرك، وإذا أردت أن تعرف قبح الكذب من نفسك، فانظر إلى كذب غيرك، وعلى نفرة نفسك عنه، واستحقارك لصاحبه واستقباحك له.

وكذلك فافعل في جميع عيوب نفسك، فإنّك لا ترى قبح عيوبك من نفسك، بل من غيرك، فما استقبحته من غيرك يستقبحُه غيرُك منك لا محالة، فلا ترض لنفسك ذلك».

ومن دلائل قبحه:

كان موقعاً صاحبه في نار جهنم، قال أبو بكر الصديق ﵁: «قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام أول، ثم بكى، وقال: إِيَّاكُمْ والكذبَ فإنه مع الفُجُورِ وهما في النار»[2].

وكان محروماً من نظر الله تعالى، فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: « ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، شيخ زان، والإمام الكذاب، وعائل مستكبر»[3].

---

(١) في مجموع رسائله ص٣٨٩.

(٢) أخرجه ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة، وإسناده حسن، كما في المغني٣: ١٣٣.

(٣) أخرجه مسلم ي صحيحه، كما في المغني٣: ١٣٣.

وكان نوعاً من أنواع الخيانة، فعن سفيان بن أسيد ﷺ: قال ﷺ: «كَبُرَتْ خِيَانَةً أَن تُحَدِّثَ أَخَاكَ حديثاً هو لك به مصدق، وأنت له به كاذب»[1].

وكان وصفاً قبيحاً مذموماً عند الله تعالى، فعن ابن مسعود ﷺ، قال ﷺ: «لا يزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذّاباً»[2].

وكان واقعاً تحت التهديد بالعقاب الشديد، فعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ﷺ، قال ﷺ: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له»[3].

وكان معذباً في قبره بشدق فمه بكلوب من حديد، فسمرة بن جندب ﷺ، قال ﷺ: «رأيت كأن رجلاً جاءني، فقال لي: قم فقمت معه، فإذا أنا برجلين أحدهما قائمٌ، والآخرُ جالسٌ بيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس، فيجذبه حتى يبلغ كاهله، ثمّ يجذبه فيلقمه الجانب الآخر، فيمده، فإذا مدَّه رجع الآخر، كما كان فقلت للذي أقامني ما هذا فقال: هذا رجل كذاب يعذب في قبره إلى يوم القيامة»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب المفرد، وأبو داود، وضعفه ابن عدي، ورواه أحمد والطبراني من حديث النواس بن سمعان بإسناد جيد، كما في المغني٣: ١٣٣.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٣: ١٣٣.

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى، كما في المغني٣: ١٣٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كما في المغني٣: ١٣٣.

وهو من الصّفات التي تبرّأ النبي ﷺ منها، فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه، قال ﷺ: «لو أفاء الله عليّ نعماً عدد هذا الحصى لَقَسَمْتُهَا بينكم، ثم لا تَجِدُونِي بَخِيلًا ولا كذاباً ولا جباناً»[1].

وكان سبباً لتباعد الملائكة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال ﷺ: «إن العبد ليكذب الكذبة ليتباعد المَلَك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به»[2].

وهو من أعظم الخطايا، قال علي رضي الله عنه: «أعظم الخطايا عند الله، اللسان الكذوب، وشر الندامة ندامة يوم القيامة».

وكان تركه طريق الصالحين، قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «ما كذبت كذبة منذ شددت علي إزاري».

وكان تركه سبيلاً لنيل المحبة، قال عمر رضي الله عنه: «أحبكم إلينا ما لم نركم أحسنكم اسماً، فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقاً، فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة».

وكان طريق تحصيله شدة الإيمان بالله تعالى، قال ميمون بن أبي شبيب: «جلست أكتب كتاباً، فأتيت على حرف إن أنا كتبته زينت الكتاب، وكنت قد كذبت، فعزمت على تركه فنوديت من جانب البيت يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة».

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كما في المغني٣: ١٣٣.

(٢) أخرجه الترمذي، وقال: حسن غريب، كما في المغني٣: ١٣٣.

وينال فاعله أشد العذاب في النّار، قال الشعبي: «ما أدري أيهما أبعد غوراً في النار الكذاب أو البخيل»[١].

ومن صور الكذب:

١.الادعاء إلى غير أبيه بالانتساب: كادعاء أنه من أولاده ﷺ، وهو ليس كذلك.

٢.خلف الوعد إذا كان في نيته الخلف، وأما إذا كان في نيته الوفاء ولم يقدر على إنجازه، فليس بكذب.

٣.تحديث كلّ ما سمع بلا نسبة إلى قائله؛ لأنه يسمع عادة الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع لا محالة يكذب وإن لم يتعمد، لكن التعمد شرط الإثم[٢].

وحكمه:

إن كان عن عمد فحرامٌ قطعيٌّ، إلا في مواضع قليلة.

وإن لم يكن عن عمد فيرجى عفوه بدليل يمين اللغو؛ لقوله تعالى: {لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ}[البقرة: ٢٢٥]، وهي حلفه كاذباً يظنه صادقاً، كما إذا حلف أن في هذا الكوز ماء بناء على رؤيته وقد أريق ولم يعرف.

---

(١) هذا الآثار والأقوال مستفادة من إحياء علوم الدين٣: ١٣٣ وما بعدها.

(٢) ينظر: بريقة محمودية وطريقة محمدية٣: ١٧٨، كما في المغني٣: ١٣٩.

وحالات التّرخيص بالكذب:

إنّ الكذب ليس حراماً لعينه، بل لما فيه من الضَّرَرِ على المخاطَبِ أو على غيره، فإن أقلّ درجاته أن يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو عليه، فيكون جاهلاً، وقد يتعلق به ضررُ غيره، ورُبّ جهل فيه منفعة ومصلحة، فالكذب محصل لذلك الجهل، فيكون مأذوناً فيه، ورُبّما كان واجباً، قال ميمون بن مهران: الكذب في بعض المواطن خيرٌ من الصِّدق أرأيت لو أن رجلاً سعى خلف إنسان بالسَّيف؛ ليقتله فدخل داراً، فانتهى إليك، فقال: أرأيت فلاناً ما كنت قائلاً، ألست تقول: لم أره، وما تصدق به، وهذا الكذبُ واجبٌ.

فنقول الكلام وسيلةٌ إلى المقاصد، فكلُّ مقصودٍ محمودٍ يُمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً، فالكذبُ فيه حرامٌ، وإن أمكن التَّوصل إليه بالكذب دون الصدق، فالكذب فيه مباحٌ إن كان تحصيلُ ذلك القصد مباحاً، وواجبٌ إن كان المقصودُ واجباً، كما أنّ عصمةَ دم المسلم واجبةٌ، فمهما كان في الصدق سفك دم أمرئ مسلم قد اختفى من ظالم، فالكذب فيه واجب.

ومهما كان لا يَتِمُّ مَقْصُودُ الحرب أو إِصْلَاحُ ذات البين إلا باستمالة قلب المجني عليه إلا بكذب، فالكذب مباح، إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن؛ لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه، فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه، وإلى ما لا يقتصر على حدِّ الضرورة، فيكون الكذب حراماً في الأصل إلا لضرورة.

والذي يدلُّ على الاستثناء ما روي عن أم كلثوم قالت: «ما سمعت رسول الله ﷺ يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: الرجل يقول القول يريد به الإصلاح، والرجل يقول القول في الحرب، والرجلُ يحدِّثُ امرأته والمرأة تحدِّثُ زوجها»(١).

وعن أم كلثوم رضي الله عنها، قال ﷺ: «ليس بِكَذَّابٍ مَن أَصْلَحَ بين اثْنَيْنِ فقال: خيراً أو نمى خيراً»(٢).

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، قال ﷺ: «كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما»(٣).

وروي أن ابن أبي عذرة الدؤلي، وكان في خلافة عمر رضي الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن، فطارت له في الناس من ذلك أحدوثة يكرهها، فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله، ثم قال لامرأته: أنشدك بالله هل تبغضيني، قالت: لا تنشدني، قال: فإني أنشدك الله، قالت: نعم فقال لابن الأرقم: أتسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه، فقال: إنكم لتحدثون إني أظلم النساء وأخلعهن، فأسأل ابن الأرقم، فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة، فجاءت هي وعمتها، فقال، أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه، فقالت: إني أول مَن تاب وراجع أمر الله تعالى إنه

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كما في المغني٣: ١٣٩.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٣: ١٣٩.

(٣) أخرجه أحمد بزيادة فيه، وهو عند الترمذي مختصراً وحسنه، كما في المغني٣: ١٣٩.

ناشدني، فتحرجت أن أكذب، أفأكذب يا أمير المؤمنين، قال: نعم فاكذبي، فإن كانت إحداكن لا تحبُّ أحدُنا فلا تحدثه بذلك، فإن أقل البيوت الذي يبنى على الحبّ، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب.

وقال ثوبان ﵁: الكذبُ كُلُّهُ إِثْمٌ إِلَّا ما نَفَعَ به مسلماً أو دفع عنه ضرراً.

فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء، وفي معناها ما عداها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره.

أمّا ماله؛ فمثل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله، فله أن ينكره أو يأخذه سلطان، فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها، فله أن ينكر ذلك، فيقول: ما زنيت، وما سرقت، فعن عمر ﵁، قال ﷺ: «اجتنبوا هذه القاذورات، فمن ألم بشيء منها، فليستتر بستر الله»[1]، وذلك أنّ إظهار الفاحشة فاحشة أُخرى، فللرجل أن يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلماً، وعرضه بلسانه، وإن كان كاذباً.

وأما عرض غيره، فبأن يسأله عن سرٍّ أخيه، فله أن يُنكره، وأن يُصلح بين اثنين، وأن يُصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكلِّ واحدةٍ أنّها أحب إليه، وإن كانت امرأته لا تطاوعه إلا بوعدٍ لا يَقدر عليه، فيعدها في الحال تطيباً لقلبها، أو يعتذر إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به.

---

(١) أخرجه الحاكم، وإسناده حسن، كما في المغني٣: ١٣٩.

ولكن الحد فيه أن الكذب محذورٌ، ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور، فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر، ويزن بالميزان القسط، فإذا علم أن المحذور الذي يحصل بالصدق أشدُّ وقعاً في الشَّرع من الكذب، فله الكذب، وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق، فيجب الصدق، وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما، وعند ذلك الميل إلى الصدق أولى؛ لأن الكذب يُباح لضرورة أو حاجة مهمة، فإن شَكّ في كون الحاجة مهمة، فالأصل التحريم، فيرجع إليه.

ولأجل غموض إدراك مراتب المقاصد ينبغي أن يحترز الإنسان من الكذب ما أمكنه.

وكذلك مهما كانت الحاجة له، فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب، فأما إذا تعلق بغرض غيره، فلا تجوز المسامحة لحقّ الغير والإضرار به.

وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم، ثم هو لزيادات المال والجاه ولأمور ليس فواتها محذوراً، حتى إن المرأة لتحكي عن زوجها ما تفخر به، وتكذب لأجل مراغمة الضرّات، وذلك حرام، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: «سمعت امرأة سألت رسول الله ﷺ قالت: إن لي ضرة وإني أتكثر من زوجي بما لم يفعل أضارها بذلك، فهل علي شيء فيه؟ فقال ﷺ المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»[1].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٣: ١٣٩.

وكذلك الصبيُّ إذا كان لا يرغب في بالكتابة إلا بوعد أو تخويف كاذب، كان ذلك مباحاً نعم، وما روي أن ذلك يكتب كذباً، ولكن الكذب المباح أيضاً قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه، ثم يعفى عنه؛ لأنه إنما أبيح بقصد الإصلاح، ويتطرق إليه غرورٌ كبيرٌ، فإنه قد يكون الباعث له حظُّه وغرضُه الذي هو مستغن عنه، وإنما يتعلل ظاهراً بالإصلاح، فلهذا يُكتب وكلُّ مَن أتي بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد؛ ليعلم أن المقصود الذي كذب لأجله هل هو أهم في الشرع من الصدق أم لا، وذلك غامضٌ جداً، والحزم تركه إلا أن يصير واجباً بحيث لا يجوز تركه، كما لو أدى إلى سفك دم أو ارتكاب معصية.

كيف كان وقد ظَنَّ ظانون أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال، وفي التشديد في المعاصي وزعموا أن القصدَ منه صحيحٌ، وهو خطأ محض؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «مَن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1].

وهذا لا يرتكب إلا لضرورة، ولا ضرورة إذ في الصدق مندوحةٌ عن الكذب، ففيما ورد من الآيات والأخبار كفايةٌ عن غيرها[2].

(١) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٣: ١٣٩.

(٢) ما قرره الغزالي في إحياء علوم الدين٣: ١٣٩، وهو أفضل من حقق هذه المسألة، قال النووي في الأذكار ص٥٨٩: «وأحسنُ ما رأيتهُ في ضبطهِ، ما ذكرهُ الإمامُ أبو حامدٍ الغزالي في الإحياء».

وبالتالي لا يكون الكذب خاصاً بالثلاثة المذكورة في الحديث؛ لأنها تشتمل علىٰ علّةٍ، وهي ما دعا إليه غرضٌ صحيحٌ في درءِ مفسدةٍ أو جلب منفعة معتدٍّ بها، فمتىٰ وُجدت هذه العِلّة جاز الكذب فيه، ومما ألحقوا بهذه الثلاثة:

١. دفع ظلم الظالم: كمن أخفىٰ مسلماً عن ظالم يريد ظلمه أو أخفىٰ ماله، وسئل عنه وجب الكذب بإخفائه، وكذا نظائره.

٢. إحياء الحق، كما في خيار البلوغ للصغيرة التي زوجها غير أبيها وجدها تقول لزوجها في النهار: بلغت الآن وفسخت النكاح مع أنها بلغت بالليل، فأبيح لإحياء حقها.

٣. الوعد والوعيد الكاذبان للصبي إذ لم يرغب في الكتب وأعرض، فيجوز لمصلحة تعلمه.

٤. الإنكار لسر الغير؛ لئلا يفشي سرّه الذي أودع عنده؛ لأنّ صدور الأحرار قبور الأسرار.

٥. معصية نفسه؛ وذلك لأن إظهار المعصية معصية أخرىٰ.

٦. إنكار جنايته علىٰ غيره لتطييب قلب المجني عليه.

٧. إخفاء ماله ومال أخيه عن الظالم.

٨. إنكاره محبّة بعض نسائه أكثر من الأخرىٰ.

٩. تزيين كلامه لأخيه عند اعتذاره إليه.

والحاصل أن الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يُمكن تحصيله بغير الكذب، وإلا جاز الكذب، ثم إن كان المقصود مباحاً، فالكذب مباحٌ، وإن واجباً فواجب.

وكل محمود يمكن إيصاله بالصدق والكذب جميعاً، فالكذب فيه حرام؛ لأن إباحة الكذب إنما هي للضرورة، فإذن ليس فيه ضرورة، والضرورات تبيح المحظورات، وما أبيح للضرورة يتقدر بقدرها.

والأسلم أن لا يفتح هذا الباب إلا بقدر الضرورة؛ لئلا تتعوّد النفس بذلك، وأيضا فيه غرور كثير؛ إذ قد يكون الباعث حظه وغرضه، فليعلم هل المقصود أهم في الشرع من الصدق أو لا، فيزن أحدهما بالآخر، فأيهما أشد فيرجحه، وإن تساويا فيميل إلى جانب الصدق؛ إذ إباحة الكذب لضرورة أو لمهمة[1].

* الآفة الخامسة: الكذب بالحلف:

وهو اليمين الغموس، وهو الحلفُ على ماض كذباً عمداً؛ فإذا حلف على أمر قد مضى وهو كاذب فيه، ومتعمد للكذب كـ: والله ما فعلت كذا، عالماً بفعله[2].

وسمِّيت غَموساً؛ لأنَّها تغمس صاحبها في الذنب، ثُمَّ في النار، وقد ورد النهي عنها في أحاديث كثيرة، منها: قال ﷺ: «الكبائر: الإشراك بالله،

---

(١) ينظر: بريقة محمودية وطريقة محمدية٣: ١٧٩ـ ١٨٠.

(٢) ينظر: درر الحكام ٢: ٣٨.

وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغَموس»[١]، وعن عبد الله بن عمرو ﵄، قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما الكبائر؟ قال: الإشراك بالله، قال: ثُمَّ ماذا؟ قال: ثُمَّ عقوق الوالدين، قال: ثُمَّ ماذا؟ قال: ثُمَّ عقوق الوالدين، قال: ثُمَّ ماذا؟ قال اليمين الغَموس، قلت: وما اليمين الغَموس؟ قال: الذي يَقتطع مال امرئ مسلم هو فيها كاذب»[٢]، وقال ﷺ: «من حلف على يمين وهو فيها فاجر؛ ليقتطع بها مال امرئ مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان»[٣].

وحكمها:

استحقاق الإثم لفاعلها، ولا تجب فيها الكفّارة، إلا التوبة والاستغفار، قال ﷻ: {وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ} المائدة: ٨٩، حيث رُتِّبت الكفّارة على المعقودة، والغَموس غير معقودة[٤]، فالعقد يكون على المستقبل والغَموس في الماضي، وقال ﷺ: «خمس ليس لهن كفّارة: الإشراك بالله، وقتل النفس بغير حق، وبهت المؤمن، والفرار من الزحف، ويمين صبر يقطع بها مال امرئ مسلم»[٥]، وقال ابن مسعود ﵁: «كنا نعدُّ اليمين

---

(١) في صحيح البخاري ٦: ٢٤٥٧، وغيره.

(٢) في صحيح البخاري ٦: ٢٥٣٥ وغيره.

(٣) في جامع الترمذي ٣: ٥٦٩، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) ينظر: فتح باب العناية ٢: ٢٤٩ وغيره.

(٥) في مسند أحمد ٢: ٣٦١، ومسند الشاميين ٢: ١٨٧، ٢٠٠، ومسند الفردوس ٢: ١٩٧،

الغموس من الأيمان التي لا كفارة فيها»[1].

أما اليمين اللغو: وهو الحلف على ماضٍ كذباً ظناً؛ بأن يحلف على أمر في الماضي أو الحال، وهو يظن أنَّه كذلك، وليس كذلك، بأن قال: والله فعلت كذلك، وما فعل، وهو يظن أنَّه فعل، أو رأى شخصاً من بعيد فقال: والله إنَّه لزيد، يظنّه زيداً، وهو ليس كذلك[2]، فكل هذا لغو؛ لأنَّه لا اعتبار به.

وحكمها:

أنَّه لا إثم فيها؛ قال جل جلاله: {لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ} البقرة: ٢٢٥.

ومن دلائل قبحه:

كان من علامات فساد الزمان، فعن عمر رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «أحسنوا إلى أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب، حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد»[3].

وقال القاري في فتح باب العناية ٢: ٢٤٩: إسناده جيد.

(١) ينظر: فتح باب العناية ٢: ٢٤٩، وغيره.

(٢) ينظر: حاشية التبيين ٣: ١٠٧ وغيره.

(٣) أخرجه الترمذي وصحَّحه والنسائي في الكبرى، كما في المغني ٣: ١٣٩.

وكان له الأثر السيء على القلب، فعن عبد الله بن أُنيس، قال ﷺ: «ما حلف حالفٌ بالله، فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتةً في قلبه إلى يوم القيامة»[١].

وكان سبيلاً للفجور، فعن عبد الرحمن بن شبل، قال ﷺ: «إن التجار هم الفجار، فقيل: يا رسول الله أليس قد أحلّ الله البيع؟ قال: نعم، ولكنهم يحلفون فيأثمون، ويحدثون فيكذبون»[٢].

وكان سبباً للحرمان تكليم الله تعالى في الآخرة، فعن أبي ذر ﵁، قال ﷺ: «ثلاثة نفر لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يوم الْقِيَامَةِ ولا يَنْظُرُ إليهم الْمَنَّانُ بِعَطِيَّتِهِ والمنفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْفَاجِرِ والمسبل إزاره»[٣].

وكان طريقاً لنيل غضب الله تعالى، فعن ابن مسعود ﵁، قال ﷺ: «مَن حَلَفَ على يَمِينٍ بِإِثْمٍ لِيَقْتَطِعَ بِهِا مالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بغير حَقٍّ لَقِيَ اللهَ تعالى وهو عليه غضبان»[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي والحاكم وصحح إسناده، وفيه: «وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البائع الحلاف» أخرجه أحمد، واللفظ له، وفيه ابن الأحمس ولا يعرف حاله، ورواه هو والنسائي بلفظ آخر بإسناد جيد، وللنسائي من حديث أبي هريرة ﵁: «أربعة يبغضهم الله البياع الحلاف» الحديث وإسناده جي، كما في المغني٣: ١٣٩.

(٢) أخرجه أحمد والبيهقي والحاكم وقال: صحيح الإسناد، كما في المغني٣: ١٣٩.

(٣) أخرجه مسلم، كما في المغني٣: ١٣٩.

(٤) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٣: ١٣٩.

*** الآفة السّادسة: البهتان:**

وهو قوله على غيره ما لم يفعل حتى حيَّره في أمره وأدهشه.

وهو أشدُّ الكذب البهتان، وأشد البهتان شهادة الزور، قال تعالى: {وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ}[الحج: ٣٠][1].

فعن أبي بكرة رضي الله عنه، قال ﷺ وكان متكئاً: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، ثمّ قعد، وقال: ألا وقول الزور»[2].

ومن صوره: الافتراء على الله تعالى وعلى رسوله؛ لأنه يؤدي إلى هدم قواعد الإسلام وإفساد الشريعة والأحكام، قال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا} [الأنعام: ٢١]، وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ}[يونس: ٦٩]، وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه، قال ﷺ: «مَن حدَّث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[3].

ومن الافتراء على الله تعالى الإفتاء بغير علم، قال تعالى: {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ} [النحل: ١١٦].

---

(١) ينظر: بريقة محمودية وطريقة محمدية٣: ١٧١.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٣: ١٣٩.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كما في المغني٣: ١٣٩.

أما مَن أُفتي بغير علم، فإنّ إثمه على من أفتاه إن كان المفتي معروفاً بالفقه والثقة، ولم يكن خطأ في الاجتهاد، وإن لم يكن معروفاً فالإثم عليهما، أو كان معروفاً وكان خطأً في الاجتهاد فلا إثم، بل الأجر لازم.

وشرط توبة البهتان:

١.عزمه على تركه.

٢.استحلاله إن أمكن بكونه حياً حاضراً، ولا يؤدي إلى فتنة، وإلا فالدعاء والاستغفار له، والتضرع إلى الله تعالى رجاء أن يغفر الله تعالى.

٣.تكذيب نفسه عند السامعين لبهتانه[1].

* الآفة السابعة: التعريض:

وهو إرادة غير الظاهر المتبادر من الكلام كالتورية[2].

ونُقِلَ عنِ السَّلَفِ إِنَّ فِي المعارِيضِ مَنْدُوحَةً عنِ الكذب، قال عمر رضي الله عنه: أما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب، وإنما أرادوا بذلك إِذا اضْطَرَّ الإنسان إلى الكذب فأما إذا لم تكن حاجةٌ وضَرُورَةٌ فلا يجوز التَّعْرِيضُ ولا التَّصْرِيحُ جميعاً، ولكنّ التَّعْرِيضَ أَهْوَنُ[3].

---

(١) ينظر: بريقة محمودية وطريقة محمدية٢: ١٧٥.

(٢) ينظر: طريقة محمدية٣: ١٨٠.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٣٩.

ومن صور التّعريض:

١ .تقييد الكلام بلعل وعسى.

٢ .ذكر عدد أصغر داخل في أكبر، مثاله: اشتريت هذا بخمسة مثلاً، وقد اشتريته بستة؛ لأنّ القليل موجود في الكثير، فلا يكون كذباً، بخلاف العكس؛ لأن الكثير ليس بموجود في القليل.

٣.ذكر العدد كناية عن الكثرة، فلا يراد به خصوص العدد، بل يراد المبالغة، مثاله: دعوتك سبعين مرة أو مائة أو ألفاً، فلا يكون كذباً إذا لم يبلغ عدد دعوتك إلى أحد هذه، ولكن عدت تلك الدعوة بين الناس كثيرة(١).

٤ .التّعريض بلفظ يحتمل معنيي، مثاله: ما روي أَنَّ مطرفا دخَل على زياد فاستبطَأَهُ فتعلَّلَ بِمَرَضٍ، وقال: ما رَفَعْتُ جَنْبِي مُذْ فارقتُ الأمير إِلَّا ما رَفَعَنِي الله.

٥ .استعمال حرف «ما» وإرادة النفي للقائل، والسامع يفهم الإبهام، مثاله: قال إبراهيم: إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب، فقل: إن الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شيءٍ، فيكون قوله: ما حرف نفي عند المستمع وعنده الإبهام.

---

(١) ينظر: بريقة محمودية٣: ١٨٠

٦ .عدم الإجابة المباشرة عن السؤال لكن يفهم السامع أنه جواباً عن سؤاله، مثال: وكان إبراهيم إِذا طلبَهُ مَن يَكره أن يَخْرُجَ إليه وهو في الدَّارِ قال للجارية قولي له: أطلبه في المسجد، ولا تقولي له ليس ههنا، كيلا يكون كذباً.

٧. النفي لما أشير إليه، مثاله: كان الشعبي إذا طلب في المنزل هو يكرهه، خط دائرة، وقال للجارية: ضعي الأصبع فيها، وقولي ليس ههنا.

وحكمه:

يُكره بغير حاجةٍ، وجائزةٌ عند الحاجة، على أن لا يُكثر منها، فتسقط مروءته، وتفقد الثقة بكلامه؛ لأنها أفضل السُّبل للخروج من الكذب الصَّريح المُحرَّم.

قال الغَزالي[1]: «وهذا كله في موضع الحاجة، فأما في غير موضع الحاجة فلا؛ لأنّ هذا تفهيم للكذب، وإن لم يكن اللفظ كذباً، فهو مكروه على الجملة، نعم المعاريض تُباح لغرض خفيف كتطييب قَلْبِ الغير بالمزاح.

وأما الكذب الصريح كما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقى بتغريرهم بأن امرأة قد رغبت في تزويجك، فإن كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذاء قلب، فهو حرام، وإن لم يكن إلا لمطايبته، فلا يوصف صاحبها بالفسق، ولكن تركه أولى.

---

(١) في إحياء علوم الدين٣: ١٤٠.

وقد كان أهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب، قال الليث بن سعد: كانت عينا سعد بن المسيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينيه، فيقال له لو مسحت عينيك فيقول: وأين قول الطبيب لا تمس عينيك، فأقول: لا أفعل، وهذه مراقبة أهل الورع، ومَن تركه انسل لسانه في الكذب عند حدّ اختياره، فيكذب ولا يشعر».

*** الآفة الثامنة: الكذب في الوعد:**

وهو وعد باللسان بأمر لا يتم الوفاء به.

وحكمه:

يكره تحريماً كراهة إثم أن يعد مع قصده ومعرفته بعدم الوفاء.

ويكره تحريماً كراهة تنزيه أن يعدّ مع شكه في الوفاء به.

ويكره تنزيهاً الوعد إن كان ظاناً الوفاء، ولم يكن جازماً بذلك.

قال الغزالي(1): «إن اللسان سَبَّاقٌ إلى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء، فيصير الوعد خُلْفًا، وذلك من أمارات النِّفاق، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ} [المائدة:١].

وكان ابن مسعود ﵁ لا يَعِدُ وَعْدًا إلا ويقول: إن شاء الله، وهو الأولى.

---

(١) في إحياء علوم الدين٣: ١٣٢.

وإذا فهم مع ذلك الجرم في الوعد، فلا بُدَّ من الوفاء إلا أَن يُتَعَذَّرَ، فإن كان عند الوعد عازِمًا علىٰ أن لا يفي، فهذا هو النِّفاق، فعن ابن عمرو ﵁: قال ﷺ: «أربعٌ مَن كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومَن كانت فيه خِلّة منهنّ كانت فيه خِلّةٌ من نفاق حتىٰ يدعها: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا عاهدَ غدرَ، وإذا وُعد أَخلف، وإذا خاصم فجر»[1].

وهذا ينزل علىٰ عَزَمَ الخُلْفَ أو تَرَكَ الوفاء من غير عذر، فأما مَن عَزَمَ علىٰ الوفاء، فعَنَّ له عذرٌ مَنَعَهُ من الوفاء لم يكن منافقاً، وإن جَرَىٰ عليه ما هو صُورةُ النِّفاق، ولكن ينبغي أَن يحترز من صورة النفاق أيضاً كما يتحرَّزُ من حقيقتِه، ولا ينبغي أن يَجْعَلَ نَفْسَهُ معذوراً من غير ضرورة حاجزة».

المطلب الثّالث: الاستهزاء:

* الآفة التاسعة: السُّخرية:

وهي الاستِهَانَةُ والتَّحْقِيرُ والتَّنْبِيهُ على العُيُوبِ والنقائص على وجه يُضْحَكُ منه[2].

وهي تتضمن الاستصغار والاستخفاف[3].

---

(١) في صحيح مسلم١: ٨٧، وصحيح البخاري٣: ١٣١.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٣١.

(٣) ينظر: طريقة محمدية٣: ١٩٣.

وقد تكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة، وفيه معنى الغيبة، فعن عائشة رضي الله عنها: «حاكيت إنساناً فقال لي النبي ﷺ: والله ما أحب أني حاكيت إنساناً ولي كذا وكذا»(١).

وتارةً تكون بِأَنْ يضْحَكَ على كلامه إذا تَخَبَّطَ فيه ولم ينتظم أو على أفعاله إذا كنت مشوشة كالضحك على خطه، وعلى صنعته، أو على صورته وخلقته إذا كان قصيراً أو ناقصاً لعيب من العيوب، فَالضَّحِكُ من جميع ذلك داخل فِي السُّخرية المنهي عنها(٢)، فعن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه: «وعظهم ﷺ في الضّحك من الضرطة فقال: علام يضحك أحدكم مما يفعل»(٣).

ومن دلائل قبحها:

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ} [الحجرات:١١].

فمناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والأشكال ولا الأوضاع والأطوار التي عليها يدور أمر السّخرية غالباً، بل إنما هو الأمور الكامنة في القلوب، فلا يجترئ أحدٌ على استحقار أحد، فلعله أجمع

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وصححه، كما في المغني٣: ١٣١.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٣١.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٣: ١٣١.

منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالىٰ، فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالىٰ والاستهانة بمن عظمه الله تعالىٰ(١).

وقال ابن عباس في قوله تعالىٰ: {يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً}[الكهف: ٤٩]: إنّ الصغيرة التّبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك، وهذا إشارةٌ إلىٰ أنّ الضَّحك علىٰ النَّاس من جملة الذنوب والكبائر.

وكلُّ هذا يرجع إلىٰ استحقار الغير، والضحك عليه استهانة به واستصغاراً له، وعليه نَبَّهَ قوله تعالىٰ: {عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ} [الحجرات:١١]: أي لا تستحقرهُ استصغارًا، فلعلَّهُ خَيْرٌ منك، فعن أبي هريرة ﷺ، قال ﷺ: «كونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التقوىٰ هاهنا ـ ويشير إلىٰ صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم علىٰ المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه»(٢).

ولا يعرف مقام كلِّ واحدٍ منا عند الله تعالىٰ إلا الله تعالىٰ، فكيف يمكن تحقيره أحد وقد يعلوك بدرجات عند الله تعالىٰ، فعن أبي هريرة ﷺ، قال ﷺ: «رب أشعث، مدفوع بالأبواب لو أقسم علىٰ الله لأبره»(٣).

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود٨: ١٢١.

(٢) في صحيح مسلم٤: ١٩٨٦.

(٣) في صحيح مسلم٢٠: ٢٤.

فسبب التّحقير والاستهزاء بالغير هو الكبر الذي ابتلي به صاحبه، وهو يردي صاحبه في المهالك، فعن حارثة بن وهب الخزاعي ﵁، قال ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار: كل عتل، جواظ مستكبر»[1]، فعن ابن مسعود ﵁، قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[2].

وحكمها: يحرمُ في حقِّ مَن يتأذىٰ به، وأما مَن جعل نفسَه مسخرة ورُبّما فرح بأن يُسخر منه صناعة ولعباً كانت السُّخرية من جملةِ المزاح، وإنّما المُحرَّمُ استصغار يتأذَّىٰ منه المستهزأ به؛ لما فيه من التَّحقير والتهاون[3].

* الآفة العاشرة: الطّعن في الأنساب:

وهي التكلم في نسبه وإن كان ثابتاً، أو الانتقاص منه بسبب عدم شرفه.

حكمه:

يكره تحريماً؛ لما فيه من الإيذاء للمسلمين، ولأن التفاضل بين المسلمين بالتقوىٰ، قال تعالىٰ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات:١٣].

---

(١) في صحيح البخاري٦: ١٥٩، وصحيح مسلم٤: ٢١٩٠.

(٢) في صحيح مسلم١: ٩٣.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٣١، وبريقة محمودية٣: ١٩٣.

وعدَّ ابنُ حجر الهيتمي[١] الطَّعن في الأنساب الثابتة في ظاهر الشرع من الكبائر.

واستدل النوويُّ[٢] للمنع منه بقوله تعالىٰ: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} [الإسراء:٣٦]؛ إذ أنّه تكلّم بغير علم.

وهي من آثار الكفر والابتعاد عن الشريعة والتحاكم لغيرها، فعن أبي هريرة ﷺ: قال ﷺ: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة علىٰ الميت».

* الآفة الحادية عشرة: التعيير:

وهي الانتقاص من الآخرين بنسب أو مكان أو بلد أو مهنة أو فقر أو غيرها من الأمور التي يتمايز بها البشر.

والتعيير لغة: التوبيخ، والعامة تقول: عيره بكذا، والعار السّبة والعيب[٣].

---

(١) في الزواجر عن اقتراف الكبائر٢: ١٠٠.

(٢) في الأذكار ص٥٥٤.

(٣) ينظر: مختار الصحاح ص١٩٥.

ومن دلائل قبحه:

ما كان من اعتباره لَمزاً وطعناً في النفس، قال تعالى: {وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ} [الحجرات: ١١]: أي لا يعب بعضكم بعضاً، فإن المؤمنين كنفس واحدة أو لا تفعلوا ما تلمزون به، فإن من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه[١]. وكان التعيير للآخرين سبباً في فضيحة قائله، فعن ابن عمر ﵄، قال ﷺ: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم»[٢].

ويبتلى قائله بمثل ما عيّر به غيره واستهزأ به منه، فعن معاذ ﵁، قال ﷺ: «من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله»[٣].

وحكمه:

يكره تحريماً؛ لما يشتمل عليه من الإذاء للمسلمين، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} [الأحزاب: ٥٨].

---

(١) ينظر: بريقة محمودية٣: ٢٠٣.

(٢) في سنن الترمذي٤: ٣٧٨، وقال: حسن غريب، وصحيح ابن حبان١٣: ٧٥.

(٣) في سنن الترمذي٤: ٦٦١، وقال: حسن غريب.

المطلب الرّابع: بذاءة اللسان:

* الآفة الثانية عشرة: اللَّعْنُ:

وهو الطّردُ والإبعادُ من رحمة الله تعالى.

وهو مذمومٌ لحيوانٍ أَو جمادٍ أَو إِنسانٍ(١)، فعن سَمرة بن جُندب ﷺ، قال ﷺ: «لا تَلاعنوا بلعنةِ الله ولا بغضبه ولا بجهنم»(٢).

وشدَّد النبيُّ ﷺ في المنع من لعن الحيوان، حتى أمر صاحبه بإبعاده عقاباً لصاحبه على لعنه له؛ لأننا نحيا برحمة الله، فإن تخلينا عنها اللعن استحقينا العقوبة والجزاء، فعن عمران بن حصين رضي الله عنه: «بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذا امرأة من الأنصار على ناقة لها، فضجرت منها فلعنتها، فقال ﷺ: خذوا ما عليها وأعروها، فإنها ملعونة»(٣)، وعن أنس رضي الله عنه: «كان رجل مع رَسُولِ اللهَّ ﷺ على بعير فلعن بعيره فقال يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون»(٤).

ويَقْرُبُ من اللَّعْنِ الدُّعَاءُ على الإنسان بِالشَّرِّ حتى الدعاء على الظالم: كقول الإنسان مثلاً: لا صحح الله جسمه، ولا سلمه الله، وما يجري مجراه،

---

(١) ينظر: الأحياء٣: ١٢٣.

(٢) أخرجه الترمذي وأبو داود، قال الترمذي حسن صحيح، كما في المغني٣: ١٢٦.

(٣) أخرجه مسلم، كما في المغني٣: ١٢٦.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد جيد، كما في المغني٣: ١٢٦.

فإن ذلك مَذْمُومٌ[١]، فعن عائشة رضي الله عنها،: قال ﷺ: «مَن دعا على مَن ظلمَه فقد انتصر»[٢].

ومن دلائل قبحه:

ما كان من الحرمان من أن يكون اللاعن شفعياً وشاهداً يوم القيامة، عن أبي الدرداء ، قال ﷺ: «إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»[٣].

وكان اللعن مستحقاً على قائله، فعن الدرداء ، قال ﷺ: «إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لعن، فإن كان لذلك أهلاً، وإلا رجعت إلى قائلها»[٤]، قال الخادمي[٥]: «وحاصله أن دعاء أحد على أحدٍ بشيء من المكاره كالطرد من رحمة الله تعالى، فإن استحق المدعو عليه أصابه، فيستجاب في حقِّه وإلا فيستجاب في حقِّ الدَّاعي، فيصيبه فيلزمه أن مَن لا يستحقُّ الدعاء شرعاً لا يضرُّه ألبتة، بل يضرّ الداعي».

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٢٦.

(٢) في سنن الترمذي٥: ٥٥٤، وقال: حديث غريب، ومسند القضاعي١: ٢٤٢، ومصنف ابن أبي شيبة١٥: ٢٩٢.

(٣) أخرجه مسلم، كما في المغني٣: ١٢٣.

(٤) في سنن أبي داود٤: ٢٧٧، ومسند البزار١٠: ٢٤.

(٥) في بريقة محمودية٣: ١٩٩.

وكلُّ ما حولنا هي نعم مَنَّ الله تعالىٰ بها علينا، وبرحمته تعالىٰ ننتفع بها، فلا يجوز أن نذمَّ شيئاً مما خَلَقَ اللهُ تعالىٰ، كما سلوك النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط، كان إذا اشتهىٰ شيئاً أكله، وإن كرهه تركه»[١]، فكيف يصل بنا الحدُّ إلىٰ لعنه.

وكان تشبيه اللعن للمسلم بقلته، فعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه، قال ﷺ: «ومَن لعن مؤمناً فهو كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله»[٢].

وحكمُه:

يُكره كراهة إثم لمن لا يَستحقُّه.

وكذلك لعن من مات، إلا علىٰ من مات علىٰ الكفر، فعن عائشة رضي الله عنها، قال ﷺ: «لا تذكروا موتاكم إلا بخير»[٣]، وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه، قال ﷺ :«لعن المؤمن كقتله»[٤]، فالاشتغال بذكر الله أولىٰ، فإن لم يكن، ففي السّكوت سلامة.

ويُكره كراهة تنزيه لَمن استحقَّه، فيكون لعنه خلاف الأولىٰ، كلعن شخص معين وإن كان كان غير مسلم؛ لأنّ لعن الأعيان فيه خطر؛ لأنّ

---

(١) في صحيح مسلم٣: ١٦٣٢.

(٢) في صحيح البخاري٨: ١٥.

(٣) أخرجه النسائي وإسناده جيد، كما في المغني٣: ١٢٣.

(٤) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٣: ١٢٣.

الأعيان تتقلب في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله ﷺ، فإنّه يجوز أن يَعلم مَن يموت على الكفر.

وكذلك لعن الفرق المبتدعة كالقدرية والخوارج والروافض؛ لأن في لعن أوصاف المبتدعة خطرٌ؛ لأن معرفةَ البدعة غامضةٌ، ولم يرد فيه لفظٌ مأثورٌ، فينبغي أن يُمنع منه العوام؛ لأن ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعاً بين الناس وفساداً.

وكذلك مَن بان لنا موته على الكفر، جاز ذمُّه إن لم يكن فيه أذى على مسلم، فإن كان لم يجز، فعن علي بن ربيعة، قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة توجه من فوره إلى الطائف، ومعه أبو بكر ومعه ابنا سعيد بن العاص، فقال: أبو بكر: لمن هذا القبر؟ قالوا: قبر سعيد بن العاص، فقال: أبو بكر: لعن الله صاحب هذا القبر؛ فإنه كان يحاد الله ورسوله، فقال: ابنا سعيد: لعن الله أبا قحافة فإنه كان لا يقري الضيف، ولا يمنع الضيم، قال رسول الله ﷺ: إن سب الأموات يغضب الأحياء، فإذا سببتم المشركين فسبوهم جميعاً»[1].

قال الغَزاليُّ[2]: «والتفصيل فيه: أنَّ كلَّ شخص ثبتت لعنتُه شرعاً، فتجوز لعنته كقولك: فرعون لعنه الله، وأبو جهل لعنه الله تعالى، فعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال ﷺ: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة»[3]؛

---

(١) أخرجه أبو داود في مراسيله ص٣٤٥.

(٢) في إحياء علوم الدين٣: ١٢٣ بتصرف يسير.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٣: ١٢٥.

لأنه قد ثبت أنّ هؤلاء ماتوا على الكفر، وعرف ذلك شرعاً.

وأمّا شخصٌ بعينه في زماننا كقولك: زيدٌ لعنه الله تعالى، وهو يهوديٌّ مثلاً، فهذا فيه خطر، فإنّه رُبَّما يُسلم فيموت مقرَّباً عند الله، فكيف يحكم بكونه ملعوناً...

ودعا النبي ﷺ على جماعةٍ من الكفّار، فلما لم يعلم عاقبتهم، توقف عن الدعاء، فعن أنس رضي الله عنه: «دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا في أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحاً»[1]، ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله تعالى: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} [آل عمران:١٢٨][2]، يعني أنهم ربما يُسلمون، فمن أين تعلم أنهم ملعونون».

ويُباح لَمِن اتَّصَفَ بِصِفةٍ تُبعِدُهُ من اللهَّ تعالى، وهو الكفر والظلم والفسقة بأن نقول: لعنة الله على الظالمين ولعنة على الكافرين ولعنة الله على آكلي الربا، وينبغي أن يتبع فيه لفظ الشَّرع، فإن في اللعنة خطراً؛ لأنه حكم على الله تعالى بأنه قد أبعد الملعون، وذلك غيبٌ لا يطلع عليه غير الله تعالى، ويطلع عليه رسول الله ﷺ إذا أطلعه الله عليه.

الصّفات المقتضية للعن:

الكفر والبدعة والظلم والفسق، وللعن في كلِّ واحدة ثلاث مراتب:

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٣: ١٢٥.

(٢) أخرجه مسلم، كما في المغني٣: ١٢٥.

١ .اللعن بالوصف الأعم، كقولك: لعنة الله الكافرين والمبتدعين والفسقة.

٢ .اللعنُ بأوصاف أخصٍّ منه، كقولك: لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس.

٣ .اللعن للشخص المعين، وهذا فيه خطر كقولك: زيد لعنه الله، وهو كافر أو فاسق أو مبتدع.

وعلى الجملة، ففي لعن الأشخاص خطر فليجتنب، ولا خطر في السكوت عن لعن إبليس مثلاً فضلاً عن غيره، ولذلك لا يلعن يزيد، أو أن يقال: إنه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلاً عن اللعنة؛ لأنه لا تجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق، ويجوز أن يقال: قتل ابن ملجم علياً رضي الله عنه وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنه، فإن ذلك ثبت متواتراً، فلا يجوز أن يرمى مسلمٌ بفسق أو كفر من غير تحقيق[1]، فعن أبي ذر رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «لا يرمى رجل رجلاً بالكفر، ولا يرميه بالفسق، إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»[2].

* الآفة الثّالثة عشرة: الفحش:

وهو التَّعْبِيرُ عنِ الأُمُورِ المُسْتَقْبَحَةِ بالعبارات الصَّرِيحَةِ.

وتكون في كل ما يُخفى ويُسْتَحْيَا منه، فلا ينبغي أَن يذكر أَلفاظُهُ الصّريحة، فإنه فحش.

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٢٥.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٣: ١٢٣.

ومن صورها:

١ .ألفاظ الوقاع من نحو الذكر والفرج وما يتعلَّقُ بِه، وأكثر الفحش يجري فيها، فإن لأهل الفسادِ عباراتٍ صرِيحَةً فاحشةً يستعملونها فيه، وأهل الصَّلَاحِ يتحاشونَ عنها، بل يكنون عنها، ويدلّون عليها بالرموز، فيذكرون ما يقربها، ويتعلق بها، قال ابن عبَّاس ﵄: «إنّ الله حي كريمٌ يعفو ويَكْنُو، كَنَّىٰ باللَّمسِ عن الجماع».

٢ .التعبير عن قضاء الحاجة من البول والغائط ، فلا يستعمل لفظ التغوط والخراء وغيرهما، فينبغي الكناية عنها بقضاء الحاجة.

٣ .التعبير عن النساء، فيُستحسن في العادة الكناية عن النِّساء، فلا يُقال قالت زوجتك: كذا بل يقال قيل في الحجرة أو من وراء الستر أو قالت أم الأولاد، فالتَّلطفُ في هذه الألفاظ محمودٌ، والتَّصريحُ فيها يفضي إلىٰ الفحش.

٤ .التعبير عن عيوب يستحيا منها، فلا ينبغي أن يُعبَّر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير، بل يقال: العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه، فالتصريح بذلك داخل في الفحش، وجميع ذلك من آفات اللسان[1].

---

(١) ينظر: الإحياء في علوم الدين٣: ١٢٢.

وحكمه:

تُكره تحريماً كراهة إثم أو إساءةٍ أو كراهة تنزيهة بسبب تفات ألفاظها في الدَّلالة على القبح، قال الغَزاليّ[1]: «وهذه العبارات متفاوتة في الفحش، وبعضها أفحش من بعض وربّما اختلف ذلك بعادة البلاد، وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة، وبينهما درجات يتردد فيها».

والباعث عليها:

إما قصد الإيذاء، وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة أهل الفساد، والأدب أن يذكر بالكناية، وهو دأب الصالحين، بل دأب رب العالمين[2].

ومن دلائل قبحه:

ما كان من نهي الله تعالى عنها، وأنه غيرُ محبوب له تعالى، قال تعالى: {لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا عَلِيمًا. إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}[النساء: ١٤٨ـ ١٤٩]، وعن عبد الله بن عمرو ﵄، قال ﷺ: «إِيَّاكُمْ والْفُحْشَ فإن اللهَ تعالى لا يُحِبُّ الْفُحْشَ ولا التَّفَحُّشَ»[3]، وعن أسامة بن زيد ﵄، قال ﷺ: «إنّ الله لا

---

(١) في الإحياء٣: ١٢٢.

(٢) ينظر: الإحياء في علوم الدين٣: ١٢٢.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى في التفسير والحاكم وصححه، ورواه ابن حبان من حديث أبي هريرة ﵁، كما في المغني٣: ١٢٢.

يحب الفاحش المتفحش»[١].

وليس الفحش من صفات المؤمنين؛ لأنّه قبح، والمؤمن يتزين بالحُسن، فعن ابن مسعود ﵁، قال ﷺ: «ليس المؤمنُ بِالطَّعَّانِ ولا اللَّعَّانِ ولا الفاحش ولا البذيء»[٢].

وكانت البذاءة من النفاق، فعن أبي أمامة ﵁، قال ﷺ: «البذاء والبيان شعبتان من النفاق»[٣].

وكات الفحش خارجة عن أخلاق الإسلام، فعن جابر بن سمرة ﵁، قال ﷺ: إن الفحش والتفاحش ليسا من الإسلام في شيء، وإن أحسن الناس إسلاماً أحاسنهم أخلاقاً»[٤].

---

(١) أخرجه الطبراني، وإسناده جيد، كما في المغني٣: ١٢٢.

(٢) أخرجه الترمذي بإسناد صحيح، وقال: حسن غريب وصححه، وروي موقوفاً قال الدارقطني في «العلل»: والموقوف أصح، كما في المغني٣: ١٢٢.

(٣) أخرجه الترمذي وحسنه الحاكم، وصححه على شرطهما. يحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه، ويحتمل أيضاً المبالغة في الإيضاح حتى ينتهي إلى حدِّ التكلف، ويحتمل البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى، فإن إلقاء ذلك مجملاً إلى أسماع العوام أولى من المبالغة في بيانه؛ إذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس، فإذا أجملت بادرت القلوب إلى القبول ولم تضطرب، ولكن ذكره مقروناً بالبذاء يُشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يَستحي الإنسان من بيانه، فإن الأولى في مثله الإغماض والتغافل دون الكشف والبيان، أفاده الغزالي.

(٤) أخرجه احمد وابن أبي الدنيا بإسناد صحيح، كما في المغني٣: ١٢٢.

وكان الفاحش من شرّ الناس، فعن عائشة رضي الله عنها، قال ﷺ: «ائذنوا له، فبئس ابن العشيرة ـ أو بئس أخو العشيرة ـ، فلما دخل ألان له الكلام، فقلت له: يا رسول الله، قلت ما قلت، ثم ألنت له في القول؟ فقال: أي عائشة، إن شرّ النَّاس منزلة عند الله من تركه ـ أو ودعه الناس ـ اتقاء فحشه»[1].

وكان البذاءةُ أشدُّ قبائح اللسان، قال الأحنف بن قيس: «ألا أخبركم بأدوإ الداء اللسان البذي والخلق الدني، فهذه مذمة الفحش».

*** الآفة الرّابعة عشرة: السَّبُّ والشَّتم:**

وهي وصف غيرك بما لا يليق ولا يستحسن.

ومن دلائل قبحه:

ما كان من نهي الله تعالى عن سبّ آلة غير المسلمين، حتى لا يتذرعوا به إلى سبّ الله تعالى، قال تعالى: {وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُون}[الأنعام:١٠٨]

وكان منع النبي ﷺ من سبّ غير المسلمين؛ لعدم الفائدة منه، ولأثره السيء المسلم بترسيخ خلق اللؤم عنده، فعن محمد بن علي الباقر: «نهى رسول الله ﷺ عن أن تُسَبَّ قَتْلَى بدر من المشركين فقال: لا تَسُبُّوا هؤلاء، فإنّه

---

(١) في صحيح البخاري٨: ٣١.

لا يَخْلُصُ إليهم شيء مما تقولون وتُؤْذُونَ الأحياء ألا إنَّ البذاء لؤم»(١).

وكان اعتبار السباب فسق، فعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال ﷺ، قال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»(٢).

وكان من وصية النبي ﷺ لأصحابه ترك السبّ، فعن أبي جرير الهجيمي: قال أعرابي لرسول الله ﷺ أَوْصِنِي، فقال: عليك بتقوىٰ اللهَّ وإِن امْرُؤٌ عَيَّرك بشيءٍ يعلمه فيك، فلا تُعيِّره بشيءٍ فيه يكن وبَالُهُ عليه وأَجره لك ولا تَسُبَّنَّ شيئاً، قال: فما سَبَبْتُ شيئاً بعده»(٣).

وكان خارجاً عن رحمة الله مَن كان سبباً في لعن والديه بأن يَسُبَّ والدي غيره، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال ﷺ: «مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ وَالِدَيْهِ»(٤).

وكان من الكبائر التسبب بسب الديه، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال ﷺ: «من أكبر الكبائر أَن يسبَّ الرجل وَالِدَيْهِ قالوا: يا رسول اللهَّ كيف يَسُبُّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قال: يَسُبُّ أَبا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ الآخر أباه»(٥).

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا مرسلاً ورجاله ثقات وللنسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد صحيح: «إن رجلا وقع في أب للعباس كان في الجاهلية فلطمه» الحديث، وفيه: «لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا»، كما في المغني٣: ١٢٢.

(٢) في صحيح البخاري١: ١٩، وصحيح مسلم١: ٨١.

(٣) أخرجه أحمد والطبراني بإسناد جيد، كما في المغني٣: ١٢٢.

(٤) أخرجه أحمد وأبو يعلىٰ والطبراني بإسناد جيد، كما في المغني٣: ١٢٢.

(٥) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٣: ١٢٢.

وكان اعتبار النبي ﷺ السّباب من أمر الجاهلية، فعن أبي ذر ﵁: «كان بيني وبين رجل كلام، وكانت أمه أعجمية، فنلت منها، فذكرني إلى النبي ﷺ، فقال لي: أساببت فلاناً، قلت: نعم، قال: أفنلت من أمه، قلت: نعم، قال: إنك امرؤ فيك جاهلية»(١).

والباعث عليه:

إما قصدُ الإيذاء وإمَّا الاعتياد الحاصل من مخالطة الْفُسَّاقِ، وأهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب(٢).

وحكمه:

يُكره بقدر ما يتسبب به من الأذى، حتى يكون به الإثم، والأولى الصفح والتجاوز لمن وقع عليه السبّ، فعن أنس ﵁، قال ﷺ: «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك، وتعطي من منعك، وتصفح عمن شتمك»(٣)؛ لأنه شتمه لك وبال وضرره عليه، فعن جابر بن سليم ﵁، قال ﷺ: «وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك، فلا تعيره بما تعلم فيه، فإنما وبال ذلك عليه»(٤).

---

(١) في صحيح البخاري٨: ١٦.

(٢) ينظر: الإحياء٣: ١٢٢.

(٣) في مسند أحمد٢٤: ٣٨٣، والمعجم الكبير٢٠: ١٨٨.

(٤) في سنن أبي داود٤: ٥٦، ومسند أحمد٣٤: ٢٣٤.

وإن رَدّ عليه تلفَّظَ به من السِّباب كان رداً للاعتداءِ والظُّلم، فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «المُسْتَبَّانِ ما قالا، فعلى البَادِئِ منهما حتى يعتدي المظلوم»(١).

قال البركوي والخادمي(٢): «لو قال له يا خبيث الأحسن أن يكفّ عنه، ولو أجاب فقال له: لا بل أنت لا بأس، وفي «المنح» إن قال لغيره يا خبيث فجازاه بمثله جاز؛ لأنه انتصار بعد الظلم، وذلك مأذون فيه قال تعالى: {وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيل} [الشورى:٤١]، والعفو أفضل، قال تعالى: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ} [الشورى: ٤٠].

وأما إذا كانت الكلمة موجبة للحدِّ لا ينبغي أن يجيبه بمثلها تحرُّزاً عن إيجاب الحدِّ على نفسه.

ولو قال يا شارب الخمر، فقال: بل أنت فتكافآ لا يُعزران.

وهذا الإثم على البادئ فقط ما لم يعتد المظلوم في نحو: يا جاهل ويا أحمق مما يجوز فيه المقابلة.

وأما في نحو يا زان ويا لوطي مما لا يجوز فيه المقابلة مما يوجب الحد، فكلاهما آثم، وإن كان إثم المبتدئ أكثر؛ للتَّسبب والمباشرة، وفي «الفتاوى»: إن قال لآخر: يا زان، فقال: لا بل أنت يحدان.

(١) أخرجه مسلم، كما في المغني ٢: ٢٧٦.

(٢) في البريقة والطريقة ٣: ٢٠٠.

والأفضل للمعتدىٰ عليه الصبر مع العفو، إلا أن يؤدي إلىٰ زيادة فساد المعتدي، أو الدعوة إلىٰ القاضي، فيدعي موجبه ويجزيه تأديباً وتشفياً، أو المقابلة بنحو يا جاهل من جنس ما يجوز فيه المقابلة، فحينئذ يستوفي ظلامته».

وإن كان السّب للأحياء ممنوعٌ، فمَن باب أولىٰ في حقِّ الأَموات؛ لأنه ليس من صفات المؤمنين، فعن عائشة رضي الله عنها، قال ﷺ: «لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلىٰ ما قدموا»[1].

وحكمه من جهة التعزير من القاضي: فكلُّ لفظ ألحق الشين بالآخرين يُعزَّرُ قائله بالضرب الحبس أو غيرها علىٰ يراه القاضي، كما لو قال: يا فاجر أو يا يهودي أو يا نصراني أو يا مجوسي أو يا كافر أو يا مخنَّث أو يا ابن الفاسق أو يا ابن الفاجر أو يا ابن القحبة أو يا ابن الفاسقة أو يا ابن الخبيثة أو يا لص أو يا سارق، فإنَّه يعزّر في جميع ذلك.

وإن قال: يا فاسق أو يا لص أو يا سارق، وهو كذلك لم يعزر.

وإن قال: يا آكل الربا أو يا شارب الخمر، وكان يفعل ذلك لم يعزَّر، وإن لم يفعله عُزِّر[2].

---

(١) في صحيح البخاري٢: ١٠٤.

(٢) ينظر: الجوهرة٢: ١٦١.

وإن قال: يا حمار، يا خنزير، فيعزر إن كان المسبوب من الأشراف كالفقهاء والعلوية؛ لأنَّه يلحقهم الوحشة بذلك، وإن كان من العامّة لا يُعزَّر؛ لأنَّه ما ألحق الشين به للتيقن بنفيه؛ لأنَّ العربَ قد تتسمّى بهذه الأسماء، يقال: سفيان الثوري ودحية الكلبي[1].

* الآفة الخامسة عشرة: إطلاق الألقاب واستعمالها:

هو إطلاقُ لقبٍ سيءٍ ابتداءً على مسلم واستعماله.

وحكمه:

يُكره إطلاقُ لقب غير مناسب على مسلم ابتداءً أو مناداته به ولو وضعه غيرك، وتتفاوت الكراهة بقدر التأذي الواقع على المُلقب من تنزيهيةٍ إلى تحريمية بإساءة أو إثم.

وأما إن أصبحت حاجة له للتعريف فلا يكره، قال تعالى: {وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ}[الحجرات: ١١]: أي لا يدعوا بعضكم بعضا بلقب السوء، فإن النبز مختص بلقب السوء عرفاً، و{بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ} [الحجرات: ١١] ففي الآية دلالة على أن التنابز فسق، والجمع بينه وبين الإيمان مستقبح.

وأما إطلاق اللقب الحسن الذي يسرّ به الملقب به فمباح[2].

---

(١) ينظر: الهداية٥: ٣٤٧، والجوهرة٢: ١٦١.

(٢) ينظر: البريقة والطريقة٣: ٢٧٣.

المطلب الخامس: الغناء وأمثاله:

* الآفة السادسة عشرة: النياحة:

وهي رفع الصّوت بالندب بتعديد شمائل الميت ولو من غير بكاء[1].

فيكون باجتماع النساء للبكاء على الميت متقابلات، وتعداد محاسن الميت بلفظ النداء، إلا أنه يكون بلفظ الواو، وربما زيد فيه الألف والهاء مثل قولهم: وا رجلاه وا جبلاه وا انقطاع ظهراه، ونحوه[2].

ومن دلائل قبحها:

ما كان من النبيِّ ﷺ من النَّهي عنها، وأخذ البيعة من النِّساء على عدم فعلها، فعن أم عطية رضي الله عنها، قالت: «أخذ علينا النبي ﷺ عند البيعة أن لا ننوح...»[3].

وكانت من آثار الجاهلية، ويقع على فاعلتها عذابٌ شديد، فيكون لباسها القطران والجرب، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، قال ﷺ: أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال ﷺ: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها،

---

(١) ينظر: بريقة محمودية٣: ٢٠٤.

(٢) ينظر: تسلية أهل المصائب ص٤٧.

(٣) في صحيح البخاري٢: ٨٤.

تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب»[١]، يعني يسلط على أعضائها الجرب والحكة بحيث يغطي بدنها تغطية الدرع، وهو القميص[٢].

وكانت من أفعال غير المسلمين؛ لمخالفتها لاعتقاد وآداب الإسلام، فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «ثلاث من الكفر بالله: شق الجيب، والنياحة، والطعن في النسب»[٣].

وكان العذاب على الميت إن فعلت النياحة له بأمره، أو بتقصيره في تربية أولاده بحيث فعلوها؛ لبعدهم عن الدين؛ لعدم قيامه بواجبه اتجاههم، فعن ابن عمر ﵁، قال ﷺ: «إن الميت يعذب في قبره بالنياحة عليه»[٤]، أما إن فعلوا من أنفسهم بلا تقصير منهم، فلا يعذب الميت على ذلك؛ لقوله تعالى: {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ}[الأنعام:١٦٤].

وحكمه:

الحرمة لما فيها من:

أ. سخط لقضاء الله تعالى، وتأسّف على ما لا تدارك له، قال النَّوويُّ[٥]:

---

(١) في صحيح مسلم٢: ٦٤٤.

(٢) ينظر: تعليقات عبد الباقي٢: ٦٤٤.

(٣) في صحيح ابن حبان٤: ٣٢٦.

(٤) في سنن النسائي الكبرى٢: ٢٩٣.

(٥) في الأذكار ص٢٦٦.

«أجمعت الأمة على تحريم النياحة، والدُّعاء بدعوى الجاهلية، والدُّعاء بالويل والثبور عند المصيبة»، فعن ابن مسعود ﷺ، قال ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»[1].

ب. نغماتها وتأثيرها في تهييج الحزن والبكاء وملازمة الكآبة والحزن.

ج. الحزن على ما فات، قال تعالى: {لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ} [الحديد:٢٣].

ولو كان حزن الإنسان على تقصيره في أمر دينه، وبكاؤه على خطاياه والبكاء والتباكي لكان ممدوحاً[2].

* الآفة السّابعة عشرة: الشِّعر المذموم:

وهو شعر الغزل والبطالة، وهو ما فيه وصف النساء وحال المحبّ مع المحبوب أو مع عذاله من الوصل والهجر واللوعة والغرام ونحو ذلك[3].

وحكمه:

الكراهة إن كان فيه ما لا يحلّ من وصف للذكور والمرأة المعيّنة الحيّة، ووصف الخمر المهيج إليها، والحانات والهجاء لمسلم أو ذمي إذا أراد المتكلّم هجاءه، لا إذا أراد إنشاد الشعر للاستشهاد به أو ليعلم فصاحته وبلاغته.

---

(١) في صحيح البخاري٢: ٨١.

(٢) ينظر: الإحياء٢: ٢٧٦.

(٣) ينظر: رد المحتار ١: ٤٥ عن الريحانة للشهاب الخفاجي.

ويُكره ما يحل من الشعر إن ما داوم عليه وجعله صناعة له حتى غلب عليه، وأشغله عن ذكر الله تعالى وعن العلوم الشرعية؛ فعن سعد ابن أبي وقاص، قال ﷺ: «لأن يمتلئ جوف الرَّجل قيحاً خير من أن يمتلئ شعراً»[١]، فاليسير من ذلك لا بأس به إذا قصد به إظهار النكات واللطافات والتشابيه الفائقة والمعاني الرائقة، وإن كان في وصف الخدود والقدود، فإنَّ علماء البديع قد استشهدوا من ذلك بالأشعار لهذا القصد[٢]، قال الغزالي[٣]: «والشَّعرُ فحسنُه حسنٌ وقبيحُه قبيحٌ إلا أن التجردَ له مَذْمُومٌ».

وعن مسروق أنه سئل عن بيت من الشعر، فكرهه فقيل له في ذلك فقال: أنا أكره أن يوجد في صحيفتي شعر.

وسئل بعضُهم عن شيءٍ من الشِّعر، فقال: اجعل مكان هذا ذكراً، فإن ذكرَ الله تعالى خيرٌ من الشِّعر[٤].

ويُباح إنشاد شعر لا سخف فيه، وهو ما لا رقة ولا خفّة ولا استخفاف بأحد من المسلمين فيه، كذكر عوراته، والأخذ في عرضه[٥].

---

(١) في صحيح مسلم ٤: ١٧٦٩،وصحيح البخاري٥: ٢٢٧٩،وصحيح ابن حبان ١٩: ٩٣.

(٢) ينظر: رد المحتار ١: ٤٧، وغيره.

(٣) في الإحياء٣: ١٢٦.

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٢٦.

(٥) ينظر: الأشباه والنظائر ٤: ١٢٦، و الدر المختار ١: ٤٥-٤٨، وغيرهما.

ويُباح إذا خلا عن الكذب والرِّياء وهجو ما لا يجوز هجوه، بل يجب تعظيمه واحترامه، وعن ذكر الفسق ومدحه والتغني وآفات المدح، والاستكثار منه والتجرد له حتى يشغله عن بعض الواجبات والسنن[1].

وقلما يخلو عن هذه الآفات، قال تعالى في ذم الشعراء: {وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُون}[الشعراء: ٢٢٤] إلى آخر السورة {أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُون}[الشعراء: ٢٢٥] أي وادي الكلام {يَهِيمُون}[الشعراء: ٢٢٥] يذهبون {وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُون}[الشعراء: ٢٢٦][2].

ويُباح أن يكون فيه صفة امرأة مرسلة أو معينة وهي ميتة، بخلاف ما إذا كانت بعينها حية[3]؛ بدليل: قول كعب بن زهير رضي الله عنه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم:

وما سعادُ غداةَ البين إذ رحلوا ... إلا أغنَّ غضيضُ الطرفِ
تجلو عوارضَ ذي ظلم إذا ... كأنّه منْهَلٌ بالرَّاح معلولُ

وعن العجاج أنَّه سأل أبا هريرة رضي الله عنه، ما تقول في هذا؟

طاف الخيالان فهاجا سقماً ... خيال سلمى وخيال تكتما
قامت تريك رهبةً أن ... ساقاً بَخَنداةٍ[5] وَكَعْباً أدرما[6]

---

(١) ينظر: الطريقة المحمدية ٤: ٢٦.
(٢) ينظر: بريقة محمودية ٤: ٢٧.
(٣) ينظر: التبيين ٦: ١٤، وفتح القدير ٧: ٩: ٤٠٩، ورد المحتار ١: ٤٧-٤٨، وغيرهما.
(٤) في المستدرك ٣: ٦٧١، وسنن البيهقي الكبير ١٠: ٢٤٣، وغيرهما.
(٥) البخنداة: من النساء التامة. ينظر: فتح القدير ٢: ٤٣٩، وغيره.
(٦) الدرم: في الكعب أن يواريه اللحم فلا يكون له نتوء ظاهر. ينظر: فتح القدير ٢: ٤٣٩.

فقال أبو هريرة ﷺ: «كنا ننشد هذا على عهد رسول الله ﷺ فلا يعيبه»[١].

ومثل ذلك كثير عن الصحابة ﷺ؛ لأنَّ المرأة فيهما ليست معينة، فلولا أن إنشاد ما فيه وصف امرأة كذلك جائز لم تقله الصحابة ﷺ[٢].

قال الزَّيلعيُّ[٣]: "ولو كان في الشِّعر حِكَمٌ أو عبرٌ أو فقهٌ لا يكره".

وقال الغَزاليُّ[٤]: «وعلى الجملة، فإنشاد الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره»، فعن أبي بن كعب ﷺ، قال ﷺ: «إن من الشعر حكمة»[٥].

ويندرج تحت هذا النوع: الأناشيد الوطنية، والتعليمية، والتربوية، والمرققة للقلوب بذكر الله تعالى وذكر النبي ﷺ، وأمثال ذلك مما فيه نفع.

* الآفة الثّامنة عشرة: الغناء:

التغني بألفاظ محظورة شرعاً للرجال، وبمطلق الألفاظ للنساء أمام الرّجال الأجانب.

---

(١) في الكامل ٣: ١٧٩، وضعفاء العقيلي ٢: ٦٤، وتاريخ بغداد ١٢: ٢٦٦، وغيرها، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨: ١٢٨: رواه الطبراني عن شيخه رفيع بن سلمة ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

(٢) ينظر: فتح القدير ٧: ٤٠٩، وغيره.

(٣) في التبيين ٦: ١٤.

(٤) في الإحياء٣: ١٢٦.

(٥) في صحيح البخاري٨: ٣٤.

وحكمه:

يحرم الغناء مطلقاً في حق النساء إن كان سَمعه أجنبي، وإن لم يكن على مال أو لجمع الناس؛ لرفع صوتهنّ؛ لأنه فتنة، قال ابنُ الهمام[١]: «نعم هو من المرأة أفحش؛ لرفع صوتها، وهو حرام»: أي رفعها لصوتها، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، قال ﷺ: «يشرب ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها، يضرب على رؤوسهم بالمعازف والقينات، يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير»[٢].

ويحرم الغناء المحظور للرجال سواء للهو أو لجمع المال؛ لأنَّه يجمع الناس على ارتكاب كبيرة قال ابن الهمام[٣]: «نصّوا على أنَّ التغني للهو أو لجمع المال حرام بلا خلاف»، فإن لم تكن ألفاظه محظورة كان مباحاً، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «كان البراء بن مالك رضي الله عنه رجل حسن الصوت، فكان يرجز لرسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فبينما هو يرجز إذ قارب النساء، فقال له رسول الله ﷺ: إياك والقوارير، قال: فأمسك»[٤].

---

(١) في فتح القدير ٧: ٤٠٩.

(٢) في صحيح ابن حبان ١٥: ١٦٠، وموارد الظمآن ١: ٣٣٦، ومصنف ابن أبي شيبة ٥: ٦٨، والمعجم الكبير ٣: ٢٨٣، والتاريخ الكبير ١: ٣٠٤، وغيرها.

(٣) في فتح القدير ٧: ٤٠٩.

(٤) في المستدرك ٣: ٣٠٠، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

فإن تغنّىٰ الرجل بحيث لا يسمع غيره بل نفسه؛ ليدفع عنه الوحشة لا يُكره؛ فعن أنس بن مالك ﷺ: «أنَّه دخل علىٰ أخيه البراء ﷺ وهو مستلق واضعاً إحدىٰ رجليه علىٰ الأخرىٰ يتغنىٰ فنهاه، فقال: أترهب أن أموت علىٰ فراشي وقد تفردت بقتل مئة من الكفّار سوىٰ من شركني فيه النّاس»[1].

وشرائط إباحة الغناء لنفسه، هي:

١. **أن لا يكون للهو المجرد**، بل لغرض مُعتد به: كدفع الوحشة عن نفسه، أو لحداء الإبل، أو لحمل ثقيل، أو لسهولة قطع السفر، أو لتنويم الصبي وأمثاله.

٢. **أن لا يكون غناءً فاحشاً**، بتمطيط وتكسير يشابه المغنيين.

٣. **أن لا يكون في الكلام ما يكره أو يحرم** من الغيبة والاستهزاء، أو وصف امرأة معروفة حية.

٤. **أن يكون ذلك أحياناً من دون أن يفضي إلى ترك واجب أو إلى معصية أخرى**[2].

وسئل القاسم بن محمد عن سماع الغناء، قال: إذا ميز الله بين الحق والباطل يوم القيامة أين يقع الغناء، قيل: في حوز الباطل، قال: فأفت نفسك[3].

---

(١) في المستدرك ٣: ٣٣٠، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) ينظر: كشف العناء عن وصف الغناء ٣: ٢٣٥.

(٣) ينظر: رسالة المسترشدين ص١٢١.

وقال النّخعيُّ: الغناء ينبت النفاق في القلب.

وعن مجاهد: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ}[لقمان: ٦]، قال: الغناء[1].

المطلب السّادس: المراء وأمثاله:

* الآفة التاسعة عشرة: المِراء:

وهو طعن في كلام الغير واعتراض عليه بإظهار خلل فيه، إِما في اللفظ من جهة العربية صرفاً أو نحواً أو بلاغةً، أو في المعنى، أو في المتكلم بأن يقول هذا الكلام حقٌّ ولكن ليس قصدك منه الحق، وإنما أنت فيه صاحب غرض، وما يجري مجراه: كقولك لمن أمر بمعروف: ليس مرادك حقّاً، بل مرادك رياء أو سمعة[2].

وفي المراء إيذاءٌ للمخاطب وتجهيلٌ له، وطعنٌ فيه، وفيه ثناءٌ على النَّفس وتزكيةٌ لها بمزيدِ الفطنة والعلم، ثمّ هو مشوشٌ للعيش، فإنَّك لا تماري سفيهاً إلا ويؤذيك، ولا تماري حليماً إلا ويقليك ويحقد عليك، فعن أنس رضي الله عنه قال ﷺ: «مَن ترك الكذب، وهو باطلٌ، بَنَي له في ربض الجنّة، ومَن تركَ المراء، وهو محقّ، بَنَي له في وسطها، ومَن حَسُنَ خُلُقه بني له في أعلاها»[3].

---

(١) ينظر: قوت القلوب٢: ١٠١.

(٢) ينظر: البريقة والطريقة٣: ٢٠٦.

(٣) في سنن الترمذي٤: ٣٥٨، وحسنه.

ولا تَنْفَكُّ المُمَارَاةُ عن تهييج الغَضَبِ وحملِ المعترض عليه على أن يعودَ فيَنْصُرَ كلامَه بما يُمْكِنُهُ من حَقٍّ أو باطل، ويَقْدَحَ في قائله بِكُلِّ ما يُتَصَوَّرُ له، فيثور الشجار بين المتماريين[١].

ومن دلائل قبحه:

ما كان من نهي النبي ﷺ لما له من الآثار السيئة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال ﷺ: «لا تُمَارِ أَخَاكَ ولا تُمَازِحْهُ ولا تَعِدْهُ موعداً فتخلفه»[٢].

وكان من كمال الإيمان ترك المراء وإن كان على حق؛ لما فيه من الموبقات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاح، والمراء وإن كان صادقاً»[٣].

وكان سبيلاً لجهل العالم وطريقاً للشيطان عليه، وقال مسلم بن يسار: «إياكم والمراء، فإنّه ساعة جهل العالم، وعندها يبتغي الشيطان زلته».

وكان سبباً لقسوة القلب، قال مالك: «المراء يقسي القلوب، ويورث الضغائن».

وكان موصلاً لخسارة الصديق، قال ابنُ أبي ليلى: «لا أُمَارِي صاحبِي فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه».

---

(١) ينظر: الإحياء٣: ١١٧.

(٢) أخرجه الترمذي، كما في المغني٣: ١١٧.

(٣) في مسند أحمد١٤: ٣٧١، والمعجم الأوسط٥: ٢٠٨.

وكان طريقاً لتحصيل الآثام، قال أبو الدرداء ﷺ: «كفى بك إثماً أن لا تزال ممارياً».

وكان من محظورات تعلم العلم، قال عمر ﷺ: «لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث، لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به، ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه، ولا رضا بالجهل منه».

وعلاجه:

فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله والسَّبُعية الباعث له على تنقيص غيره، فإن علاج كل علة بإماطة سببها.

والمواظبة على المراء تجعله عادة وطبعاً، حتى يتمكن من النّفس ويعسر الصّبر عنه، وروي أن أبا حنيفة قال لداود الطائي: لم آثرت الإنزواء قال: لأجاهد نفسي بترك الجدال، فقال: احضر المجالس واستمع ما يُقال، ولا تتكلم، قال: ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدةً أشدُّ عليَّ منها، وهو كما قال، لأن مَن سمع الخطأ من غيره، وهو قادر على كشفه يَعسر عليه الصبر عند ذلك جداً[1].

وحكمه:

يحرم إن كان لتحقير الغير، وإظهار مزية الكياسة، وكمال الذكاء لنفسه،

---

(١) ينظر: الإحياء٣: ١١٧.

بخلاف لو كان لإظهار الصّواب والدلالة ما هو الحق في الواقع، فليس من الآفات، بل من المناظرة.

وينبغي للمؤمن إذا سمع كلاماً إن كان حقّاً أن يصدقه، وإن كان باطلاً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين أن يسكت عنه.

وإن كان متعلقاً بأمور الدين يجب إظهار البطلان في ذلك الكلام للمتكلم أو للناس، والإنكار إن رجا القبول من المتكلم أو من الغير؛ لأنه نهي عن المنكر[١]، قال الغَزاليُّ[٢]: «الواجب السُّكُوتُ أَوِ السُّؤَالُ فِي مَعْرِضِ الِاسْتِفَادَةِ لا على وجه العناد والنكارة أو التَّلَطُّفُ في التَّعْرِيفِ لا في مَعْرِضِ الطعن».

* الآفة العشرون: الجدال:

وهو ما يتعلَّقُ بإظهار المذاهب وتقريرها[٣]، أو عبارة عن قصد إِفْحَامِ الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه، ونسبته إلى القصور والجهل فيه[٤].

وعلم الجدل: هو علم باحث عن الطريق التي يقتدر بها على إبرام أي وضع أريد وعلى هدم أي وضع كان، وهو من العلوم العقلية، لكنه من فروع علم الأصول[٥].

---

(١) ينظر: البريقة والطريقة٣: ٢٠٦.

(٢) في الإحياء٣: ١١٧.

(٣) ينظر: طريقة محمدية٣: ٢٠٨.

(٤) ينظر: الإحياء٣: ١١٧.

(٥) ينظر: بريقة محمودية٣: ٢٠٨.

والباعث عليه:

التَّرَفُّعُ بإظهار العلم والفضل والتَّهَجُّمِ على الغير بإظهار نقصه، وهما شهوتان باطنتان للنفس، قويتان لها.

وإظهار الفضل فهو من قبل تزكية النفس، وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء، وهي من صفات الربوبية.

وتنقيض الآخر فهو من مقتضى طبع السَّبُعيّة، فإنه يقتضي أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه، وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان.

وإنّما قوتهما المراء والجدال، فالمواظب على المراء والجدال مقوٍّ لهذه الصّفات المهلكة، وهذا مجاوز حدَّ الكراهة، بل هو معصيةٌ مهما حصل فيه إيذاء الغير[1].

ومن دلائل قبحه:

ما كان منه في الإيصال لطريق الضلال بعد الهداية، فعن أبي أمامة ﵁، قال ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ أَنْ هَدَاهُمُ اللهُ تعالى إلا أوتوا الجدل بعد هدى كانوا عليه»[2].

وكان طريقاً للتنقل من مذهب إلى مذهب، فخشي عليه الفتنة في دينه، وقال عمر بن عبد العزيز ﵁: «من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل».

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١١٧.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي أمامة وصححه، كما في المغني٣: ١١٧.

وكان سبباً لمقتك العلماء للمجادل، قال: «يا بني لا تجادل العلماء، فيمقتوك».

وكان بلا فائدة وخير للإسلام وللمسلمين به، قال مالك: «ليس هذا الجدال من الدّين في شيء».

وحكمه:

يحرم إن قصد بالجدل تخجيل الخصم وإظهار فضله نفسه، قال تعالى: {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا}[غافر: ٤].

وإن قصد إظهار الحق، وهو نادر فجائز، بل مندوب إليه أو واجب، فالتفاوت على تفاوت الأغراض والوقائع[1]، قال تعالى: {وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: {وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[العنكبوت: ٤٦].

وأكثر ما يغلب الجدال في المذاهب والعقائد، وينبغي للإنسان أن يكفَّ لسانه عن أهل القبلة وإذا رأى مبتدعاً تلطف في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال، فإذا عرف أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه[2].

---

(١) ينظر: طريقة محمدية٣: ٢٠٨.

(٢) ينظر: الإحياء٣: ١١٧.

* الآفة الحادية والعشرون: الخصومة:

وهي لجاج وعناد في الكلام ليستوفى به مال أو حق مقصود، وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضاً، بخلاف المراء فإنه طعن في كلام الغير بإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير، وإظهار مزية الكياسة، فالمراء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق، وبخلاف الجدال فإنه عبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها[1].

ومن دلائل قبحه:

ما كان من اعتبار المخاصم بباطل أبعض الناس لله تعالى، فعن عائشة رضي الله عنها قال ﷺ: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»[2]، وقال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَّ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ. وَاللهُّ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَّ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ. فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ. وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} [البقرة: ٢٠٤ـ ٢٠٦].

وكان ما ورد من الثواب في طيب الكلام، قال تعالى: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً} [البقرة:٨٣]؛ إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار الموافقة، ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله إما تجهيل وإما تكذيب، فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه فقد جهَّله أو كذَّبه، فيفوت

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١١٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كما في المغني٣: ١١٨.

به طيب الكلام، فعن هانيء أبي شريح ﷺ، قال ﷺ: «يوجب الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام»(١).

وكان حرماناً من صدقة الكلمة الطيبة، فعن أبي هريرة ﷺ، قال ﷺ: «الكلمة الطيبة صدقة»(٢)، وعن عدي بن حاتم ﷺ، قال ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ ولو بِشِقِّ تَمْرَةٍ فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة»(٣).

وكان فيه تضييع للبرِّ، قال عمر ﷺ: «البِرُّ شيءٌ هَيِّنٌ وجهٌ طليقٌ وكلامٌ لَيِّنٌ».

وكان سبيلاً للتحاقد، قال بعضُ الحكماء: «الكلام اللَّيِّنُ يغسل الضَّغائنَ المستَكِنَّةَ في الجوارح».

وكان فيه التودد والإحسان للآخرين بما يرضي الله تعالى، قال بعض الحكماء: «كُلُّ كلام لا يُسْخِطُ رَبَّكَ إلا أنك تُرْضِي بِهِ جَلِيسَكَ، فلا تكن به عليه بخيلاً، فإنّه لعلّه يُعوِّضُك منه ثوابَ المُحسنين».

وهذا كلُّه في فضل الكلام الطيب، وتُضادُه الخصومة والمراء والجدال واللجاج، فإنه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصَّدر(٤).

---

(١) أخرجه الطبراني بإسناد جيد، كما في المغني٣: ١١٨.

(٢) أخرجه مسلم، كما في المغني٣: ١١٨.

(٣) متفق عليه، كما في المغني٣: ١١٨.

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١١٨.

وحكمه:

يحرم إن كان مبطلاً، أو خاصم بغير علم أنه محقّ أو لا، أو مزج بالخصومة كلمات مؤذية لا يحتاج إليها في نصرة الحجّة وإظهار الحقِّ، أو كانت الخصومة لقهر الخصم وكسره فقط لا لأخذ الحق.

وإن خلا عن هذه الأمور، وهو نادرٌ فجائزٌ؛ لاستيفاء حقِّه، والرجل مأمور بعدم إضاعة حقه(١).

قال الغزالي(٢): «المظلوم الذي يَنْصُرُ حُجَّتَهُ بطريق الشَّرْعِ من غير لَدَدٍ وَإِسْرَافٍ وزيادة لجَاجٍ على قدر الحَاجَةِ، ومن غير قَصْدِ عِنَادٍ وإِيذَاءٍ فَفِعْلُهُ ليس بِحَرَامٍ، ولكن الأولى تَرْكُهُ ما وَجَدَ إليه سبيلاً، فَإِنَّ ضَبْطَ اللِّسَانِ في الخصومة على حد الاعتدال مُتَعَذِّرٌ، والْخُصُومَةُ تُوغِرُ الصَّدْرَ وَتُهَيِّجُ الغَضَبَ وإذا هاج الغضب نُسِيَ المتنازع فيه، وبقي الحقد بين الْمُتَخَاصِمَيْنِ حتى يَفْرَحَ كُلُّ وَاحِدٍ بِمَساءَةِ صاحبه وَيَحْزَنَ بِمَسَرَّتِهِ، ويطلق اللِّسَانَ فِي عِرْضِهِ، فمن بَدَأَ بِالْخُصُومَةِ فقد تَعَرَّضَ لهذه المحذُوراتِ وأقلُّ ما فيه تَشْوِيشُ خاطره حتى إنّه في صلاته يَشْتَغِلُ بمحاجة خصمه، فلا يبقى الأمر على حَدِّ الواجب.

فالخصومة مبدأُ كُلِّ شَرٍّ وكذا المراء والجداء، فينبغي أن لا يَفْتَحَ بابه إِلَّا لِضَرُورَةٍ، وعند الضرورة ينبغي أن يَحْفَظَ اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ عن تَبِعَاتِ الْخُصُومَةِ، وذلك مُتَعَذِّرٌ جداً فمَن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من

---

(١) ينظر: طريقة محمدية٣: ٢٠٩.

(٢) في الإحياء٣: ١١٩.

الإثم، ولا تذمُّ خصومته إلا أنّه إن كان مستغنياً عن الخصومة فيما خاصم فيه؛ لأنّ عنده ما يكفيه، فيكون تاركاً للأولى، ولا يكون آثماً، نعم أقلُّ ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام».

وبالجملة فعليه عند الخصومة الضرورية طيب الكلام والرِّفق في أداء المرام بلا تغليظ ولا تشديد ولا خشونة ولا عبوسة كما قال تعالى: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً} [البقرة: ٨٣][1].

المطلب السّابع: السّؤال الفاسد:

* الآفة الثانية والعشرون: السؤال للمال بغير حق:

وهي سؤال المال والمنفعة الدنيوية من غير حق له فيها.

وحكمه:

يحرم إلا عند الضرورة: كالفقر وقوة الحاجة وغيره؛ لأنَّه يفترض على كل مؤمن أن يدفع الهلاك عن نفسه ما أمكنه ولو كان بالسؤال، وقال بعض الناس: بأنَّ السؤال رخصة لو تركه لا يأثم؛ لأنَّه بالسؤال يلحقه الذل، وإذلال نفسه حرام كإهلاكها، فقد ابتلي بين شرين فيختار أهونهما، وهو السؤال[2].

---

(١) ينظر: بريقة محمودية٣: ٢١٠.

(٢) ينظر: شرح ابن ملك على التحفة ق١٢٣/ ب.

والضّرورة التي تبيح السؤال أن لا يقدر على الكسب للمرض أو الضعف من نحو الهرم والكبر، ولا يكون عنده قوت يوم؛ لأنه آخر الكسب؛ لأنَّه يذل نفسه بغير ضرورة(١).

وأما مَن كان له قوت يوم، بل قوت أيام كثيرة وتصدق له الآخر بلا سؤال، يُباح له الأخذ والقبول ما لم يملك نصاب الأضحية(٢).

ومن دلائل قبحه:

ما كان من اعتبار السؤال ذل، وهو بلاء لا تطيقه النفس، فعن حذيفة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه، قالوا: وكيف يذل نفسه؟ قال: يتعرض من البلاء لما لا يطيق»(٣).

وكان السائل يوم القيامة ذليلاً مهاناً، فعن عمر رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله، وليس في وجهه مُزعة لحم»(٤): أي قطعة: معناه يأتي يوم القيامة ذليلا لا وجه له عند الله تعالى(٥).

---

(١) ينظر: المنحة السلوك ٣: ٣٠٩

(٢) ينظر: الهدية ص٢٥٨.

(٣) في سنن الترمذي ٤: ٥٢٢، وحسنه، وسنن ابن ماجة ٢: ١٣٣٢، ومسند أحمد ٥: ٤٠٥.

(٤) في صحيح مسلم٢: ٧٢٠.

(٥) ينظر: تعليق محمد عبد الباقي٢: ٧٢٠.

وكانت المسألة سبباً في كدح وجه الرجل وجرحه حتى لا يبقى له وجه، فعن سمرة ﷺ، قال النبي ﷺ: «المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه، فمَن شاء أبقى على وجهه، ومَن شاء ترك، إلا أن يسأل الرجل ذا سلطان، أو في أمر لا يجد منه بدا»(١): أي أن جميع المسائل سبب لكدوح الوجه وجروحه يوم القيامة، إلا مسألة الذي هو مصرف بيت المال حقه منه، ومسألة رجل في حق أمر لا بد منه لاضطراره(٢).

وكان السؤال يستكثر به من حجارة جهنم المحماة عليه، فن عليٍّ ﷺ، قال ﷺ: «مَن سأل مسألة عن ظهر غنى استكثر بها من رضف جهنم قالوا: ما ظهر غنى؟ قال: عشاء ليلة»(٣).

وكان السؤال دالاً عدم المروءة إن لم يكن أهلاً له ، فعن أبي هريرة ﷺ، قال ﷺ: «إن الصدقة لا تحل لغني ولا لذي مرة سوي»(٤).

* الآفة الثالثة والعشرون: سؤال العوام عن دقائق العقائد:

وهو سؤال العوام عن كنه ذات الله تعالى وصفاته وكلامه، وعن الحروف أهي قديمة أم محدثة، وعن قضاء الله وقدره.

---

(١) في سنن أبي داود٢: ١١٩، وسنن النسائي الكبرى٣: ٨٠، وصحيح ابن حبان٥: ١٠٠.

(٢) ينظر: بريقة محمودية٣: ٢٢٥.

(٣) في مسند أحمد٢: ٤٠٨، والمعجم الأوسط٧: ١٣٢، وقال المقدسي في الأحاديث المختارة٢: ١٤٧: إسناده حسن.

(٤) في صحيح ابن حبان٨: ٨٤، ومسند أحمد١٤: ٤٨٣.

والجواب على العوام الاشتغال بالعمل بما في القرآن إلا أن ذلك ثقيل على النفوس، والفضول خفيف على القلب، والعامي يَفْرَحُ بالخوض فِي العلم؛ إذ الشَّيْطَانُ يُخَيِّلُ إليه أنك من العلماء وأهل الفضل، ولا يزال يُحَبِّبُ إليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر، وهو لا يدري، وكلُّ كبيرة يرتكبُها العامي فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته.

وإنما شأن العوام الاشتغال بالعبادات، والإيمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات، وسوء أدب منهم يستحقون به المقت من الله تعالى، ويتعرضون لخطر الكفر.

وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك، وهو موجبٌ للعقوبة، وكُلُّ مَن سَأَلَ عن علم غامض ولم يبلغ فَهْمُهُ تلك الدَّرَجَةَ فهو مَذْمُومٌ، فإنه بالإضافة إليه عاميّ.

وخوض العوام في حروف القرآن يُضاهي حال من كتب الملك إليه كتاباً ورسم له فيه أموراً، فلم يشتغل بشيء منها، وضيع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث، فاستحق بذلك العقوبة لا محالة، فكذلك تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهي قديمة أم حديثة، وكذلك سائر صفات الله سبحانه[1].

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٠٨.

وحكمه:

يكره فيما نفع فيه للسائل ولا حاجة له به أو يخالف الأدب أو يلحق مضرّة بالسائل وفتنة أو يكون للتسلية.

ومن دلائل قبحه:

ما كان كونه سبباً لهلاك الأمم وضياعها، فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ما نهيتكم عنه، فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم»[1].

وكان النَّبيُّ ﷺ يغضب من كثرة السُّؤال، والسُّؤال فيما لا نفع فيه، فعن أبي موسى ﵁، قال: «سئل النبي ﷺ عن أشياء كرهها، فلما أكثر عليه غضب، ثم قال للناس: سلوني عما شئتم قال رجل: من أبي؟ قال: أبوك حذافة، فقام آخر، فقال: من أبي يا رسول الله؟ فقال: أبوك سالم مولى شيبة، فلما رأى عمر ﵁ ما في وجهه قال: يا رسول الله، إنا نتوب إلى الله تعالى»[2].

وكانت كثرة السؤال من المنهيات الشرعية؛ لما فيه من البلاء والفتنة، فعن المغيرة ﵁، قال ﷺ: «نهى رسول الله ﷺ عن القِيلِ وَالْقَالِ وَإِضَاعَةِ الْمَالِ وكثرة السؤال»[3].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٣: ١٠٨.

(٢) في صحيح البخاري١: ٣٠.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٣: ١٠٨.

وفي قصة موسى عليه السلام تَنْبِيهٌ على المَنْعِ من السُّؤَالِ قبل أَوَانِ اسْتِحْقَاقِهِ؛ إذ قال تعالى: {قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا}[الكهف:٧٠]، فَلَمَّا سَأَلَ عن السَّفِينَةِ أَنْكَرَ عليه حتى اعتذر، وقال: {قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا}[الكهف:٧٣]، فلم يَصْبِرْ حَتَّى سَأَلَ ثَلاَثًا، قال: {هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ}[الكهف:٧٨] وفارقَهُ، فَسُؤَالُ الْعَوَامِّ عن غَوَامِضِ الدِّينِ من أعظم الآفات، وهو من المثيرات للفتن، فيجب قمعُهم ومنعهم من ذلك[١].

* الآفة الرّابعة والعشرون: السؤال عن الدقائق للمغالطة:

وهو السّؤال للتغليط والتخجيّل وإظهار الفضل.

وهذا كالسؤال عن المشكلات الظاهرة عما أشكل في الأصول الاعتقادية أو الدقيقة الخفية في العلوم مطلقاً، ومواضع الغلط بغير غرض صحيح، بل للتغليظ والتخجيل وإظهار الفضل .

وحكمه:

يكره السؤال للمغالطة والتجهيل وإظهار الفضل.

ويستحبُّ السؤال للتعلم أو للتعليم أو اختبار أذهانهم كامتحان الأستاذ أفهام التّلامذة أو تشحيذها بتحصيل الحدة فيها، أو حثّهم وإغرائهم على التّأمل، والسّعي في اكتساب العلوم ؛ لما فيه من الإعانة على فهم العلم[٢].

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٠٨.

(٢) ينظر: طريقة محمدية وبريقة محمودية٣: ٢٣١.

ومن دلائل قبحه:

ما كان من نهي النبي ﷺ عنه، فعن معاوية رضي الله عنه: «نهى رسول الله ﷺ عن الأغاليط»[١]: أي جمع اغلوطة كاعجوبة: أي ما يغالط به العالم من المسائل المشكلة ليستزل؛ لما فيه من ايذاء المسؤل وإظهار فضل السائل مع عدم نفعها في الدين[٢].

قال الأوزاعي: إذا أراد الله أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط، وكان أفاضل الصحابة إذا سئلوا عن شيء قالوا: أوقع، فإن قيل: نعم، أفتوا، وإلا قالوا: دع حتى يقع[٣].

* الآفة الخامسة والعشرون: السّؤال والتفتيش عن عيوب الناس:

وهو التجسس وتتبع عورات المسلمين وقبائحهم.

وحكمه:

يحرمُ التَّجسسُ على عورات المسلمين والإطلاع عليها؛ لما فيها من هتك السِّتر، بخلاف إذا كان لغرض ديني من شيوع الفاحشة، حتى جاز الهجوم

(١) في المعجم الكبير١٩: ٣٨٩، ومسند الشاميين٣: ٢١١، وقال المناوي في التيسير٢: ٤٦٥: إسناده حسن.

(٢) ينظر: التيسير شرح الجامع الصغير٢: ٤٦٥.

(٣) ينظر: بريقة محمودية٣: ٢٣١.

على المفسدين والدخول في بيوتهم من غير إذن إذا سُمع فيه صوت فساد للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر(١).

ومن دلائل قبائحه:

ما كان نهي الله تعالى عن التجسس لما فيه المضار، قال تعالى: {وَلاَ تَجَسَّسُوا}[الحجرات: ١٢]: أي لا تبحثوا عن عورات المسلمين أي إذا لم يكن لها علامة ظاهرة أو ظَنّ غالب أو علم لتجاهره بها حقيقة أو حكماً.

وكان جزاء تتبع العورات أن يفضح فاعليه على الأشهاد، فعن ابن عمر ﵄، قال ﷺ: «لا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله»(٢).

وكان من آثار التتبع للعورات إفساد الناس، فعن معاوية ﵁، قال ﷺ: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم»(٣).

*** الآفة السّادسة والعشرون: سؤال تولية المناصب:**

وهو سؤال الإمارة والقضاء وأمر الفتوى وتولية الأوقاف والوصاية وغيرها.

---

(١) ينظر: بريقة محمودية٣: ٢٥٥.

(٢) في سنن الترمذي٤: ٣٧٨، وقال: حسن غريب، وصحيح ابن حبان١٣: ٧٥.

(٣) في سنن أبي داود٣: ٢٥٦، وصحيح ابن حبان١٣: ٧٢.

وحكمه:

يحرم أن يسعىٰ في طلب القضاء وغيره وهو جاهل ليس له أهلية القضاء وغيره، أو يسعىٰ فيه وهو من أهل العلم لكنه متلبس بما يوجب فسقه، أو كان قصده بالولاية الانتقام من أعدائه، أو قبول الرشوة من الخصوم وما أشبه ذلك من المقاصد، فهذا يحرم عليه السعي في القضاء.

ويُكره تحريماً كراهة إثم أن يكون سعيه في طلب القضاء وغيره؛ لتحصيل الجاه والاستعلاء علىٰ الناس؛ لقوله ﷻ: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص:٨٣].

ويُكره تحريماً كراهة إساءة إن كان غنياً عن أخذ الرزق علىٰ القضاء، وكان مشهوراً لا يحتاج أن يشهر نفسه وعلمه بالقضاء[١].

ويجب أن يطلب القضاء وغيره إذا كان من أهلا لذلك أو من أهل العلم والعدالة، ولا يكون هناك غيره، أو يكون ولكن لا تحل ولايته، أو ليس في البلد من يصلح للأمر غيره، أو لكونه إن لم يل الأمر وليه مَن لا تَحِلّ ولايتُه، وكذلك إن كان القضاء وغيره بيد مَن لا يحلّ بقاؤه عليه ولا سبيل إلىٰ عزله إلا بتصدي هذا إلىٰ الولاية، فيتعيّن عليه التصدّي لذلك والسعي فيه إذا قصد بطلبه حفظ الحقوق وجريان الأحكام علىٰ وفق الشرع؛ لأن في تحصيله القيام بفرض الكفاية.

---

(١) ينظر: الاختيار٢: ٩٩.

ويستحب إذا كان هناك عالم خفي علمه عن الناس فأراد الإمام أن يشهرَه بولاية القضاء وغيره ليعلم الجاهل ويفتي المسترشد، أو كان هو خامل الذكر لا يعرفه الإمامُ ولا الناس، فأراد السعي في القضاء وغيره؛ ليعرف موضع علمه، فيستحبّ له تحصيل ذلك والدخول فيه بهذه النية.

ويباح أن يطلب القضاء وغيره إن كان فقيراً وله عيال، فيجوز له السعي في تحصيله ليسدّ خلته، وكذلك إن كان يقصد به دفع ضرر عن نفسه، فيباح له أيضاً[1].

ومن دلائل قبح طلب من ليس أهلاً:

ما كان من توكيل القضاء إلى نفسه إن طلبه ولم يعنه الله تعالى عليه، فعن أنس رضي الله عنه قال ﷺ: «مَن سأل القضاء وُكِّلَ إلى نفسه، ومَن أُجْبِرَ عليه ينزل إليه مَلَك يسدِّده»[2]، وهذا إشارةٌ إلى أن الطالب لا يوفق لإصابة الحق، والمجبر عليه يوفق[3].

وكان الحرصُ على الإمارة سبباً لأن تكون ندامة لطالبها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة»[4].

---

(١) ينظر: معين الحكام ص٨.

(٢) في سنن الترمذي٣: ٦١٣، وسنن أبي داود٣: ٢٩٩، والمستدرك٤: ١٠١، وصححه.

(٣) ينظر: البدائع٧: ٢.

(٤) في صحيح البخاري ٦: ٢٦١٣.

فمن طلب القضاء وأراده وحرص عليه وكل إليه وخيف عليه فيه الهلاك، ومن لم يسأله وامتحن به وهو كاره له خائف على نفسه فيه أعانه الله عليه.

وهذا النهي عن سؤال تولي القضاء وغيره ليس على إطلاقه، بل مقيد بأن لا يتعيّن للقضاء، أما إن تعين بأن لم يكن أحد غيره يصلح للقضاء وجب عليه الطّلب صيانة لحقوق المسلمين ودفعاً لظلم الظالمين(١).

* الآفة السّابعة والعشرون: الدعاء بالموت على نفسه:

وهو أن يدعو بالموت على نفسه ضجراً من الدنيا، سواء بسبب ولد أو فقر أو سلطان.

وحكمه:

يكره تحريماً الدُّعاء نفسه بالموت ضجراً واعتراضاً على قدر الله تعالى بدون تعليقه بأمر الله تعالى، اللهم أحيني ما دامت الحياة خيراً لي وأمتني ما دام الموت خيراً؛ لأنّه به يوكل أمره لله تعالى، ويرضى بحكمه، ويدعو الله تعالى أن يختار له الأفضل، فعن أنس ﷺ قال ﷺ: «ألا لا يتمنّى أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بُد متمنياً الموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي»(٢).

---

(١) ينظر: البحر الرائق ٦: ٢٩٨.

(٢) في المجتبى ٤: ٣، وسنن ابن ماجة ٢: ١٤٢٥، ومسند أحمد ٣: ١٠١، وصحيح ابن حبان ٧: ٢٣٢.

وعن سعد بن عبيد ﵁ قال ﷺ: «لا يتمنى أحدكم الموت إما محسناً فلعله يزداد، وإما مسيئاً فلعله يستعتب»(١).

ويباح أن يدعو بالموت إذا كان لتغير أهل الزمان، وخوف من المعاصي؛ لأنَّ المؤمن المتقي في الزمان الذي ظهر فيه الفساد واشتهرت فيه المعاصي حيران في أمر دينه وكيف يحفظه، وكيف ينجو من شرهم، ففي هذا الزمان يجوز أن يتمنى الموت(٢)، فعن أبي هريرة ﵁ قال ﷺ: «لتنتقن كما تنتقى التمر من الجفنة فليذهبن خياركم وليبقين شراركم فموتوا إن استطعتم»(٣).

* الآفة الثامنة والعشرون: السّؤال عن الحل والحرمة والطّهارة بلا أمارة:

وهو السؤال عن حل شيء وحرمته وطهارته ونجاسته لصاحبه ومالكه تورعاً لإظهار ورع بلا ريبة مقتضية، فلو مع ريبةٍ من الأمارات والقرائن الخارجية، فالظاهر أنه ليس من الآفات.

ومن صوره:

مَن يريد أن يشتري شيئاً فيسأل مالكه أهذا الشيء ملك لك أو غصبت أو سرقت، وهو مستور الحال، وأما مَن هو متهم بالخيانة، فلا بأس حينئذ.

---

(١) في صحيح البخاري ٦: ٢٦٤٤.

(٢) ينظر: التحفة والمنحة ٣: ٢٤١.

(٣) في المستدرك ٤: ٣٥١، وصححه.

ومَن يدعوه إلى ضيافة، فيسأل عن حل الطعام.

ومَن يأتيه بسجادة ليصلي وليس فيه علامة نجاسة، فيسأل عن طهارته[1].

وحكمُه:

يكره تحريماً إثم أو إسادة على حسب ما يتصرر الآخر.

قال البركوي[2]: «فهذا أذى له وسوء ظنّ أو رياء أو عجب أو جهل وتجسس وبدعة قبيحة لا يليق ارتكابه للمسلم، فعليك الاعتماد على الظاهر، ولا تتعمق، كما اعتمد عليه الصحابة والتابعون ﷺ».

المطلب الثّامن: الخطأ في الكلام:

* الآفة التاسعة والعشرون: الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام:

وهو التعبير بألفاظ مخالفة لمفاهيم الشريعة العقدية والتربوية.

لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأمور الدين، فلا يقدرُ على تقويم اللفظ في أمور الدين إلا العلماء الفصحاء، فمَن قصر في علم أو فصاحة لم يخل كلامه عن الزَّلل، لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله.

---

(١) ينظر: الطريقة المحمدية ٤: ٥.

(٢) في الطريقة المحمدية ٤: ٥.

ومن دلائل قبحه:

ما كان من نهي النبي ﷺ عن تعظيم أمر الخمر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «لا تسموا العنب الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم»(١).

وسبب النهي أنهم كانوا يسمون العنب في شجرته كرماً؛ لأن الخمر المتخذ منه يحمل شاربه على الكرم، فكره ﷺ هذه التسمية لئلا يتذكروا به الخمر ويدعوهم حسن الاسم إلى شربه، فنبه أن الكرم المؤمن أي قلب المؤمنح لأنه هو المقتضي للنهي، والمانع من إطلاق هذا اللفظ عليه وتقريره أنه لو سمي بالكرم شيء باعتبار كونه سبباً ومبدأً له، لكن المستحق لهذا الاسم هو قلب المؤمن الحامل على قضية العقل والدين القويمين لا الخمر المؤدي إلى اختلال العقل وفساد الرأي، وإتلاف المال وصرفه لا على وجه الصّواب(٢).

وكان من النهي عن تحقير الناس وتعظيم النفس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم»(٣).

فمَن قالها إعجاباً بنفسه واعتناء بعلمه أو عمله واستصغاراً لشأن الناس وازدراء لما هم عليه، لا تفجعاً وإشفاقاً عليهم، فهو أهلكهم؛ لكونه قنطهم من رحمة الله، ويأسهم من غفرانه.

---

(١) في صحيح مسلم ٤: ١٧٦٣.

(٢) ينظر: بريقة محمودية ٣: ٢٣٢.

(٣) في صحيح مسلم ٤: ٢٠٢٤.

قال الغَزاليُّ: إنما قاله لأنّ القول يدل على أنه مزدر لخلق الله تعالى، آمن من مَكره، غير خائف من سَطوته وقَهره، حيث رأى الناس هالكين ورأى نفسه ناجياً، وهو الهالك تحقيقاً، ويكفيه شراً احتقار الغير، فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم إياه تعالى، فهم متقربون إلى الله بالدنو منه، وهو حمق إلى الله بالتنزه والتباعد عنهم، كأنه يترفع عن مجالستهم فما أجدره بالهلاك[1].

قال مالك: إذا قال ذلك تحزناً لما يرى في الناس، يعني في أمر دينهم، فلا أرى به بأسا، وإذا قال ذلك عجباً بنفسه وتصاغراً للناس فهو المكروه الذي نهي عنه[2].

وكان النهي عن الاعتقاد الفاسد، فعن حذيفة ﵁، قال ﷺ: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»[3]، فإن كلمة الواو للجمع المطلق، فتوهم الشركة والتسوية بين مشيئة الله وعبده، بخلاف كلمة: «ثم»؛ لأنها للترتيب مع التراخي.

وعن ابن عباس ﵄: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يكلمه في بعض الأمر فقال: ما شاء الله وشئت، فقال ﷺ: أجعلتني لله عديلاً، بل ما شاء الله وحده»[4].

---

(١) ينظر: بريقة محمودية٣: ٢٣٢.

(٢) ينظر: سنن أبي داود٤: ٢٩٦.

(٣) في سنن أبي داود٤: ٢٩٥، وسنن النسائي الكبرى٩: ٣٦١، ومسند أحمد٣٨: ٧٨.

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى بإسناد حسن وابن ماجه، كما في المغني٣: ١٦٨.

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه: «خطب رجل عند رسول الله ﷺ، فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، فقال ﷺ: قل: ومَن يعص الله ورسوله فقد غوى»[(١)]، فكره رسول الله ﷺ قوله: ومن يعصهما؛ لأنه تسوية وجمع.

وعن النخعي: أنه كان يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك، قالوا: أو يقول: لولا الله ثم فلان لفعلت كذا، ولا يقول لولا الله وفلان[(٢)].

وحكمه:

يُكره عدم مراعاة مواقع الألفاظ والتساهل فيها إن كانت مخالفة عقدية أو تربوية في خلط مفاهيم الدين، فتكون سبباً في الكفر أو الحرمة أو الكراهة، ومن أمثلته:

ويكره أن يقول: أسألك بمعقد العزّ من عرشك، وبحقِّ العزِّ من عرشك[(٣)]، قال العَينيُّ[(٤)]: «تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولا شك في كراهية

---

(١) أخرجه مسلم، كما في المغني٣: ١٦٨.

(٢) ينظر: سنن أبي داود٤: ٢٩٦.

(٣) قال العيني في المنحة ٣: ٢٢٢: «تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولا شك في كراهية الثانية؛ لاستحالة معناها على سبحانه وتعالى، وكذا الأولى؛ لأنَّه يوهم أنَّ عزّه متعلّق بالعرش، والعرش حادث، وما يتعلق به يكون حادثاً، والله تعالى متعال عن تعلق عزّه بالحادث، بل عزّه قديم كذاته»، ومثله في الهداية١٠: ٦٤.

(٤) في المنحة ٣: ٢٢٢، وينظر: الهداية١٠: ٦٤.

الثانية؛ لاستحالة معناها على سبحانه وتعالى، وكذا الأولى؛ لأنَّه يوهم أنَّ عزّه متعلّق بالعرش، والعرش حادث، وما يتعلق به يكون حادثاً، والله تعالى متعال عن تعلق عزّه بالحادث، بل عزّه قديم كذاته».

ويكره أن يقول: حقِّ فلان، وبحقِّ النبي ﷺ؛ لأنَّه لا حق للخلق على الله تعالى، وإنَّما يخصّ برحمته من يشاء من غير وجوب عليه[1].

وكَره بعضُهم أن يُقال: اللهم أَعتقنا من النّار، وكان يقول العتق يكون بعد الورود، وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار، وقال رجل: اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد ﷺ، فقال حذيفة: إن الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين.

وقال ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيُشْرِكُ حتى يُشْرِكَ بِكَلْبِهِ فيقول: لولاه لسرقنا الليلة.

وعن أبي بريدة رضي الله عنه، قال ﷺ: «لا تقولوا للفاسق سَيِّدَنَا، فإنه إن يَكُنْ سَيِّدَكُم فقد أَسْخَطْتُمْ ربكم»[2].

فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره، ومَن تأمل ما سبق ذكر من آفات اللسان عَلِم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم؛ لأن هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب، وهي على طريق المتكلم، فإن سكت سَلِم من الكلِّ، وإن

---

(١) ينظر: منحة السلوك ٣: ٢٢٢.

(٢) أخرجه أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح، كما في المغني٣: ١٦٨.

نطق وتكلَّم خاطر بنفسه، إلا أن يوافقه لسان فصيح، وعلم غزير، وورع حافظ، ومراقبة لازمة، ويُقلل من الكلام فعساه يَسلم عند ذلك، وهو مع جميع ذلك لا ينفكُّ عن الخطر، فإن كنت لا تقدرُ على أن تكون ممن تكلَّم فغنم، فكن ممن سَكَت فسَلِم، فالسلامة إحدى الغنيمتين[١].

* الآفة الثلاثون: الدّعاء للكافر والظّالم بالبقاء:

وهو الدّعاء لغير المسلمين وللظملة باستمرار الحياة.

وحكمه:

ويكره الدعاء لغير المسلين والظالمين بالبقاء؛ لأنه رضا بالمعصية التي صدرت منه؛ لأن الدعاء ببقاء الظالم دعاء ببقاء ظلمه، بل يقتصر في الدعاء للظالم على التوبة والصلاح ورفع الظلم[٢].

قال الرازي[٣]: «ولو قال لذمي: أطال الله بقاءَك لم يجز، إلا إذا نوى إطالةَ بقائه لإسلامه أو لمنفعة الجزية».

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٦٨.

(٢) ينظر: البريقة والطريقة٢: ٢٦٨.

(٣) في تحفة الملوك ص٣٥٢.

المطلب التّاسع: مخالفة الأدب:

* الآفة الواحدة والثلاثون: ترك التّأدب بالكلام مع الأفضل:

وهو عدم مراعاة الأدب مع الأفضل حالاً.

وحكمه:

يكره ترك التأدب مع الفضلاء من الأساتذة والزهاد والعلماء والآباء والكبار في السن.

وقال الخادمي[١]: «ومن أسباب انقراض العلم عدم مراعاة حقِّ المعلم قيل: مَن تأذّىٰ منه أستاذه يحرمُ بركة العلم ولا ينتفع به إلا قليلاً».

ومن صوره:

١. افتتاح الجاهل الكلام عند العالم، والتلميذ عند الأستاذ، أو الأعلم أو الأفضل منه بشيء غير العلم كالزُّهد والورع والصلاح وكبر السنّ.

٢. ترك رد كلام الأستاذ ولو فاسداً، قيل مَن قال لأستاذه: لِم حين رآه في أمر غير مشروع لا يفلح أبداً، وإن احتيج إلىٰ الردّ لا محالة، فبالتعريض لا بالتصريح[٢]، قال الغزالي[٣]: «ولا يسيء الظنَّ به في أفعال ظاهرها منكرة عنده، فهو أعلم بأسراره، وليذكر عند ذلك قول موسىٰ عليه السلام للخضر عليه السلام:

---

(١) في بريقة محمودية(٣: ٢٥٧).

(٢) ينظر: بريقة وطريقة٣: ٢٥٦.

(٣) في بداية الهداية ص١٠٩.

{أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا}[الكهف: ٧١]، وكونه مخطئاً في إنكاره اعتماداً على ظاهره».

قال الزرنوجي[1]: «ومن توقيرِ المعلم... أن لا يبتدئ الكلامَ عنده إلاّ بإذنِه، ولا يُكثر الكلام ولو مُباحاً عنده؛ لأنه يُفضي للخروجِ عن الأدب».
وقال الخادمي[2]: «وقد صرَّحوا في الفتاوى بكراهةِ أن يقولَ الرجل لِمَن فَوْقَه في العلم والفضل الديني: حان ـ أي حضر ـ وقت الصلاة ، أو قوموا نصل، أو نحوهما ممّا فيه تركُ الأدب، لعلَّ ذلك عند علمه وقتها مثلاً، وأما عند عدم علمه فيحظر إن لم يغلب رضاه؛ لأنه تركُ أدب وتوقير».

* الآفة الثانية والثلاثون: الكلام أثناء قضاء الحاجة:

وهو الكلام مطلقاً دنيوياً أو أخروياً عند قضاء الحاجة.

وحكمه:

يكره الكلام كراهة[3] إساءة بصوره المختلفة أثناء قضاء الحاجة؛ لمخالفة الأدب والمروءة.

قال قاضي خان: رجل سلم على من كان في الخلاء يتغوط أو يبول لا ينبغي أن يسلم في هذه الحالة، فإن سلم عليه، قال أبو حنيفة: يرد عليه

---

(١) في تعليم المتعلم ص٤٠.

(٢) في بريقة محمودية٣: ٢٥٦.

(٣) ينظر: طريقة محمدية٣: ٢٦٦.

السلام بقلبه لا بلسانه، بعد وبعد الفراغ: يرد بلسانه؛ لزوال المانع فإنه إذا زال المانع عاد الممنوع، وقال أبو يوسف: لا يرد أصلاً ولو بقلبه، ولا بعد الفراغ، وهو القياس؛ لأنه لا ينبغي الإجابة في المكروه، وأن السقوط لا يعود[١].

وقال النووي[٢]: «يكره الذكر والكلام في حال قضاء الحاجة، سواء كان في الصحراء أو في البنيان، وسواء في ذلك جميع الأذكار والكلام، إلا كلام الضرورة حتى قال بعض أصحابنا: إذا عطس لا يحمد الله تعالى، ولا يشمِّت عاطساً، ولا يردّ السلام، ولا يجيب المؤذن، ويكون المسلم مقصراً لا يستحق جوابا».

فعن ابن عمر ﵄: «مر رجل بالنبي ﷺ وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه»[٣].

* الآفة الثالثة والثلاثون: الكلام عند الجماع:

وهو أن يتكلم أثناء الجماع.

وحكمه:

يُكره تنزيهاً، فهو خلاف الأولى؛ لمخالفته الأدب، فيما يتعلق بغير أمور الجماع؛ قال ابن عابدين[٤]: «لأنه مبني على الستر، وكان يأمر ﷺ فيه بالأدب».

---

(١) ينظر: بريقة محمودية وطريقة محمدية٣: ٢٦٦.
(٢) في الأذكار ص١١١.
(٣) في صحيح مسلم١: ٥.
(٤) في رد المحتار٦: ٤١٨.

*** الآفة الرّابعة والثلاثون: عدم قبول عذر أخيه:**

وهو رفض عذر مسلم أخطأ في حقه وظهرت علامة صدقه.

وحكمه:

يكره تحريماً قبول العذر من أخيكم المسلم رغم ظهور علامات الصدق عليه في الاعذار منك؛ لما فيه من الإساءة له وسوء الظن به، فعن ابن جودان، قال ﷺ: «من اعتذر إلى أخيه المسلم، فلم يقبل منه كان عليه ما على صاحب مكس»[1]: أي يأخذ الضرائب المحرمة.

وأما إن تيقن كذبه في عذره فيستحب له أن يعفو ولا يجب، قال تعالى: {وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ} [البقرة: ٢٣٧].

وإن من صفاته تعالى قبول الاعتذار، والعفو عن الزلات، فمن أبى واستكبر عن ذلك فقد عرَّض نفسه لغضب الله تعالى ومقته.

قال الراغب: وجميع المعاذير لا تنفك عن ثلاثة أوجه: إما أن يقول لم أفعل، أو فعلت لأجل كذا، فيبين ما يخرجه عن كونه ذنباً، أو يقول فعلت ولا أعود، فمن أنكر وأنبأ عن كذب ما نسب إليه، فقد برئت منه ساحته، وإن فعل وجحد فقد أبعد التغابي عنه كرماً، ومن أقرّ فقد استوجب العفو بحسن ظنّه بك، وإن قال: فعلت ولا أعود، فهو التوبة، وحقُّ الإنسان أن يقتدي بالله تعالى في قبولها.

---

(١) في مراسيل أبي داود ص٣٥١.

وقال الغَزاليّ: مهما رأيت إنساناً يسيء الظن بالناس طالباً للعيوب، فاعلم أنّه خبيث في الباطن، وأن ما يرىٰ في غيره هو ما في نفسه، والمؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العيوب، والمؤمن سليم الصدر في حقِّ الكافة(١).

*** الآفة الخامسة والثلاثون: المقاطعة لكلام غيره بغير حاجة:**

وهو قطع كلام الغير وحديثه بكلامه من غير ضرورة.

وحكمه:

يكره كراهة إساءة مقاطعة كلام أهل الفضل والخير في تدريسهم وأمثاله بغير ضرروة؛ لمنافاته الأدب، ولإساءته للمتكلم.

ويكره تنزيهاً مقاطعة كلاه غيره من أمثاله بغير حاجة وإن لم يؤذيهم؛ لمخالفته أدب الكلام.

قال البركوي(٢): «لا يقطع كلام مَن يقرأ أو يدعو أو يفسر القرآن أو يحدث بكلامه ﷺ أو يخطب يعظ للناس، فيلتفت في أثنائه إلىٰ شخص، فيأمره ببعض حوائج بيته أو يتكلم في مجلس عظة أو تدريس أو من فوقه حين يتكلم ذلك الفاضل مع من عن يمينه أو شماله ولو مع الإخفاء، وكذا مجرد التفاته يميناً أو شمالاً في ذلك المجلس، وتحركه بلا ضرورة داعية، وكلُّ هذا سوء أدب وخفة وعجلة وسفه».

---

(١) ينظر: بريقة محمودية٣: ٢٩٢.

(٢) في الطريقة المحمدية٣: ٣٠٠.

*** الآفة السادسة والثلاثون: المناجاة بين اثنين مع وجود ثالث:**

وهي تناجي المكالمة بالسرّ بين اثنين عند ثالث.

وحكمه:

تكره المناجاة بين اثنين مع وجود الثالث، ولو كان الثالث ساكتاً؛ لأنه فيه أذىٰ له.

ومن دلائل قبحه:

ما كان من أمر الله تعالىٰ أن لا تكون المناجات بالإثم، والمناجات بين اثنين دون الثالث من مناجات الإثم، فتكون منهية، قال تعالىٰ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ}[المجادلة:٩].

وكان النّهي صريحاً من النبي ﷺ عن المناجاة بين الاثنين مع وجود الثالث، فعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «إذا كانوا ثلاثة، فلا يتناجىٰ اثنان دون الثالث»[١].

وكان اعتبار مناجاة أذناً للمؤمن، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال ﷺ: «لا يتناجىٰ اثنان دون واحد، فإن ذلك يؤذي المؤمن، والله عز وجل يكره أذىٰ المؤمن»[٢].

---

(١) في صحيح البخاري٨: ٦٤.

(٢) في سنن الترمذي٥: ١٢٨، والمعجم الأوسط٥: ١٧٤.

* الآفة السّابعة والثلاثون: ترك الطّاعة لأهل الطّاعة:

وهو أن يترك الطاعة بقوله وفعله مَن وجب عليه طاعته من الإمام والأب والأم والزوج والأستاذ وغيرهم.

قال البركوي[١]: «لا يجوز رد التابع كلام متبوعه ومقابلته ومخالفته وعدم قبول قوله وإطاعته في أمر مشروع عتواً وعناداً كالرعية للأمير».

وحكمه:

يكره تحريماً ترك طاعة مَن استحقّ عليك طاعته من الرَّعية من السُّلطان والزَّوجة لزوجها، والابن لأبيه وأمه، والطالب لأستاذه، فعن أنس ﷺ، قال ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل حبشي كأن رأسه زبيبة»[٢]، وعن ابن عباس ﷺ، قال ﷺ: «ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته»[٣].

قال الغَزالي في الوالدين: «أكثر العلماء أن طاعتهما واجبة في الشبهات دون الحرام المحض؛ لأنّ ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين واجب، وحق الوالدة أعظم من حق الوالد فبرها أوجب، قيل: لأن شفقة الأم أكثر، فإن تأذىٰ أحدهما بمراعاة الآخر، فالأب يقدم في حق التعظيم، والأم فيما يرجع

---

(١) في الطريقة المحمدية٣: ٣١٠

(٢) في صحيح البخاري١: ١٤٠.

(٣) في سنن أبي داود٢: ١٢٦، وسنن ابن ماجة١: ٥٩٦، والمستدرك١: ٥٦٧، وصححه.

إلى الخدمة والإحسان، فلو دخلا عليه يقوم للأب، ولو سألا يبدأ في الإعطاء بالأم، وينظر إليهما بالود والرحمة والرأفة»[١]، فعن معاوية بن جاهمة السلمي: «أن جاهمة جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك، فقال: هل لك من أم؟ قال: نعم، قال: فالزمها، فإن الجنة تحت رجليها»[٢].

المطلب العاشر: الكلام وقت الذّكر:

* الآفة الثامنة والثلاثون: التكلم بكلام الدنيا أثناء الآذان والإقامة:

وهو التكلم بغير الإجابة من كلام الدنيا أثناء الأذان والإقامة.

والإجابة تكون بأن يقول مثل ما قال المؤذن إلا عند الحيعلتين فيقول: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ لأنَّ إعادة ذلك تُشبه المحاكاة والاستهزاء، فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال ﷺ: «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن»[٣]، وكذا إذا قال المؤذن: الصلاة خير من النوم؛ لا يعيده السامع، ولكنَّه يقول: صدقت وبررت، أو ما يؤجر عليه[٤]، فعن عمر رضي الله عنه، قال ﷺ: «إذا قال المؤذن: الله أكبر

---

(١) ينظر: بريقة محمودية ٤: ٣.

(٢) في سنن النسائي الكبرى ٦: ١١.

(٣) في صحيح البخاري ١: ٢٢١.

(٤) ذكر العجلوني في كشف الخفاء ٢: ٥٧٩: «الراجح استحباب قوله: صدقت وبررت فقط، وقال القاري: صدق رسول الله؛ ليس له أصل، وكذا قولهم عند قول المؤذن: الصلاة

الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أنَّ لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أنَّ محمداً رسول الله، قال: أشهد أنَّ محمداً رسول الله، ثم قال: حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: حي على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة»[1].

وحكمه:

اختلف في الإجابة:

الأول: الوجوب، وهو ظاهر ما في «الخانية» و«الخلاصة» و«التحفة» و«الدر» وإليه مال الكمال، وصرّح في «العيون» بأن الإمساك عن التلاوة والاستماع إنّما هو أفضل.

والثاني: الاستحباب، وصرّح جماعة بنفي وجوبها باللسان، وأنها مستحبّة حتى قالوا: إن فعل نال الثواب وإلا فلا أثم، ولا كراهة، وحكى في «التجنيس» الإجماع على عدم كراهة الكلام عند سماع الأذان: أي تحريماً، وفي «مجمع الأنهر»: عن «الجواهر»: إجابة المؤذن سنة، وفي «الدرة المنيفة»: أنّها

خير من النوم: صدقت وبررت وبالحقّ نطقت؛ استحبه الشافعية قال الدميري: وادعى ابن الرفعة أنَّ خبراً ورد فيه لا يعرف قائله، انتهى. وقال ابن الملقن في تخريج أحاديث الرافعي: لم أقف عليه في كتب الحديث. وقال الحافظ ابن حجر : لا أصل له. انتهى».

(١) في صحيح مسلم ١: ٢٨٩.

مستحبة على الأظهر، قال الطحطاوي[1]: والحاصل أنه اختلف التصحيح في وجوب الإجابة باللسان، والأظهر عدمه.

وذكرت الاختلاف فيها على خلاف المعتاد في هذا الكتاب للتنبيه على أهمية الإجابة، وعدم التشدد فيها؛ لوجود الاختلاف، ورجحان قول الاستحباب.

* الآفة التاسعة والثلاثون: الكلام في الصلاة:

وهو أن يتكلم بكلام الناس في الصلاة سواء عمداً أو سهواً أو جهلاً أو خطأً أو نسياناً[2].

ومن صوره: الدعاء بكلام الناس، فلا يسأل بما يطلبه الناس بعضهم من بعض مما يتخاطبون به، وإن خاطب الله تعالى به على صيغة الدعاء كقوله: ربّ أعطني مئة دينار، أو زوجني امرأة، بخلاف دعاء الله تعالى فإنَّه طلب ما لا يمكن طلبه من الناس: كطلب المغفرة، والنجاة في الآخرة، فإنَّه لا يفسد مطلقاً[3]، فعن معاوية بن الحكم ﵁ قال ﷺ: «إنَّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنَّما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»[4].

---

(١) في حاشيته على المراقي ١: ٢٨٣.

(٢) ينظر: طريقة محمدية٣: ٢٥٨.

(٣) ينظر: الجوهر الكلي ق٢٨/ ب-٢٩/ أ.

(٤) في صحيح مسلم ١: ٣٨١، وصحيح ابن خزيمة ٢: ٣٥، وغيرها

وحكمه:

تبطل الصّلاة بكلام النّاس مطلقاً، لكن يأثم إن كان عمداً، ولا يأثم إن سهواً، فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «كنا نتكلم في الصلاة يكلّم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: {وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ}[البقرة: ٢٣٨]، فأمرنا بالسّكوت ونهينا عن الكلام»[١].

* الآفة الأربعون: الكلام في الخطبة مطلقاً:

وهو الكلام في حال الخطبة، ولو تسبيحاً أو تصليةً أو أمراً بالمعروف أو نحوها كقراءة القرآن[٢].

وحكمه:

يُكره تحريماً الكلام مطلقاً أثناء الخطبة؛ للنصوص الواردة في فرضية الاستماع، والكلام يخل بالاستماع، فلا يعارضها خبر الواحد.

ومن دلائل قبحه:

ما كان من مغفرة الذنوب لمن ينصت ولا يتكلم في الخطبة، فعن عطاء الخراساني رضي الله عنه قال: كان نبيشة الهذلي رضي الله عنه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ المسلمَ إذا اغتسل يوم الجمعة، ثمّ أَقبل إلى المسجدِ لا يؤذي أحداً، فإن لم يجد الإمام خَرَجَ صلَّى ما بدا له، وإن وَجَدَ الإمام قد خَرَجَ جلس فاستمع

(١) في صحيح مسلم ١: ٣٨٣، وغيره.

(٢) ينظر: طريقة محمدية٣: ٢٦٠.

وأنصت حتى يقضي الإمام جمعته وكلامه، إن لم يغفر له في جمعته تلك ذنوبه كلها أن تكون كفارة للجمعة التي قبلها»(١).

وكان منع الأمر بالمعروف وهو فرض أثناء الخطبة؛ لفرضية الإنصات، فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «إذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت»(٢) .

وكان النهي الصريح من النبي ﷺ للكلام في الخطبة، فعن ابن عمر ﵄ قال ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد، والإمام على المنبر فلا صلاة ولا كلام، حتى يفرغ الإمام»(٣).

* الآفة الواحدة والأربعون: الكلام الدنيوي بعد الطلوع:

وهو أن يتكلم بغير القرآن أو الذكر أو العلم أو الخير بعد طلوع الفجر الصّادق إلى طلوع الشّمس.

حكمه:

يكره تنزيهاً؛ لما فيه من تفويت الأجر الجزيل بالذكر في هذا الوقت، فهو وقت شريف لا يليق للمؤمن الاشتغال فيه بما يتعلق بالدنيا الدنية بل اللائق له الاشتغال بالأعمال الأخروية.

---

(١) في مسند أحمد ٥: ٧٥، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢: ١٧١: ورجاله رجال الصحيح خلا شيخ أحمد، وهو ثقة.

(٢) في صحيح مسلم ٢: ٥٨٣.

(٣) في المعجم الكبير ٣٢٨٠، وحسنه في إعلاء السنن ٢: ٦٨.

وأما في الخير: كمذاكرة العلم، وحكايات الصالحين، والحديث مع الضيف، ومع طالب حاجة، فمستحب كما لو تحدث لأمر عارض وضرورة(١).

ومن دلائل قبحه:

ما كان من الحرمان من أجرة الحجة والعمرة لمن يذكر الله تعالى في هذا الوقت، فعن أنس ﵁، قال ﷺ: «مَن صلى الغداة في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجّة وعمرة تامة تامة»(٢).

وكان فيه تفويت دعاء الملائكة للذاكر، فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «الملائكةُ تُصلِّي على أحدكم ما دام في مصلاّه الذي صَلَّى فيه تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه ما لم يحدث»(٣).

وكان الذكر فيه خير من إعتاق الرقاب لوجه الله تعالى، فعن أبي أمامة ﵁، قال ﷺ: «لأن اقعد أذكر الله وأكبره وأحمده وأسبحه وأهلله حتى تطلع الشمس أحبّ إليّ من أن أعتق رقبتين أو أكثر من ولد إسماعيل، ومن بعد العصر حتى تغرب الشمس أحبّ إلى من أن أعتق أربع رقاب من ولد

---

(١) ينظر: بريقة محمودية٣: ٢٦٦.

(٢) في سنن الترمذي ٢: ٤٨١، وقال: حسن غريب.

(٣) في السنن الصغرى ٢: ٩٨.

إسماعيل»[١]، وعن العباس رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «لأن أجلس من صلاة الغداة إلى أن تطلع الشمس أَحبّ إليَّ من أن أُعتق أربع رقاب من ولد إسماعيل»[٢].

* الآفة الثانية والأربعون: الكلام أثناء قراءة القرآن:

وهو الكلام عند قراءة القرآن.

وحكمه:

يُكره في ظاهر المذهب، فإن استماع القرآن والإنصات عند قراءته واجبٌ مطلقاً في الصَّلاة أو خارجها سواء فهم المعنى أو لا، قال تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ} [الأعراف: ٢٠٤].

لكن قالوا: من قرأ عند اشتغال الناس بأعمالهم كالحمام، فالإثمُ على القارئ فقط.

ومَن ابتدأ العمل بعد القراءة، فلم يتيسر له الاستماع والإنصات، فالإثم على العامل؛ لسبق القراءة ظاهرة سواء كان العملُ ضرورياً أو لا، وسواء كان الموضعُ موضع عمل أو لا[٣].

وكلُّ هذا فيما لو كانت القراءة حقيقة، أمّا إن كانت تسجيلاً وتسمع من الوسائل المختلفة، فحكمها مختلفٌ؛ لأنها صدى وليست بقراءة، فلا يجب

---

(١) في مسند أحمد ٥: ٢٥٥، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره، والمعجم الكبير ٨: ٢٦٠.

(٢) في مسند البزار٤: ١١٨، ومسند أحمد٣: ٤٧٤.

(٣) ينظر: طريقة محمدة وبريقة محمودية٣: ٢٦٨.

فيها سجود التلاوة، كما أفتى المطيعي، ولا يجب الإنصات لها كذلك، ولما في ذلك من عموم بلوى لسماع القرآن في الموصلات وغيرها، فيلزم الحرج الشديد بالوجوب، وإن كان الأولى الإنصات للانتفاع والأجرة والعبرة.

* الآفة الثالثة والأربعون: كلام الدنيا في المساجد:

وهو التكلم بكلام الدنيا في المساجد قصداً.

وحكمُه:

يُكره تحريماً إن قصدت المساجد للكلام الدنيوي؛ لأنَّ المسجد أُعدّ لإقامة القربات والطاعات لا للمعاملات[1]، فيكره الخياطةُ في المسجد، وكلُّ عملٍ من أعمال الدنيا، ولو جلسَ فيه معلمٌ فإن كان حِسْبةً لا بأس به، وإن كان بأَجر يُكره بغير ضرورة وحاجة[2]، فعن ابن مسعود ، قال ﷺ: «سيكون في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مساجدهم ليس لله فيهم حاجة»[3].

ويُكره تنزيهاً الكلام الدنيوي في المساجد بعد أن كان الدخول فيها للعبادة، ففي «صلاة الجلابي»: الكلام المباح من حديث الدنيا يجوز في المساجد وإن كان الأولى أن يشتغل بذكر الله تعالى.

---

(١) ينظر: شرح ابن ملك ق١١٧/ أ.

(٢) ينظر: تحفة الملوك وشرح ابن ملك ق١١٧/ أ.

(٣) في صحيح ابن حبان١٥: ١٦٢.

قال في «المصفى»: الجلوس في المسجد للحديث مأذون شرعاً؛ لأن أهل الصفة كانوا يلازمون المسجد وكانوا ينامون، ويتحدثون، ولهذا لا يحل لأحد منعه، كذا في «الجامع البرهاني»[١].

قال ابن عابدين[٢]: «يؤخذ من هذا أن الأمر الممنوع منه إذا وجد بعد الدخول بقصد العبادة لا يتناوله»: أي النهي عن الكلام.

المطلب الحادي عشر: الحلف المحظور:

* الآفة الرابعة والأربعون: الحلف بالمخلوقات:

وهي الحلف بغير الله تعالى لا وجه الوثيقة سواء كان نبياً أو ملكاً أو مصحفاً أو سلطاناً أو ولداً أو والداً أو صوماً أو صلاة أو سائر الشرائع، أو الكعبة، أو الحَرَم، أو زمزماً، ونحو ذلك[٣].

ومن صورته: قولهم: وأبيك وحياتك ولعمري[٤] وغيرها.

وحكمه:

يكره تحريماً؛ للنهي الصريح عن الحلف بالآباء؛ لما فيه من مشاركة

---

(١) ينظر: رد المحتار ١: ٦٦٢.

(٢) في رد المحتار ١: ٦٦٢.

(٣) ينظر: بدائع الصنائع ٣: ٢١، والفتاوى الهندية ٢: ٥١، وغيرها.

(٤) أي: بقاؤك وحياتك، بخلاف لعمر الله فإنَّه قسم، ينظر: رد المحتار ٣: ٧٠٥، وغيره.

المُقسم به لله تعالى في التعظيم، ولا يلزم بالحنث فيه شيءٌ، فلا يحصل به الوثيقة.

ومن دلائل قبحه:

ما كان من أمر النبي ﷺ أن يكون الحلف بالله لا غير، فعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال ﷺ: «مَن كان حالفاً فليحلف بالله تعالى»[1]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «ألا إنَّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[2].

وكان النّهي الصَّريح من الحضرة النبوية للحلف بالآباء، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال ﷺ: «إنَّ الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم»[3].

وأما إقسامه جل جلاله بغيره: كالضحى، والنجم، والليل، فقالوا: إنَّه مختصّ بالله تعالى؛ إذ له أن يعظم ما شاء، وليس لنا ذلك بعد نهينا[4].

---

(١) في صحيح مسلم ٣: ١٢٧٦، وصحيح البخاري ٢: ٩٥١، وغيرهما.

(٢) في صحيح البخاري ٦: ٢٤٤٩ وغيره.

(٣) في صحيح مسلم ٣: ١٢٧٥، وغيره.

(٤) ينظر: تفصيل حكم الحلف بغير الله في: منحة الخالق ٤: ٣٠١، ورد المحتار ٣: ٧٠٥، والتبيين ٣: ١٠٧.

* الآفة الخامسة والأربعون: اليمين بغير الله تعليقاً:

وهي الحلف بغير الله على وجه الوثيقة بالتعليق بطلاق أو لزوم قربة.

وحكمه:

يكره تحريماً إن كان التعليق بطلاق زوجته؛ لما فيه من الإضرار الذي يقع على الزوجة بالطلاق إن تحقق الشرط، وكثرة العبث الواقع من الرجال في ذلك، فينهون عنها أشدّ النهي.

وصورته: كإن فعلت كذا فزوجتي، فهو تعليق بغير قربة، وهي في نفسها مشروعة؛ لأنَّه ليس فيه تعظيم، بل فيه الحمل أو المنع مع حصول الوثيقة بصدق القائل خشية عتق عبده، فيثق الخصم بصدق الحالف؛ لقلة المبالاة بالحنث ولزوم الكفارة.

ويكره تحريماً في نفسه إن التعليق بقربة من صوم، أو صلاة، أو حجّة، أو عمرة، أو بدنة، أو هدي، أو عتق رقبة، أو صدقة، أو نحو ذلك، وهذا هو النذر المعلّق[1]، وصورته: كإن شفى اللهُ مريضي فلله عليَّ كذا.

ومن دلائل قبحه:

ما كان من إخبار النبي ﷺ أنه يستخرج به من البخيل، فلا يقدم شيئاً ولا يؤخره ولا يغير القدر، فعن ابن عمر رضي الله عنه، قال ﷺ: «النذر لا يُقدِّم شيئاً

---

(١) ينظر: الفتاوى الهندية ٢: ٥١، وغيره.

ولا يؤخره، وإنَّما يستخرج به من البخيل»[١]، وعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «لا تنذروا، فإنَّ النذرَ لا يُغني من القدر شيئاً، وإنَّما يستخرج به من البخيل»[٢].

وكان من هذا التعليق أنه لم يخلص من شائبة العوض، حيث جعل القربةَ في مقابلةِ الشِّفا وأمثاله، ولم تسمح نفسُه بها بدون المعلّق عليه، مع ما فيه من إيهام اعتقاد التأثير للنذر في حصول الشفاء وأمثاله، فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قُدِّرَ له، ولكن يُلقيه النذر إلى القَدَرِ قد قُدِّر له، فيستخرج الله به من البخيل، فيؤتِي عليه ما لم يكن يؤتِي عليه من قبل»[٣].

وهذا النهي يشمل قسمي المعلّق، وهما:

ما لا يريد كونه: كإن دخلت دار فلان فلله عليَّ صوم كذا، ونحوه، فإنَّه لم يقصد به القُربة.

وما يريد كونه: كإن شفى الله مريضي أو رد غائبي فلله عليَّ كذا، فإنَّه لم يخلص من شائبة العوض من أجل الشفاء ونحوه، مع ما فيه من إيهام أنَّ الشفاء حصل بسببه[٤].

---

(١) في صحيح مسلم ٣: ١٢٦١، وصحيح البخاري ٦: ٢٤٣٧، والمستدرك ٤: ٣٣٨.

(٢) في صحيح مسلم ٣: ١٢٦١، وصحيح ابن حبان ١٠: ٢٢٠، وجامع الترمذي ٤: ١١٢.

(٣) في صحيح البخاري ٦: ٢٤٣٧، وغيره.

(٤) منحة الخالق ٢: ٦٢، وغيره.

قال العثماني(١): «النذر المعلق صورته صورة إطماع، وكأنَّ الناذر يُطمع الله سبحانه وتعالىٰ في عبادته إن أنجز له ما يريده، والله سبحانه وتعالىٰ غني عن ذلك، فالمسنون المأثور للعبد إذا عرضته حاجة: أن يدعو الله سبحانه، ويعبده ويتصدق لوجهه، فإنَّ جميع ذلك مفيد في دفع البلايا، وأما أن يعلِّق عبادته بحصول ما يريد، فإنَّه بظاهره ينافي إخلاص العبادة، والله سبحانه أعلم».

* الآفة السّادسة والأربعون: تعليق الحلف بالكفر:

وهو الحلف بالخروج من الإسلام إن لم يفعل أو لم يكن صادقاً.

وصورته: إن فعلت كذا فأنا كافر؛ لأنَّ حرمة الكُفر كحرمة هتك اسم الله ﷻ، فإذا جعل فعله علماً علىٰ الكفر، فقد اعتقده واجب الامتناع، وقد أمكن القول بوجوب الامتناع بجعله يميناً كما يقول في تحريم الحلال(٢)، فقد سئل رسول الله ﷺ عن الرَّجل يقول: «هو يهودي أو نصراني أو بريء من الإسلام في اليمين يحلف عليه فيحنث، قال: كفارة يمين»(٣)، وقال ابن عباس رضي الله عنه في الرَّجل يقول: «هو يهودي أو نصراني أو مجوسي أو بريء من الإسلام، قال: يمين مغلظة»(٤).

---

(١) في تكملة فتح الملهم ٢: ١٥٤.

(٢) ينظر: البحر الرائق ٤: ٣٠٩، وغيره.

(٣) في سنن البيهقي الكبير ١٠: ٣٠ وضعّفه. وينظر: التحقيق في أحاديث الخلاف ٢: ٣٧٨، وإعلاء السنن ١١: ٣٨٣ وغيرهما، وفيهما أنَّ مذهب الحنابلة أنَّها يمين.

(٤) في مصنف عبد الرزاق٨: ٤٨٠ وغيره.

وحكمه:

يكره تحريماً كراهة إساءة إن كان عالماً أنه يمين، ويحرم إن كان جاهلاً؛ لأنه عرض نفسه للكفر، فهو إن كان عالماً أنَّه يمين لا يَكفر في الماضي والمستقبل، وإن كان جاهلاً أو عنده أنَّه يَكفر بالحلف في الغَموس أو بمباشرة الشرط في المستقبل، يَكفر فيهما[1]؛ لأنَّه لما أقدم عليه وعنده أنَّه يَكفر، فقد رضي بالكفر[2]، وعلى هذا يحمل حديث رسول الله ﷺ: «من حلف بملة غير الإسلام كاذباً فهو كما قال»[3]، وفي رواية: «كاذباً متعمداً»[4].

* الآفة السّابعة والأربعون: كثرة الحلف بالله تعالى:

وهو أن يكثر الحلف بالله تعالى بلا مبالاة بالبرِّ والحنث.

وحكمه:

يكره تحريماً كراهة إثم إن لم يكن يراعي اليمين في البر والحنث؛ لاستهانته بالله تعالى وانتهاك حرمة القسم واعتياد لسانه على ذلك.

---

(١) وقال الشافعي رضي الله عنه: إذا قال: إن فعلت كذا فأنا يهودي أو بريء من الله، لم تجب عليه الكفَّارة؛ لأنَّه حلف بمحظور أثبته لنفسه. ينظر: النكت ٣: ١٧٥، وغيره.

(٢) ينظر: الدر المختار ورد المحتار ٣: ٧١٨-٧١٩، وغيرهما.

(٣) في جامع الترمذي ٤: ١١٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) في مسند أبي عوانة ٤: ٤٣، وغيره.

ويكره تنزيهاً إن كان يراعي اليمني براً وحنثاً، قال الزَّيْلَعِيّ[1]: «واليمين بالله تعالىٰ لا يكره، وتقليله أولىٰ من تكثيره»، وقال السَّرَخْسِيّ[2]: «لا بأس للإنسان أن يحلف مختاراً».

وقد حلف رسول الله ﷺ غير مرة من غير ضرورة كانت له في ذلك، ولأنَّ الحلف بالله تعظيم له، وربّما ضم إلىٰ يمينه وصف الله تعالىٰ بتعظيمه وتوحيده، فيكون مثاباً علىٰ ذلك، ولأنَّ النبي ﷺ كان يحلف كثيراً، وقد كان يحلف في الحديث الواحد أيماناً كثيرة، وربّما كرر اليمين الواحدة ثلاثاً، ولو كان هذا مكروهاً، لكان النبي ﷺ أبعد الناس عنه[3].

فقال ﷺ في خطبة الكسوف: «والله يا أمة محمد، ما أحد أَغير من الله أن يزني عبده، أو تزني أَمَته، يا أُمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»[4]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «جاءت امرأة من الأنصار إلىٰ رسول الله ﷺ قال فخلا بها رسول الله ﷺ وقال: والذي نفسي بيده إنَّكم لأحب الناس إليَّ ثلاث مرات»[5]، وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله

---

(١) في تبيين الحقائق ٣: ١٠٧.

(٢) في المبسوط ٨: ١٤٩.

(٣) ينظر: المغني ٩: ٣٨٧ وغيره.

(٤) في صحيح البخاري ١: ٣٥٤، وغيره.

(٥) في صحيح مسلم ٤: ١٩٤٨، وغيره.

ﷺ: «والله لأغزون قريشاً، والله لأغزون قريشاً، والله لأغزون قريشاً، ثُمَّ سكت فقال: إن شاء الله»[1].

وتأويل قوله ﷻ: {وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ}[البقرة: ٢٢٤].

ليس المراد منها المنع من اليمين مطلقاً، وإنَّما المنع من أن تكون اليمين مانعة من أعمال البرّ والتقوىٰ والصلاح بين الناس، فإذا طُلب منه ذلك قال: قد حلفت؛ فيجعل اليمين معترضة بينه وبين ما هو مندوب إليه أو هو مأمور به من البرّ والتقوىٰ والإصلاح، فإن حلف حالف أن لا يفعل ذلك فليفعل وَلْيَدَع يمينه، أو أن يريد به كثرة الحلف، وهو ضربٌ من الجرأة علىٰ الله تعالىٰ، وابتذال لاسمه ﷻ في كلّ حق وباطل؛ لأنَّ تَبَرُّوا في الحلف بها وتتقوا المأثم فيها...»[2]، قال السَّرَخْسيّ[3]: «وتأويل تلك الآية: أنَّه يجازف في الحلف من غير مراعاة البر والحنث».

---

(١) في صحيح ابن حبان ١٠: ١٨٥، وسنن البيهقي الكبير ١٠: ٤٧، وسنن أبي داود ٣: ٢٣١، وغيرها.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص ١: ٤٨٢-٤٨٣.

(٣) في المبسوط ٨: ١٤٩.

المطلب الثّاني عشر: الغيبة والنميمة وأمثالها:

* الآفة الثامنة والأربعون: الغِيبة[1]:

وهي ذكر مساوئ المسلم المعين المعلوم عند المخاطب.

وحكمه:

يحرم ذكرك أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرته بنقص في بدنه، أو نسبه، أو في خلقه، أو في فعله، أو في قوله، أو في دينه، أو في دنياه، حتى في ثوبه، وداره، ودابته.

والتعريض كالتصريح، والفعل كالقول، بل هما أشدُّ أنواعها؛ لأنهما أعظم في التصوير والتفهيم[2].

وكلُّ هذا وإن كان صادقاً فيه، فهو به مغتابٌ عاص لربِّه وآكل لحم أَخيه[3]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: فرأيت إن كان في أخي ما أقول. قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»[4].

---

(١) كنت فيما سبق اختصرت الغيبة من الإحياء مع إضافة فوائد ولطائف، وأخرجتها في كتاب سميته ضوابط الغيبة، وقد أدرجته في هذا التأليف.

(٢) ينظر: البريقة والطريقة٣: ١٨٣.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٤٣.

(٤) في صحيح مسلم ٤: ٢٠٠١، وصحيح ابن حبان ١٣: ٧١، وجامع الترمذي ٤: ٣٢٩، وسنن الدارمي ٢: ٣٨٧، وغيرها.

ومن صور الغيبة وعمومها وسماها:

أولاً: صور الغيبة:

١ . أن تكون في البدن:

كذكرك: العمش، والحول، والقرع، والقصر، والطول، والسواد، والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به ممَّا يكرهه كيفما كان[١]، فعن عائشة رضي الله عنها، «إنها ذكرت امرأة وقالت...: امرأة: إنها قصيرة، فقال: اغتبتها ما أحب إني حكيت أحداً وإن لي كذا وكذا»[٢]، وفي لفظ: «يا رسول الله إن صفيه امرأة، وقالت: بيدها هكذا كأنها تعني قصيرة. فقال: لقد مزجت بكلمة لو مزجت بها ماء البحر لمزج»[٣]، وفي لفظ: «جاءت امرأة قصيرة إلى رسول الله ﷺ وأنا جالسة عنده فقلت بإبهامي هكذا، فأشرت بها إلى النبي ﷺ أي أنها مثل الإبهام، فقال رسول الله ﷺ: لقد اغتبتيها»[٤].

٢ . أن تكون في النسب:

بأن تقول: أبوه نبطي، أو هندي، أو فاسق، أو خسيس، أو اسكاف، أو زبال، أو شيء مما يكرهه كيفما كان.

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٤٣.

(٢) في مسند أحمد ٦: ٢٠٦.

(٣) في جامع الترمذي ٤: ٦٦٠، ومسند أحمد ٦: ١٨٩، وغيرها.

(٤) في مسند إسحاق بن راهويه ٣: ٩٢١، واللفظ له، وشعب الإيمان ٥: ٣١٣، وغيرها.

٣. أن تكون في الخلق:

بأن تقول: هو سيئ الخلق، بخيل، متكبر، مراء، شديد الغضب، عاجز، ضعيف القلب، متهور، وما يجري مجراه[1]، فعن معاذ بن جبل ﵁ قال: «كنت عند النبي ﷺ فذكروا رجلاً عنده، فقالوا: ما أعجزه. فقال النبي ﷺ: اغتبتم أخاكم. قالوا: يا رسول الله قلنا ما فيه، قال: إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه»[2].

٤. أن تكون في الأفعال المتعلقة بالدِّين:

بأن تقول: سارق، أو كذاب، أو شارب خمر، أو خائن، أو ظالم، أو متهاون بالصلاة، أو الزكاة، أو لا يحسن الركوع، أو السجود، أو لا يحترز من النَّجاسات، أو ليس باراً بوالديه، أو لا يضع الزكاة موضعها، أو لا يحسن قسمها، أو لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة، والتعرض لأعراض النَّاس.

٥. أن تكون في الأفعال المتعلقة بالدنيا:

بأن تقول: إنه قليل الأدب، متهاون بالناس، أو لا يرى لأحدٍ على نفسه حقّاً، أو يرى لنفسه الحقّ على النّاس، أو أنه كثير الكلام، كثير الأكل، يَنام في غير وقت النوم، ويجلس في غير موضعه.

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٤٣.

(٢) في المعجم الكبير ٢٠: ٣٩، وشعب الإيمان ٥: ٣٠٤، وقال العراقي في المغني ٣: ١٥٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ٨: ٩٤: إسناده ضعيف.

٦. أن تكون في الثوب:

بأن تقول: إنه واسع الكم، طويل الذيل، وسخ الثياب[١]، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي ﷺ إن هذه لطويلة الذيل، فقال: أسهرت[٢] أسهرت، فلفظت بضعة[٣] من لحم)[٤].

ثانياً: شمول الغيبة لغير اللسان:

الذِّكرُ باللسان إنما حَرُمَ؛ لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يَكرهه، فالتعريض به كالتصريح، والفعل فيه كالقول، لذلك كانت الغيبة تشمل كل ما يفهم المقصود فيكون داخلاً في الغيبة، ومنها:

١. الإشارة.

٢. الإيماء.

٣. الغمز.

٤. الهمز.

٥. الحركة.

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٤٣.

(٢) أسهرت: معناه ارمي ما في فمك. ينظر: الترغيب ٣: ٣٢٧، وغيره.

(٣) البضعة: القطعة. ينظر: الترغيب ٣: ٣٢٧، وغيره،

(٤) رواه ابن أبي الدنيا وابن مردويه في التفسير، وسكت عنه المنذري في الترغيب ٣: ٣٢٧، وقال العراقي في المغني ٣: ١٥٤: في إسناده امرأة لا أعرفها.

٦.المحاكاة يمشي متعارجاً، أو كما يمشي فهو غيبة، بل هو أشد من الغيبة؛ لأنه أعظم في التصوير والتفهيم.

٧.الكتابة؛ لأن القلم أحد اللسانين، وذكر المصنف شخصاً معيناً وتهجين كلامه في الكتاب غيبة، إلا أن يقترن به شيء من الأعذار المحوجة إلى ذكره[1].

٧.الإفهام بتعيين شخص، كمن يقول: بعض من مر بنا اليوم أو بعض مَن رأيناه إذا كان المخاطب يفهم شيخاً معيناً؛ لأن المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم، وأما إذا لم يفهم عينه جاز[2].

وأما عدم التعيين ليس بغيبة، فإذا لم يفهم عينه جاز؛ لأن رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئاً قال: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا، فكان لا يعين، فأما إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهي غيبة[3]، ومن ذلك:

١.قوله ﷺ: «ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا، لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»[4].

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٤٤.

(٢) ينظر التنوير والدر المختار٦: ٤١٠.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٤٥.

(٤) في صحيح مسلم ٢: ١٠٢٠، وغيره.

٢.قوله ﷺ: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم، فاشتد قوله في ذلك حتى قال: لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم»[١].

٣.عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل ما بال فلان يقول، ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا»[٢].

ثالثاً: سماع الغيبة:

الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب يزيد نشاط المغتاب في الغيبة، فيندفع فيها، وكأنه بتعجبه يستخرج الغيبة منه، فيقول: ما علمت أنه كذلك! ما عرفته إلى الآن إلا بالخير! وكنت أحسب فيه غير هذا! عافانا الله من بلائه! فإن كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة، بل الساكت شريك المغتاب[٣]، بدليل:

١.عن ابن عمر رضي الله عنه: «أنه ﷺ نهى عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة»[٤].

---

(١) في صحيح البخاري ١: ٢٦١، وغيره.

(٢) في سنن أبي داود ٤: ٢٥٠، وقال العراقي في المغني ٣: ١٥٤: رجاله رجال الصحيح.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٤٥.

(٤) رواه الطبراني في معجمه الكبير والأوسط، قال الهيثمي في المجمع ٨: ٩١: فيه فرات بن السائب وهو متروك، وقال العراقي في المغني ٣: ١٥٥: ضعيف. وينظر: كشف الخفاء ٢: ٢٨٠، وغيره.

٢.عن سهل بن حنيف ﷺ قال ﷺ: «من أذل عنده مؤمن ولم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذله الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة»[١].

٣.عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، قال ﷺ: «مَن ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار»[٢].

٤.عن أبي الدرداء ﷺ قال ﷺ: «مَن رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة»[٣].

ومن الأسباب الباعثة على الغيبة:

أولاً: أن يشفي الغيظ:

وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه، فإنه إذا هاج غضبه يشتفي بذكر مساويه، فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وازع، وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب، فيحتقن الغضب في الباطن فيصير حقداً ثابتاً، فيكون سبباً دائماً لذكر المساوي، فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة.

---

(١) في مسند أحمد ٣: ٤٨٧، والمعجم الكبير ٦: ٧٣، قال الهيثمي في المجمع ٤: ٢٦٧: فيه ابن لهيعة وهو حسن الحديث، وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات.

(٢) في مسند إسحاق بن راهويه ١: ١٨٤، والمعجم الكبير ٢٤: ١٧٦، قال الهيثمي في المجمع ٨: ٩٥: رواه أحمد بإسناد حسن.

(٣) في جامع الترمذي ٤: ٣٢٧، وحسنه، وسنن البيهقي الكبير٨: ١٦٨، ومسند أحمد ٦: ٤٤٩، ومسند الحارث ٢: ٨٣٦، ومسند عبد بن حميد ١: ١٠٠، وشعب الإيمان ٦: ١١١.

ثانياً: موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام:

فإنهم إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض فيرى أنه لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه، فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة، ويظن أنه مجاملة في الصحبة، وقد يغضب رفقاؤه، فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهاراً للمساهمة في السراء والضراء، فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي.

ثالثاً: أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده بالسوء:

بأن يطول لسانه عليه أو يقبح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة؛ فيبادره إلى تقبيح حاله، ويطعن فيه؛ ليسقط أثر شهادته

رابعاً: أن ينسب إلى شيء، فيريد أن يتبرأ منه:

فيذكر الذي فعله، وكان من حقه أن يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعل، فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركاً له في الفعل؛ ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله.

خامساً: إرادة التصنع والمباهاة:

وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره، فيقول: فلان جاهل وفهمه ركيك، وكلامه ضعيف، وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه، ويريهم أنه أعلم منه، أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه، فيقدح فيه لذلك.

سادساً: الحسد:

وهو أنه ربما يحسد مَن يثني الناس عليه، ويحبونه، ويكرمونه، فيريد زوال تلك النعمة عنه، فلا يجد سبيلاً إليه إلا بالقدح فيه، فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه؛ لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه وإكرامهم له.

والفرق بين الحسد والغضب والحقد:

١. إن الغضب والحقد يستدعي جناية من المغضوب عليه.

٢. إن الحسد قد يكون مع الصديق المحسن والرفيق الموافق.

سابعاً: اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك:

فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة، ومنشؤه التكبر والعجب.

ثامناً: السخرية والاستهزاء استحقاراً له:

فإن ذلك قد يجري في الحضور، ويجري أيضاً في الغيبة، ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به.

فعن عامر بن واثلة رضي الله عنه إن رجلاً مرّ على قوم فردوا عليه السلام، فلما جاوزهم قال رجل منهم: والله إني لأبغض هذا في الله. فقال أهل المجلس: بئس والله ما قلت، أما والله لتنبئنه قم يا فلان رجلاً منهم فأخبره، قال فأدركه رسولهم أفأخبره بما قال، فانصرف الرجل وأخبر رسول الله ﷺ، فدعاه ﷺ فسأله عما أخبره الرجل فاعترف بذلك، وقال: أنا جاره وأنا به

خابر، والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه الصلاة المكتوبة التي يصليها البر والفاجر، قال الرجل: سله يا رسول الله هل رآني قط أخرتها عن وقتها، أو أسأت الوضوء لها أو أسأت الركوع والسجود فيها، فسأله رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: لا... فقال له رسول الله ﷺ: قم إن أدرىٰ لعله خير منك)[1].

تاسعاً: التعجب في إنكار المنكر تديناً، والخطأ في الدين:

فيقول: ما أعجب ما رأيت من فلان، فإنه قد يكون به صادقاً، ويكون تعجبه من المنكر، ولكن كان حقّه أن يتعجب، ولا يذكر اسمه، فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه، فصار به مغتاباً وآثماً من حيث لا يدري، ومن ذلك قول الرجل: تعجبت من فلان كيف يحب زوجته، وهي قبيحة، وكيف يجلس بين يدي فلان، وهو جاهل.

عاشراً: الرحمة:

وهو أن يغتم بسبب ما يُبتلىٰ به، فيقول: مسكين فلان قد غمني أمره، وما ابتلي به، فيكون صادقاً في دعوىٰ الاغتمام، ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه، فيذكره فيصير به مغتاباً، فيكون غمه ورحمته خيراً، وكذا تعجبه، ولكن ساقه الشيطان إلىٰ شرٍّ من حيث لا يدري.

والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان علىٰ ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه.

---

(١) في مسند أحمد ٥: ٤٥٥، وقال العراقي في المغني ٣: ١٥٧: إسناده صحيح.

الحادي عشر: الغضب لله تعالىٰ:

فإنّه قد يغضب علىٰ منكر قارفه إنسان إذا رآه، أو سمعه، فيظهر غضبه، ويذكر اسمه، وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يظهره علىٰ غيره، أو يستر اسمه، ولا يذكره بالسوء[1].

ومن طرق علاج اللسان عن الغيبة:

اعلم أن مساويء الأخلاق كلها إنّما تعالج بمعجون العلم والعمل، وإنّما علاج كلّ علّة بمضادة سببها، فلنفحص عن سببها.

والعلاج علىٰ وجهين:

أولاً: العلاج العام:

علاج كف اللسان عن الغيبة أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالىٰ بغيبته بهذه الآثار الواردة فيه، وأن يعلم أنّها محبطة لحسناته يوم القيامة، فإنها تنقل حسناته يوم القيامة إلىٰ مَن اغتابه بدلاً عما استباحه من عرضه، فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه.

وهو مع ذلك متعرض لمقت الله ﷻ ومشبه عنده بآكل الميتة، بل العبد يدخل النار بأن تترجح كفة سيئاته علىٰ كفة حسناته، وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه، فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار، وإنّما أقل

---

(١) ينظر: إحياء العلوم الدين٣: ١٥٣ وما قبلها.

الدّرجات أن تنقص من ثواب أعماله، وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب.

وروي أنّ رجلاً قال للحسن رضي الله عنه: «بلغني أنك تغتابني، فقال: ما بلغ من قدرك عندي أني أحكمك في حسناتي».

فإن آمن العبد بما ورد من الآثار في الغيبة لم يطلق لسانه بها خوفاً من ذلك.

وينفعه أيضاً أن يتدبر في نفسِه، فإن وَجَدَ فيها عيباً اشتغل بعيب نفسه، فعن أنس رضي الله عنه، قال: «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته العضباء، فقال: يا أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأنما نشيع من الموتى سفر عما قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم كأنكم مخلدون بعدهم، قد نسيتم كلّ واعظة وأمنتم كل جائحة، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وتواضع لله في غير منقصة، وأنفق من مال جمعه في غير معصية، وخالط أهل الفقه وجانب أهل الشك والبدعة، وصلحت علانيته وعزل الناس من شره»(١).

ومهما وجد عيباً، فينبغي أن يستحي من أن يترك ذم نفسه، ويذم غيره، بل ينبغي أن يتحقَّق أن عجز غيره عن نفسِه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه.

---

(١) في مسند البزار١٢: ٣٤٨، ومسند الشهاب١: ٣٥٨، وشعب الإيمان١٣: ١٤٢، وحلية الأولياء٣: ٢٠٣، وسنده ضعيف، كما في المغني٣: ١٤٨.

وهذا إن كان ذلك عيباً يتعلق بفعله واختياره، وإن كان أمراً خلقياً، فالذم له ذم للخالق، فإن من ذمّ صنعة فقد ذمّ صانعها، قال رجل لحكيم: يا قبيح الوجه، قال: ما كان خلق وجهي إلي فأحسنه، وإذا لم يجد العبد عيباً في نفسه، فليشكر الله تعالى، ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب، فإن ثلب الناس، وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب، بل لو أنصف لعلم أنّ ظنَّه بنفسه أنه بريء من كل عيب جهل بنفسه، وهو من أعظم العيوب.

وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له، فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب، فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه، فهذه معالجات للغيبة جملة.

ثانياً: العلاج الخاص:

وأما التفصيل: فهو أن ينظر في السَّبب الباعث له على الغيبة، فإن علاج العلّة بقطع سببها، وهي على النحو الآتي:

١ .الغضب:

فيعالجه بأن يقول: إني إذا أمضيت غضبي عليه، فلعل الله تعالى يمضي غضبه علي بسبب الغيبة؛ إذ نهاني عنها، فاجترأت على نهيه، واستخففت بزجره، فعن أنس رضي الله عنه، قال ﷺ: «مَن كظم غيظاً، وهو يقدر على أن يُنفذه دعاه الله على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور شاء»(١).

---

(١) في سنن الترمذي ٤: ٦٥٦، وحسنه، والمعجم الكبير ٢٠: ١٨٨.

٢.تنزيه النفس بنسبة الغير إلىٰ الخيانة:

فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لمقت الخالق أشدُّ من التَّعرض لمقت المخلوقين، وأنت بالغيبة متعرضٌ لسخط الله يقيناً، ولا تدري أنك تتخلص من سخط الناس أم لا، فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم، وتهلك في الآخرة، وتخسر حسناتك بالحقيقةِ، ويحصل لك ذمٌّ الله تعالىٰ نقداً، وتنتظر دفع ذمّ الخلق نسيئة، وهذا غاية الجهل والخذلان.

وأمّا عذرك كقولك: إن أكلت الحرام ففلان يأكله، وإن قبلت مال السلطان ففلان يقبله، فهذا جهل؛ لأنك تعتذر بالاقتداء بمَن لا يجوز الاقتداء به، فإن مَن خالف أمر الله تعالىٰ لا يقتدي به كائناً من كان ولو دخل غيرك النّار وأنت تقدر علىٰ أن لا تدخلها لم توافقه، ولو وافقته لسفه عقلك، ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها إلىٰ ما اعتذرت عنه، وسجلت مع الجمع بين المعصيتين علىٰ جهلك وغباوتك، وكنت كالشاة تنظر إلىٰ المعزىٰ تردي نفسها من تلة الجبل فهي أيضاً تردي نفسها.

٣.قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك:

فيعالج بمعرفتك أنك إذا ذكرته بما يكرهه أبطلت فضلك عند الله، وأنت من اعتقاد الناس فضلك علىٰ خطر، وربما نقص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلب الناس، فتكون قد بعت ما عند الخالق يقيناً بما عند المخلوقين، وهما ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل، لكانوا: لا يغنون عنك من الله شيئاً.

٤. الحسد:

فيعالج بأن تعلم أنه جمع بين عذابين؛ لأنك حسدته على نعمة الدنيا، وكنت في الدنيا معذباً بالحسد، فما قنعت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة، فكنت خاسراً نفسك في الدنيا، فصرت أيضاً خاسراً في الآخرة لتجمع بين النكالين، فقد قصدت محسودك، فأصبت نفسك وأهديت إليه حسناتك، فإذا أنت صديقه وعدو نفسك؛ إذ لا تضره غيبتك وتضرك، وتنفعه إذ تنقل إليه حسناتك أو تنقل إليك سيئاته، ولا تنفعك.

وقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحماقة، وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك، كما قيل: وإذا أراد الله نشر فضيله طويت أتاح لها لسان حسود.

٥. الاستهزاء:

فيعالج أن تعلم أن مقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام، فلو تفكرت في حسرتك وجنايتك وخجلتك وخزيك يوم القيامة، يوم تحمل سيئات مَن استهزأت به، وتُساق إلى النار لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك.

ولو عرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك، فإنك سخرت به عند نفر قليل، وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة بيدك على ملأ من الناس،

ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار إلى النار، مستهزئاً بك وفرحا بخزيك، ومسرورا بنصرة الله تعالى إياه عليك، وتسلطه على الانتقام منك.

٦. الرحمة له على إثمه، فهو حسنٌ:

فيعالج بأن تعلم بأن حسدك إبليس فأضلك، واستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك، فيكون جبراً لإثم المرحوم، فيخرج عن كونه مرحوماً، وتنقلب أنت مستحقاً لأن تكون مرجوماً؛ إذ حبط أجرك، ونقصت من حسناتك.

٧. الغضب لله تعالى:

فيعالج بأن تعلم أنه لا يوجب الغيبة، وإنما الشيطان حبب إليك الغيبة؛ ليحبط أجر غضبك وتصير معرضاً لمقت الله عز وجل بالغيبة.

٨. التعجب:

فيعاجل بأن تعجب من نفسك أنت كيف أهلكت نفسك ودينك بدين غيرك أو بدنياه، وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا، وهو أن يهتك الله سترك، كما هتكت بالتعجب ستر أخيك، فإذن علاج جميع ذلك المعرفة فقط.

والتحقق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان، فمَن قوى إيمانه بجميع ذلك أنكف لسانه عن الغيبة لا محالة[1].

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٤٥ـ ١٥٠.

تحريم الغيبة بالقلب:

اعلم أن سوء الظَنِّ حرامٌ مثل سوء القول، فكما يحرمُ عليك أن تُحدِّثَ غيرك بلسانك بمساوئ الغير، فليس لك أن تُحدِّثَ نفسك، وتُسيء الظَّنَّ بأخيك، ولست أَعني به إلا عقد القلب، وحكمه على غيره بالسوء، فأمّا الخواطر وحديث النفس، فهو معفو عنه، بل الشَّك أيضاً معفو عنه، ولكن المنهي عنه أن يَظنَّ، والظن عبارةٌ عما تركنُ إليه النفس، ويميل إليه القلب فقد قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ}[الحجرات:١٢].

وسبب تحريمه: أنّ أسرارَ القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً، إلا إذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل، فعند ذلك لا يُمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك، ثم وقع في قلبك، فإنّما الشيطان يُلقيه إليك.

فينبغي أن تكذبه فإنّه أفسق الفُسَّاق، وقد قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين}[الحجرات:٦].

فلا يجوز تصديق إبليس، وإن كان ثم مخيلة تدل على فساد، واحتمل خلافه لم يجز أن تصدِّقَ به؛ لأنّ الفاسقَ يُتصَوَّرُ أن يصدق في خيره، ولكن لا يجوز لك أن تصدق به، حتى إن مَن استنكه، فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز أن يُحدّ؛ إذ يُقال: يمكن أن يكون قد تمضمض بالخمر ومجها وما شربها، أو

حمل عليه قهراً، فكلُّ ذلك لا محالة دلالة محتملة، فلا يجوز تصديقها بالقلب، وإساءة الظن بالمسلم بها.

فعن ابن عباس ﵁، قال ﷺ: «مرحباً بك من بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك، وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك، إن الله حرم منك واحدة وحرم من المؤمن ثلاثاً: دمه، وماله، وأن يظن به ظن السوء»[١].

فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال، وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة، فإذا لم يكن كذلك، وخطر لك وسواس سوء الظّنِّ، فينبغي أن تدفعه عن نفسك.

وتقرر عليها أن حاله عندك مستور، كما كان، وأن ما رأيته منه يحتمل الخير والشر، فإن قلت: فبماذا يعرف عقد الظّنِّ، والشكوك تختلج والنفس تُحَدِّثُ فنقول: أمارة عقد سوء الظّنِّ أن يتغيّرَ القلب معه عما كان، فيَنفر عنه نفوراً ما، ويستثقله ويفتر عن مراعاته، وتفقده وإكرامه والاغتمام بسببه، فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه.

أما في القلب فبتغيره إلى النفرة والكراهة.

وأما في الجوارح فبالعمل بموجبه، والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى مخيلة مساءة الناس، ويلقى إليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك

---

(١) في شعب الإيمان٩: ٧٥، وحلية الأولياء٩: ٢٩١، وفي المغني٣ ١٥١: سند ضعيف، ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر ﵁.

وذكائك، وأنّ المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناظرٌ بغرور الشيطان وظلمته.

وأمّا إذا أخبرك به عدل، فمال ظنّك إلى تصديقه كنت معذوراً؛ لأنك لو كذّبته لكنت جانياً على هذا العدل؛ إذ ظننت به الكذب، وذلك أيضاً من سوء الظّنِّ، فلا ينبغي أن تحسن الظنّ بواحدٍ وتسيء بالآخر، نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت، فتتطرق التُّهمة بسببه، فقد ردّ الشرع شهادة الأب العدل للولد للتهمة، ورد شهادة العدو حديث رد الشرع شهادة الوالد العدل وشهادة العدو، فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه، «أن رسول الله ﷺ رد شهادة الخائن، والخائنة وذي الغمر على أخيه، ورد شهادة القانع لأهل البيت، وأجازها لغيرهم»، قال أبو داود: الغمر: الحنة، والشحناء، والقانع: الأجير التابع مثل الأجير الخاص»[1].

فلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلاً، فلا تصدقه ولا تكذبه، ولكن تقول في نفسك المذكور حاله: كان عندي في ستر الله تعالى، وكان أمره محجوباً عني، وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره، وقد يكون الرجل ظاهره العدالة، ولا محاسدة بينه وبين المذكور، ولكن قد يكون من عادته التَّعرُّض للناس، وذكر مساويهم، فهذا قد يُظَنُّ أنّه عدل وليس بعدل، فإن المغتاب فاسق.

---

(١) في سنن أبي داود٣: ٣٠٦، ومسند أحمد١١: ٦٧١، وإسناده جيد، كما في المغني٣: ١٥١.

وإن كان ذلك من عادته رُدَّت شهادته إلا أنّ الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر الغيبة، ولم يكترثوا بتناول أعراض الخلق، ومهما خَطَرَ لك خاطر بسوءٍ على مسلم، فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير، فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك، فلا يلقى إليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة.

ومهما عرفت هفوة مسلم بحجةٍ فانصحه في السِّرّ، ولا يخدعنك الشيطان، فيدعوك إلى اغتيابه، وإذا وعظته، فلا تعظه وأنت مسرورٌ باطلاعك على نقصِه، لينظر إليك بعين التَّعظيم، وتنظر إليه بعين الاستحقار، وتترفع عليه بإيذاء الوعظ، وليكن قصدُك تخليصه من الإثم، وأنت حزينٌ، كما تحزن على نفسك إذا دخل عليلاً نقصان في دينك.

وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحبُّ إليك من تركه بالنصيحة، فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ، وأجر الغم بمصيبته، وأجر الإعانة له على دينة.

ومن ثمرات سوء الظن التَّجسس، فإن القلب لا يقنع بالظَّنِّ، ويطلب التَّحقيق، فيَشتغل بالتجسس، وهو أيضا منهي عنه، قال الله تعالى: {وَلاَ تَجَسَّسُوا}[الحجرات:١٢]، فالغيبةُ وسوءُ الظنِّ والتَّجسس منهي عنه في آية واحدة.

ومعنى التَّجسس أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله، فيتوصل إلى الإطلاع وهتك الستر، حتى ينكشف له ما لو كان مستوراً عنه[1].

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٥٠ـ ١٥٣.

ومن الأعذار المرخصة في الغيبة:

اعلم أنّ المرخص في ذكر مساوئ الغير هو غرض صحيح في الشَّرع لا يُمكن التوصل إليه إلا به، فيدفع ذلك إثم الغيبة، ونظم ابن عابدين ما تباح فيه الغيبة[1]، فقال:

بِمَا يكْرَهُ الإنْسَانُ يَحْرُمُ سِوَىٰ عَشْرَةٍ حَلَّتْ أَتَتْ تِلْوَ وَاحِد
تَظَلَّمْ وَشِرْ وَاجْرَحْ وَبَيِّنْ بِفِسْق وَمَجْهُولا وَغِشًّا لِقَاصِدِ
وَعَرِّفْ كَذَا اسْتَفْتِ اسْتَعِنْ عِنْدَ كَذَاكَ اهْتَمِمْ حَذِّرْ فُجُورَ مُعَانِدِ

ومن هذه الأعذار:

أولاً: التّظلُّم:

فإن مَن ذَكَرَ قاضياً بالظُّلم والخيانة وأخذ الرَّشوة كان مغتاباً عاصياً إن لم يكن مظلوماً، أمّا المظلومُ من جهة القاضي، فله أن يتظلَّم إلى السُّلطان، وينسبه إلى الظلم؛ إذ لا يمكنه استيفاء حقّه إلا به، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يتقاضاه، فأغلظ فهم به أصحابه، فقال صلى الله عليه وسلم: «دعوه، فإن لصاحب الحق مقالا»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «مطل الغني ظلم»[3].

---

(١) في رد المحتار ٨: ٤٠٩.

(٢) في صحيح البخاري٣: ٩٩، وصحيح مسلم٣: ١٢٢٥.

(٣) في صحيح البخاري٣: ٩٤، وصحيح مسلم٣: ١١٩٧.

ثانياً: الاستعانة:

بأن يسعى إلى تغيير المنكر ورد العاصي إلى منهج الصلاح، كما روي أن عمر ﵁ مرّ على عثمان ﵁، وقيل: على طلحة ﵁، فسلم عليه فلم يرد السلام، فذهب إلى أبي بكر ﵁ فذكر له ذلك، فجاء أبو بكر ﵁ إليه ليصلح لك، ولم يكن ذلك غيبة عندهم.

وهذا إذا كان قصده أن ينكر عليه ذلك، فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره، وإنّما إباحة هذا بالقصد الصحيح، فإن لم يكن ذلك هو المقصود كان حراماً.

ثالثاً: الاستفتاء:

كما يقول للمفتي: ظلمني أبي أو زوجتي أو أخي، فكيف طريقي في الخلاص، والأسلم التعريض بأن يقول ما قولك: في رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته، ولكن التعيين مباح بهذا القدر؛ لما روي عن عائشة رضي الله عنها: قالت هند أم معاوية لرسول الله ﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح، فهل علي جناح أن آخذ من ماله سرا؟ قال: «خذي أنت وبنوك ما يكفيك بالمعروف»[١].

فذكرت الشحّ والظُّلم لها ولولدها ولم يزجرها ﷺ؛ إذ كان قصدها الاستفتاء.

---

(١) في صحيح البخاري٣: ٧٩، وصحيح مسلم٣: ١٣٣٨.

قال ابن عابدين[١]: «التصريح مباح بهذا القدر؛ لأنَّ المفتي قد يدرك مع تعيينه ما لا يدرك مع إبهامه».

رابعاً: تحذير المسلم من الشَّرّ:

فإذا رأيت فقيهاً يتردَّدُ إلى مبتدع أو فاسق، وخفت أن تتعدَّى إليه بدعته وفسقه، فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غيره.

وذلك موضع الغرور؛ إذ قد يكون الحسد هو الباعث، ويلبس الشيطان ذلك بإظهار الشفقة على الخلق.

وكذلك المزكي إذا سئل عن الشَّاهد، فله الطَّعن فيه إن علم مطعناً.

قال ابن عابدين[٢]: «جرحُ المجروحين من الرُّواة والشُّهود والمُصنفين، فهو جائزٌ، بل واجب؛ صوناً للشَّريعة».

خامساً: أن يكون الإنسانُ معروفاً بلقب يُعرب عن عيبه:

كالأعرج والأعمش، فلا إثم على مَن يقول: روى أبو الزناد عن الأعرج، وسلمان عن الأعمش، وما يجري مجراه، فقد فعل العلماء ذلك؛ لضرورة التعريف، ولأن ذلك قد صار بحيث لا يَكرهه صاحبه لو علمه بعد أن قد صار مشهوراً به، نعم إن وجد عنه معدلاً، وأمكنه التعريف بعبارة

(١) في رد المحتار ٦: ٤٠٩.

(٢) في رد المحتار ٢: ٤٠٩.

أخرىٰ فهو أولىٰ، ولذلك يقال للأعمىٰ: البصير عدولاً عن اسم النقص.

سادساً: أن يكون مجاهراً بالفسق:

كالمخنث والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس، وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستنكف من أن يذكر له، ولا يَكره أن يذكر به، فإذا ذكرت فيه ما يَتظاهر به، فلا إثم عليك.

قال ابن عابدين[١]: «المجاهر بالفسق: وهو الذي لا يستتر عنه ولا يؤثر عنده إذا قيل عنه إنَّه يفعل كذا، فيجوز ذكره بما يجاهر به لا غيره، وأما إذا كان مستتراً فلا تجوز غيبته»، فعن أنس رضي الله عنه، قال ﷺ: «من ألقىٰ جلباب الحياء عن وجهه، فلا غيبة له»[٢].

وقال عمر رضي الله عنه: «ليس لفاجر حرمة»، وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر؛ إذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته.

وقال الصلت بن طريف قلت للحسن رضي الله عنه: الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له، قال: لا، ولا كرامة.

وقال الحسن رضي الله عنه: ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوىٰ والفاسق المعلن بفسقه والإمام الجائر.

---

(١) في رد المحتار ٦: ٤٠٨.

(٢) أخرجه ابن عدي وأبو الشيخ في كتاب ثواب الأعمال بسند ضعيف، كما في المغني٣: ١٥٣.

فهؤلاء الثَّلاثةُ يجمعهم أنّهم يتظاهرون به، ورُبَّما يتفاخرون به، فكيف يكرهون ذلك، وهم يقصدون إظهاره، نعم لو ذكره بغير ما يَتظاهر به أثم، قال عوف: دخلت على ابن سيرين، فتناولت عنده الحجاج، فقال: إن اللهَ تعالى حكمٌ عدلٌ ينتقم للحجاج ممن اغتابه، كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه، وإنك إذا لقيت الله تعالى غداً كان أصغر ذنب أصبته، أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج[١].

سابعاً: المجهول:

فلا غيبة إلا لمعلوم فاغتياب أهل قرية ليس بغيبة؛ لأنه يريد به جميع أهل القرية، وكان المراد هو البعض، وهو مجهول فصار كالقذف[٢].

قال الحصكفي[٣]: «تباح غيبة مجهول».

ثامناً: الاهتمام:

فلو رجل يذكر مساوئ أخيه المسلم على وجه الاهتمام لا يكون غيبة، إنما الغيبة أن تذكر على وجه الغضب يريد السب[٤].

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٥٣، وما قبلها.

(٢) ينظر: مجمع الأنهر ٢: ٥٥٣.

(٣) في الدر المختار ٦: ٤٠٨.

(٤) ينظر: مجمع الأنهر ٢: ٥٥٣.

تاسعاً: الغش لقاصده:

أي بيان العيب لمن أراد أن يشتري شيئاً فيذكره للمشتري، وكذا لو رأىٰ المشتري يعطي البائع دراهم مغشوشة فيقول: احترز منه بكذا[١].

فمَن اشترىٰ سيارة وقد عرفت أن في السيارة عيباً، فلك أن تذكر ذلك، فإن سكوتك ضرر للمشتري، والمشتري أولىٰ بمراعاة جانبه[٢].

عاشراً: المشورة في التَّزويج وإيداع الأمانة:

فله أن يذكر ما يَعرفه علىٰ قصد النُّصح للمستشير لا علىٰ قصد الوقيعة، فإن علم أنّه يترك التزويج بمجرد قوله: لا تصلح لك، فهو الواجب، وفيه الكفاية، وإن علم أنه لا ينزجر إلا بالتصريح بعيبه، فله أن يُصرِّح به، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، قال ﷺ: «أترعوون عن ذكر الفاجر؟ اذكروه بما فيه كي يعرفه الناس ويحذره الناس»[٣].

قال ابن عابدين[٤]: «المشورة في نكاح وسفر وشركة ومجاورة وإيداع أمانة ونحوها، فله أن يذكر ما يعرفه علىٰ قصد النصح».

---

(١) ينظر: رد المحتار ٦: ٤٠٩.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين ٣: ١٥٢.

(٣) في سنن البيهقي الكبير ١٠: ٣٥٤.

(٤) في رد المحتار ٦: ٤٠٩.

كفارة الغيبة:

اعلم أنّ الواجبَ على المغتاب أن يندمَ ويتوبَ ويتأسفَ على ما فعله؛ ليخرج به من حق الله سبحانه، ثمّ يستحلّ المغتاب ليحله، فيخرج من مظلمتِه.

وينبغي أن يستحلَّه، وهو حزينٌ متأسفٌ نادمٌ على فعلِهِ؛ إذ المرائي قد يستحلُّ ليظهر من نفسه الورع، وفي الباطن لا يكون نادماً، فيكون قد قارف معصية أُخرى.

وقال الحسن ﵁: يكفيه الاستغفار دون الاستحلال، فعن أنس ﵁ قال ﷺ: «كفارة من اغتبته أن تستغفر له»[1].

وقال مجاهد ﵁: كفارة أكلك لحم أخيك أن تُثني عليه، وتدعو له بخير.

وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من الغيبة، قال: أن تمشي إلى صاحبك، فتقول له: كذبت فيما قلت، وظلمتك وأسأت، فإن شئت أخذت بحقك، وإن شئت عفوت، وهذا هو الأصح، وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه، بخلاف المال كلام ضعيف إذ قد وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به، فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، من

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت والحارث بن أبي أسامة في مسنده بسند ضعيف، كما في المغني٣: ١٥٣.

قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه»(١).

وقالت عائشة رضي الله عنها عند النبي ﷺ لامرأة قالت: «إنها طويلة الذيل، فقال ﷺ: الفظي»(٢).

فإذن لا بُدّ من الاستحلال إن قدر عليه، فإن كان غائباً أو ميتاً، فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدُّعاء ويكثر من الحسنات.

فإن قلت: فالتَّحليل هل يجب؟ فأقول: لا؛ لأنّه تبرع، والتبرع فضلٌ، وليس بواجب، ولكنه مستحسنٌ، وسبيل المعتذر أن يبالغ في الثَّناء عليه، والتودد إليه، ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه، فإن لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة.

وكان بعضُ السَّلف لا يُحلِّل، قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه: «لا أحلل من ظلمني»، وقال ابن سيرين رضي الله عنه: «إني لم أحرمها عليه، فأحللها له، إن الله حرم الغيبة عليه، وما كنت لأحلل ما حرم الله أبداً».

وعلى الجملة فالعفو أفضل، قال الحسن رضي الله عنه: «إذا جثت الأمم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة نودوا ليقم مَن كان له أجر على الله، فلا يقوم إلا العافون عن الناس في الدنيا، وقد قال الله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[الأعراف:١٩٩]

---

(١) في صحيح البخاري٨: ١١١.

(٢) في الصمت لابن أبي الدنيا٣: ١٥٤، وذم الغيبة والنميمة لابن أبي الدنيا ص٢٤، ومساوئ الأخلاق للخرائطي ١: ١٠٠.

وعن الحسن ﷺ أن رجلاً قال له: «إن فلاناً قد اغتابك، فعبث إليه رطباً على طبق، وقال قد بلغني أنك أهديت إلي من حسناتك، فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني، فإني لا أقدر أن أكافئك»[١].

* الآفة التاسعة والأربعون: النَّميمة:

وهي إفشاءُ السِّرّ وهتك السِّتر عمّا يُكره كشفه.

فيكون فيها كشفُ ما يُكره كشفُه وإفشاء سرّ الغير سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ثالث، وسواء كان ذلك بالقول أو الكتب أو الرمز أو الإيماء، وسواء كان المنقول من الأقوال أو الأعمال وسواء كان عيباً أو نقصاناً على المنقول عنه أو لم يكن.

واسم النميمة إنما يطلق في الأكثر على مَن ينم قول الغير إلى المقول فيه، كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا[٢].

وحكمه:

تحرمُ النميمة، ويجب أن يسكت عن كلِّ ما يَراه الإنسانُ من أحوال الناس، إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية، فإن كان ما ينم به نقصاناً أو عيباً في محكي عنه، فهو غيبة ونميمة معاً.

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٥٤ وما قبلها.

(٢) ينظر: الإحياء٣: ١٥٦، والبريقة والطريقة٣: ١٩٢.

والباعث على النّميمة:

إما إرادة السوء بالمحكي عنه، أو إظهار الحب للمحكي له، أو التفرج بالحديث، والخوض في الفضول.

ومن دلائل قبحها:

ما كان من تشبيه فعل النّمام بحاله ولد الزّنا، قال تعالى: {هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيم}[القلم:١١] ثم قال {عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيم}[القلم:١٣]، قال عبد الله بن المبارك: الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث، وأشار به إلى أن كلَّ مَن لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دلَّ على أنَّه ولد زنا استنباطاً من قوله تعيل: {عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيم}[القلم:١٣]، والزِّنيم هو الدَّعي.

وكان التهديد الشديد من الله تعالى لمن يقوم بهذا الفعل، قال تعالى: {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَة}[الهمزة:١]، قيل: الهمزة النمام.

وكان من تفسير حمال الحطب: النميمة، قال تعالى: {حَمَّالَةَ الْحَطَب}[المسد:٤] قيل: إنها كانت نَمَّامَةً حَمَّالَةً للحديث.

وكان من تفسير الخيانة: النميمة، قال تعالى: {فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا}[التحريم:١٠]، قيل: كانت امرأة لوط تخبر بالضَّيفان، وامرأة نوح تخَبر أنه مجنون.

وكان النيمية سبباً للحرمان من الجنة، فعن حذيفة رضي الله عنه، قال ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام»(١).

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

وكان النّمام من شرار الناس لإفساده، فعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، قال ﷺ: «ألا أخبركم بخياركم، قالوا: بلى يا رسول الله قال: الذين إذا رؤوا، ذكر الله تعالى، ثم قال: ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرآء العنت»(١).

وكان اعتبار النبي ﷺ من الفحش الغليظ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال ﷺ: «ألا أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة القالة بين الناس»(٢)، ومعناه: ألا أنبئكم ما العضة الفاحش الغليظ التحريم(٣).

وكان النميمة سبباً لعذاب القبر، فعن أبي برزة رضي الله عنه، قال ﷺ: «ألا إن الكذب يسود الوجه، والنميمة من عذاب القبر»(٤).

وجوه رد النّميمة:

وكُلُّ مَن حملت إليه النميمة، وقيل له: إن فلاناً قال فيك: كذا وكذا أو فعل في حقِّك كذا أو هو يُدَبِّر في إفساد أمرك، أو في ممالأة عدوك، أو تقبيح حالك، أو ما يجري مجراه، فعليه ستة أمور:

---

(١) في مسند أحمد٤٥: ٥٧٥.

(٢) في صحيح مسلم٤: ٢٠١٢.

(٣) تعليق محمد عبد الباقي٤: ٢٠١٢.

(٤) في صحيح ابن حبان١٣: ٤٤.

١. أن لا يُصدقه؛ لأنّ النَّمامَ فاسقٌ، وهو مردودُ الشهادة، قال تعالىٰ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ} [الحجرات:٦].

٢.أن ينهاه عن ذلك، وينصح له، ويقبح عليه فعله، قال تعالىٰ: {وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ }[لقمان:١٧]، فعن ابن مسعود ﵁، قال ﷺ: «لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئا؛ فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر»(١).

٣. أن يبغضَه في الله تعالىٰ، فإنّه بغيضٌ عند الله تعالىٰ، ويجبُ بغض من يُبغضه الله تعالىٰ.

٤.أن لا تظن بأخيك الغائب السوء؛ لقول تعالىٰ: {اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ }[الحجرات:١٢].

٥. أن لا يحملك ما حكىٰ لك علىٰ التجسس والبحث لتحقق اتباعاً؛ لقول تعالىٰ: {وَلاَ تَجَسَّسُوا}[الحجرات:١٢].

٦.أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه، ولا تحكي نميمته، فتقول فلانٌ قد حكىٰ لي كذا وكذا، فتكون به نماماً ومغتاباً، وقد تكون قد أتيت ما عنه نَهيت.

---

(١) في سنن الترمذي٥: ٧٠٩، ومسند أحمد٦: ٣٠١.

وقد روي عن عمر بن عبد العزيز ﵁ أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئاً، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذباً، فأنت من أهل هذه الآية: {إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا}[الحجرات:٦]، وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية: {هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ}[القلم:١١]، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبداً.

وذُكر أن حكيماً من الحكماء زاره بعض إخوانه، فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه، فقال له الحكيم: قد أبطأت في الزيارة، وأتيت بثلاث جنايات: بغضت أخي إلي، وشغلت قلبي الفارغ، واتهمت نفسك الأمينة.

ورُوي أنّ سليمان بن عبد الملك كان جالساً، وعنده الزهري، فجاءه رجل، فقال له سليمان: بلغني أنك وقعت في وقلت كذا وكذا، فقال الرجل: ما فعلت ولا قلت، فقال سليمان: إن الذي أخبرني صادق، فقال له الزهري: لا يكون النمام صادقاً، فقال سليمان: صدقت، ثم قال للرجل: اذهب بسلام.

وقال الحسن: مَن نَمَّ إليك نَمَّ عليك.

وهذا إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ النَّمَامَ ينبغي أَن يُبْغَضَ ولا يُوثَقَ بقوله، ولا بِصَدَاقَتِهِ وكيف لا يُبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة، وهو ممن يسعون فِي قَطْعِ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ، وقال تعالىٰ: {إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَىٰ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}، والنَّمامُ منهم.

فعن عائشة رضي الله عنها، قال ﷺ: «إِنَّ من شِرَارِ النَّاسِ من اتقاه الناس لشرِّه»(١)، والنمام منهم.

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه، قال ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع، قيل: وما القاطع، قال: قاطع بين الناس»(٢)، وهو النمام.

وعن علي رضي الله عنه: أن رجلاً سعىٰ إليه برجل، فقال له: يا هذا نحن نسأل عما قلت، فإن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أن نقيلك أقلناك، فقال أقلني يا أمير المؤمنين.

وقيل لمحمد بن كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ: أَيُّ خِصَالِ الْمُؤْمِنِ أَوْضَعُله، فقال: كَثْرَةُ الكلام وإفشاء السرّ، وقبول قول كل أحد .

وقال رجل لعبد الله ابن عامر، وكان أميراً بلغني أن فلاناً أعلم الأمير أني ذكرته بسوء، قال: قد كان ذلك، قال فأخبرني بما قال لك حتىٰ أظهر كذبه عندك، قال: ما أحب أن أشتم نفسي بلساني، وحسبي أني لم أصدقه فيما قال، ولا أقطع عنك الوصال.

وقال مصعب بن الزبير: نحن نرىٰ أن قبول السعاية شرٌّ من السعاية؛ لأنّ السّعاية دلالة، والقبول إجازة، وليس مَن دلَّ علىٰ شيءٍ فأخبر به، كمَن قبله وأجازه، فاتقوا الساعي، فلو كان صادقاً في قوله لكان لئيماً في صدقه،

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٣: ٢٥٨.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٣: ٢٥٨.

حيث لم يحفظ الحرمة، ولم يستر العورة، والسعاية هي النميمة إلا أنها إذا كانت إلى مَن يخاف جانبه سميت سعاية.

وقال رجل لعمرو بن عبيد: إن الأسواري ما يُزال يذكرك في قصصه بشر، فقال له عمرو: يا هذا ما رَعيت حقّ مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أديت حقِّي حين أعلمتني عن أخي ما أكره، ولكن أعلمه أن الموت يعمنا، والقبر يضمنا، والقيامة تجمعنا، والله تعالى يحكم بيننا وهو خيرُ الحاكمين.

وقال لقمان لابنه: يا بني أوصيك بخلال إن تمسكت بهنّ لم تزل سيداً، ابسط خلقك للقريب والبعيد، وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم، واحفظ إخوانك وصل أقاربك وآمنهم من قبول قول ساع أو سماع باغ يريد فسادك، ويروم خداعك، وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك.

وعلى الجملة فشرُّ النمام عظيمٌ، ينبغي أن يتوقى، قال حماد بن سلمة: باع رجل عبداً، وقال للمشتري ما فيه عيب إلا النميمة، قال رضيت: فاشتراه فمكث الغلام أياماً ثم قال لزوجة مولاه إن سيدي لا يحبك، وهو يريد أن يتسرى عليك، فخذي الموسى واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات، حتى أسحره عليها، فيحبك ثم قال للزوج: إن امرأتك اتخذت خليلاً، وتريد أن تقتلك فتناوم لها، حتى تعرف ذلك، فتناوم لها، فجاءت المرأة بالموسى،

فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها، فجاء أهل المرأة، فقتلوا الزوج، ووقع القتال بين القبيلتين[1].

* الآفة الخمسون: كلام ذي اللِّسَانَيْنِ:

وهو الذي يَتَرَدَّدُ بين المتَعَادِيَيْنِ، ويُكَلِّمُ كلّ واحد منهما بكلام يوافقه.

وحكمه:

يحرم على المسلمين أن يكون بوجهين، بحيث يغير كلامه من واحد إلى واحد، بما يثير الفتن بين الناس.

ومن دلائل قبائحه:

ما كان من استبدال كل وجه له بلسان من النار يوم القيامة، فعن عمار بن ياسر رضي الله عنه، قال ﷺ: «مَن كان له وجهان في الدُّنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة»[2].

وكان اعتبار صاحب الوجهين من شرّ الناس يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «تجدون من شرِّ عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث»[3]. وفي لفظ آخر: «الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه».

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ٢٥٦ـ٢٥٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب المفرد وأبو داود بسند حسن.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٣: ١٥٩.

وكان اعتبار ذي اللسانين فاقداً للأمانة، قال أبو هريرة ﷺ: «لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أميناً عند الله تعالىٰ».

وكان وصفه بأنه إمعة لا شخصية له، قال ابنُ مسعود ﷺ: «لا يكونن أحدكم إمعة، قالوا: وما الإمعة؟ قال الذي يجري مع كلِّ ريح».

واتفقوا علىٰ أنّ ملاقاةَ الاثنين بوجهين نفاقٌ، وللنفاق علاماتٌ كثيرةٌ، وهذه من جملتها، وقلّما يخلو عنه مَن يشاهد متعاديين، وذلك عين النفاق.

ويصير الرجل ذا لسانين: إذا دَخَلَ علىٰ مُتَعَادِيَيْنِ وجَامَلَ كُلَّ واحدٍ منهما، وكان صادقاً فيه لم يكن منافقاً، ولا ذا لسانين، فإن الواحد قد يصادق متعاديين، ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي إلىٰ حدِّ الأخوة؛ إذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معادة الأعداء.

أما لو نقل كَلَامَ كُلِّ واحدٍ منهما إلىٰ الآخر فهو ذو لسانين، وهو شر من النميمة؛ إذ يصير نماماً بأن ينقل من أحد الجانبين فقط، فإذا نقل من الجانبين فهو شرٌّ من النمام.

ومن صوره:

أن يحَسَّنَ لكلّ واحدٍ من المتعاديين ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه، فهذا ذو لسانين.

وإذا وعدَ كلَّ واحدٍ من المتعاديين بأن ينصره.

وإذا أثنىٰ علىٰ واحدٍ من المتعاديين في معاداته.

وإذا أثنىٰ علىٰ أحد المتعاديين، وكان إذا خرج من عنده يذمه، فهو ذو لسانين، بل ينبغي أن يسكت أو يثني علىٰ المحقّ من المتعاديين، ويثني عليه في غيبته، وفي حضوره وبين يدي عدوه.

وإذا دخل علىٰ الأمراء يقول عندهم غير ما يقول عند غيرهم، فهو نفاق مهما كان مستغنياً عن الدخول علىٰ الأمير، وعن الثناء عليه، فأما إذا ابتلىٰ به لضرورة وخاف إن لم يثن فهو مَعْذُورٌ، فَإِنَّ اتِّقَاءَ الشَّرِّ جائزٌ.

قال أبو الدرداء ﵁: «إنَّا لَنُكَشِّرُ في وجوه أقوام وإنّ قُلُوبَنا لَتَلْعَنُهُمْ».

وعن عائشة رضي الله عنها: « اسْتَأْذَنَ رجلٌ علىٰ رسول الله ﷺ، فقال ائْذَنُوا له فَبِئْسَ رَجُلُ العشيرة هو، ثم لَمَّا دَخَلَ أَلَانَ له القَوْلَ، فلمّا خَرَجَ، قلتُ: يا رسول اللهَّ، قلت فيه ما قلتَ ثم أَلَنْتَ له الْقَوْلَ، فقال: يا عائشة، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ الذي يُكْرَمُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ»[1].

ولكنّ هذا ورد في الإقبال وفي الكشر والتبسم، فأمّا الثناء، فهو كذب صراح ولا يجوز إلا لضرورة أو إكراه يُباح الكذب بمثله، بل لا يَجُوزُ الثَّنَاءُ ولا التَّصْدِيقُ ولا تَحْرِيكُ الرَّأْسِ في معرض التَّقْرِيرِ علىٰ كُلِّ كلام باطل، فإن فعل ذلك فهو مُنَافِقٌ بل ينبغي أن يُنْكِرَ فإن لم يقدر فيسكت بلسانه، وينكر بقلبه[2].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٣: ١٥٩.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٥٨ـ ١٥٩.

* الآفة الواحدة والخمسون: النفاق القولي:

وهو مخالفة القول الباطن في الثناء وإظهار الحب، فيكون لسانه يمدح وقلبه يقدح[١].

ومن دلائل قبحه:

ما كان من اعتباره نفاقاً في عهد النبي ﷺ، فعن أبي الشعثاء قال: قلت لعبد الله بن عمر: إنا ندخل على أمرائنا، فنقول: قولاً فإذا خرجنا من عندهم قلنا غيره قال: «كنا نعد ذلك نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ»[٢]، وهذا عند سلامته من الموانع والعوارض الضرورية: كالإكراه والخوف على نفسه وعلى غيره أو دفع مظلمته التي لذلك القول الملائم لطبعه مدخل في نفوذ رجائه[٣].

وكان هذا النفاق سبباً لتبري النبيِّ ﷺ من فاعله وحرمانه من ورود الحوض، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة: أعاذك الله يا كعب من إمارة السفهاء، قال: وما إمارة السفهاء يا رسول الله؟ قال: أمراء يكونون بعدي، لا يهدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمَن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني، ولست منهم، ولا يردون على حوضي، ومَن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني وأنا منهم، وسيردون علي حوضي»[٤].

---

(١) ينظر: طريقة محمدية٣: ٢٣٦.

(٢) في سنن النسائي الكبرى٨: ٨٤، والمعجم الكبير١٢: ٤٢٠.

(٣) ينظر: بريقة محمودية٣: ٢٣٧.

(٤) في المستدرك٤: ٤٦٨، وصححه.

وحكمه:

يحرم هذا النفاق إن كان فيه إضاعة لحقوق الناس وإفساد المجتمع وإبطال العبادات وقيام من ليس بأهل بها وغيرها من المضار الظاهرة، وتكره إن قلّ الضرر فيها.

ومن صوره:

١. تصديق الكاذب في مكاذبته ولو بالرأس.

٢. الشفاعة للإمامة في الصلاة لمن ليس أهلاً لها، إما بسوء الاعتقاد كأهل الهوى أو لعدم الاهتمام بأمر الطهارة بأن لا يُبالي بالنجاسة المانعة للصلاة في البدن أو الثوب أو المكان، أو لعدم وصول ماء الطهارة للأعضاء الواجب تطهيرها، أو لعدم قراءة ما يتوقف عليه صحة الصلاة، فإذا فقدت هذه الثلاثة بطلت الصلاة، أو وجد من هو أولى بها منه فيشفع لمن كانت إمامته مكروهة مثل الفاسق والأعرابي وولد الزنا والعبد والأعمى.

٣. الشفاعة للأذان لمن لم يكن أهلاً له بأن لم يكن عالماً بأوقات الصلاة، أو يلحن في الأذان، فإذا كان عالماً بها، أو لم يكن ذا لحن وتغن تحققت الأهلية.

٤. الشفاعة لتعليم القرآن وإن لم يكن له أجرة لمن لم يكن أهلاً له بأن لم يعلم التجويد، أو لم يكن متديناً في حق أولاد الناس.

٥. الشفاعة للتدريس بأن لم يكن أهلا له، أو وجد الأولى منه بأن كان جاهلاً أو غير مداوم على الدرس.

ولا عبرة في هذه الأشياء بالفقر، بل العبرة بالأهلية، ولو كان قادراً على ألف ألف دينار، فلا يغرنك الغرور بأن هذا فقير محتاج، وذلك ليس كذا فعليك الإعانة للمحتاج.

وسبب هذه الشّفاعة:

أ.الجهل بعاقبتها من الحرمة والكراهة، والطمع فيها يحصل من المشفوع، وحب الأقرباء والأحباء، فيحمله ذلك على الشفاعة لهم فيما يخالف الشرع.

ب.الحياء من الناس إن لم يشفع يعيرونه أو ينسبونه إلى ما لا يرضى، والحياء من الخالق المنعم الضار النافع أقدم؛ لأن النعمة والخلق والنفع والضر من أسباب الحياء، والله المعطي المانع.

ج.الخوف من عداوة المشفوع له إن لم يشفع له أو الخوف من ذهاب المنصب والرزق الدار، والله تعالى أحقُّ بالخوف.

وضدها الشفاعة الحسنة، وهي الشفاعة في الأُمور المباحة في الشرع: كالشفاعة لإحقاق حق مسلم ودفع ضر عنه أو جلب نفع له ودفع ضرّ عنه، قال تعالى: {مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنۡهَا}[النساء: ٨٥][1].

---

(١) ينظر: بريقة محمودية٣: ٢٤١.

* الآفة الثانية والخمسون: إفشاء السّر:

التكلم بما قيل أو فعل في مجلس مما يخالف المروءة والشرع، كالكلام بما يقع بين الزوجين من الوقاع.

ومن دلائل قبحه:

ما كان من اعتبار القرآن له أنه اتباعٌ للشيطان، قال تعالىٰ: {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً} [النساء: ٨٣].

وكان من أشرّ الناس مَن يتكلم من الزوجين بما يجري بينهما، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال ﷺ: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلىٰ امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها»[١].

وكان فيه الإيذاء والتَّهَاوُن بحقِّ المعارفِ والأَصدقَاءِ، فعن أبي بكر بن ابن حزم،: قال ﷺ: «إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة فلا يحلُّ لأحدهما أن يفشي علىٰ صاحبه ما يكره»[٢].

وكان خيانة للأمانة الإفضاء بالسر، قال الحسن: «إن من الخيانة أن تحدِّث بسر أخيك»، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال ﷺ: «من سمع من رجل

---

(١) في صحيح مسلم٢: ١٠٦٠.

(٢) في شعب الإيمان١٣: ٥٠٠، وقال البيهقي: مرسل جيد.

حديثا، لا يشتهي أن يذكر عنه، فهو أمانة، وإن لم يستكتمه»[١]، وعن جابر بن عبد الله ﷺ، قال ﷺ: «إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة»[٢].

وكان الإفشاء وقوع في المذلة والمهانة، فعن معاوية ﷺ أسر إلى الوليد بن عتبة حديثه، فقال لأبيه: يا أبت إن أمير المؤمنين أسرّ إلي حديثاً، وما أراه يطوى عنك ما بسطه إلى غيرك، قال: فلا تحدثني به، فإن مَن كتم سرَّه كان الخيار إليه، ومَن أفشاه كان الخيار عليه، قال: فقلت: يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه، فقال: لا والله يا بني، ولكن أحبُّ أن لا تذلِّلَ لسانك بأحاديث السِّرِّ، قال: فأتيت معاوية فأخبرته، فقال يا وليد أَعتقك أبوك من رقِّ الخطأ[٣].

وله مفاسدُ كثيرةٌ كالحقدِ والبغض والعداوة والنميمة وإيقاظ الفتنة[٤].

وحكمه:

يحرم إِفشاءُ السِّرِّ إن كان فيه إضرارٌ؛ لأنه خيانة[٥]، ويكره إِن لم يكن فيه إضرار؛ لعدم خلوة عن مخالفة المروءة والأمانة والثقة.

---

(١) في مسند أحمد٤٥: ٥٠٢، وحلية الاولياء٣: ٣٥٩.

(٢) في سنن الترمذي٤: ٣٤١، وقال: حديث حسن.

(٣) ينظر: الإحياء٣: ١٣٢.

(٤) ينظر: بريقة محمودية٣: ٢٢١.

(٥) ينظر: الإحياء٣: ١٣٢.

المطلب الثّالث عشر: متفرقات:

* الآفة الثالثة والخمسون: الخوض في الباطل:

وهو الكلام فيما يفسد القلب أو الفكر من غير غرض صحيح.

وهذا كالكلام في المعاصي كحكاية أحوال النساء وأحوال الوقاع، ومجالس الخمور، ومقامات الفساق، وتنعم الأغنياء، وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة، وأحوالهم المكروهة، وحكايات البدع والمذاهب الفاسدة إلا لرد أو إنكار، وحكاية ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم على وجه الاستنقاص ببعضهم(١).

وحكمه:

يُكره تحريماً بقدر ما فيه من الباطل من إضاعة والعقل وإفسادة القلب والعقل واستيلاء الفكر الفاسد وإظهار معصية نفسه أو غيره من غير حاجة دينية إلى إظهارها.

ويكره تنزيهاً الكلامُ فيما لا يعني أو أكثر مما يعني، إلا مَن يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل وأكثر النَّاسِ يَتَجَالَسُونَ لِلتَّفَرُّجِ بالحديث، ولا يَعْدُو كَلَامُهُمُ التَّفَكُّهَ بأعراض النَّاسِ أو الخوض في الباطل.

---

(١) ينظر: روضة الطالبين١: ١٣٧، والإحياء٣: ١١٥.

ومن دلائل قبحه:

ما كان كثرة أنواع الباطل فلا يمكن حصرها لكثرتها وتَفَنُّنِهَا، فلذلك لا مَخْلَصَ منها إِلَّا بالاقتصار على ما يعني من مُهِمَّاتِ الدِّينِ والدُّنيا، وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها، وهو يستحقرها[1]، فعن بلال بن الحارث رضي الله عنه، قال ﷺ: «إِنَّ الرَّجل لَيَتَكَلَّمُ بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب اللهُ بها رضوانه إلى يوم القيامة وإِنَّ الرجل لَيَتَكَلَّمُ بالكلمة من سَخَطِ اللهِ ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سَخَطَهُ إلى يوم القيامة»[2].

وكان عليك أن تستظهر بغاية قوَّتك حتى لا يَكبُّك في قَعْرِ جهنم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «إنَّ الرَّجل ليتكلَّم بالكلمة لا يَرَىٰ بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النَّار»[3]، وبلفظ: «إن الرجل ليتكلم الكلمة يضحك بها جلساءه يهوىٰ بها أبعد من الثريا»[4]. وكان الخوض من أعظم الخطايا، فعن قتادة رضي الله عنه، قال ﷺ: أَعْظَمُ النَّاسِ خطاياً يوم القيامة أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا في الباطل»[5].

---

(١) ينظر: الأحياء٣: ١١٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه والترمذي، وقال: حسن صحيح، وكان علقمة يقول: كم من كلام منعنيه حديث بلال، كما في المغني٣: ١٢١.

(٣) في سنن الترمذي٤: ٥٥٧، وحسنه، وسنن ابن ماجة٢: ١٣١٣.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا بسند حسن، كما في المغني٣: ١٢١.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا مرسلاً ورجاله ثقات، ورواه هو والطبراني موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه بسند صحيح، كما في المغني٣: ١٢١.

* الآفة الرابعة والخمسون: التقعر في الكلام:

وهو التشدقُ وتكلف السَّجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرى به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة.

وحكمه:

يُكره التَّقعر في الكلام؛ لأنه تصنعٌ مذمومٌ، ومن التَّكلُّف الممقوت، فعن أبي ثعلبة ﷺ، قال ﷺ: «إن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام»[١].

ويدخل فيه كلّ سجع متكلّف، وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة، وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات، فعن المغيرة ﷺ: قضىٰ رسول الله ﷺ بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني: كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل، ومثل ذلك يطل، فقال ﷺ: «أسجع كسجع الأعراب»[٢]، وأنكر ذلك؛ لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه.

بل ينبغي أن يَقْتَصِرَ في كُلِّ شيء علىٰ مَقْصُودِهِ، ومَقْصُودُ الْكَلَامِ التَّفْهِيمُ للغرض، وما وراءَ ذلك تصنع مذموم، ولا يدخل في هذه تحسينُ ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب، فإن المقصود منها تحريكُ القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها، فلرشاقة اللفظ تأثيرٌ فيه، فهو لائقٌ به.

---

(١) أخرجه أحمد، وهو عند الترمذي من حديث جابر ﷺ، وحسنه بلفظ: «إن أبغضكم إلي»، كما في المغني٣: ١٢١.

(٢) أخرجه مسلم، كما في المغني٣: ١٢١.

فأمّا المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات، فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم، ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة، وكل ذلك مذمومٌ يكرهُه الشرع ويَزجر عنه(١).

* الآفة الخامسة والخمسون: تفسير القرآن برأيه:

وهو يفسر كلام الله تعالى بلا علم ولا معرفة، فلا يلتزم قواعد علماء التفسير.

وحكمه:

يحرم تفسير كلام الله بالهوىٰ وبلا علم، فيكون من التهجم علىٰ تبيين مراد الله من كلامه علىٰ جهالة بقوانين اللغة أو الشريعة أو حمل كلام الله ﷻ علىٰ المذاهب الفاسدة أو الخوض فيما استأثر الله بعلمه أو القطع بأن مراد الله كذا من غير دليل أو السير مع الهوىٰ(٢).

ومن دلائل قبحه:

ما كان من اعتبار تفسير بلا علم، وأنه تقول علىٰ الله تعالىٰ، قال: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} [الإسراء: ٣٦]، وقال: {وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون} [البقرة: ١٦٩] .

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٢١.

(٢) ينظر: إرواء الظمآن ص١٤٢.

وكان حال مَن يفعله أن يكون له مقعد في النار، فعن ابن عباس ﷺ، قال ﷺ: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[1]، وعن ابن عباس ﷺ، قال ﷺ: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»[2].

قال الغَزَاليّ: ومن الطامات صرف ألفاظ الشرع عن ظاهرها إلى أمور لم تسبق منها إلى الإفهام كدأب الباطنية، فإن الصرف عن مقتضى ظواهرها من غير اعتصام فيه بالنقل عن الشارع، وبغير ضرورة تدعو إليه من دليل عقلي حرام.

قال ابنُ النّقيب: جملة ما يحصل في معنى التفسير بالرأي خمسة أقوال:

١. التفسير بلا تحصيل آلاته من العلوم.

٢. تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

٣. التفسير المقرر للمذهب الباطل بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً له، فيرده إليه بأي طريق أمكن وإن كان ضعيفاً.

٤. التفسير أن مراد الله كذا على القطع من غير دليل.

٥. التفسير بالهوى[3].

---

(١) في سنن الترمذي٥: ١٩٩، وحسنه، وسنن النسائي الكبرى٧: ٢٨٦.

(٢) في سنن الترمذي٥: ١٩٩، وحسنه، وسنن النسائي الكبرى٧: ٢٨٥.

(٣) ينظر: بريقة محمودية٣: ٢٩٦.

* الآفة السّادسة والخمسون: ترويع المسلم:

وهو إخافة المؤمن والذمي من غير ذنب.

وحكمه:

يكره إخافةُ المسلم وتهديدُه وترويعُه بألفاظه المختلفة إن لم يكن له ذنبٌ، فإن كان مذنباً جاز بقدر ذنبه وكفِّ أذاه، وعلى ما تقتضيه قاعدة النهي عن المنكر.

ومن دلائل قبحه:

ما كان من نهي النبي ﷺ عن الترويع للمسلم؛ لمخالفته أخلاق المؤمنين، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في مسير، فخفق رجل عن راحلته، فأخذ رجل سهما من كنانته، فانتبه الرجل ففزع، فقال رسول الله ﷺ: لا يحل لرجل أن يروع مسلما»[1].

وكان الترويع منافياً للإيمان والإسلام، فعن سليمان بن صرد: «أنّ أعرابياً صلَّى مع رسول الله ﷺ ومعه قرن، فأخذها بعض القوم، فلَمّا سَلَّم النبي ﷺ، قال الأعرابي: القرن، فكأن بعض القوم ضحك، فقال النبي ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يروعن مسلماً»[2].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجال الكبير ثقات، كما في مجمع الزائد٦: ٢٥٤.

(٢) رواه الطبراني من رواية ابن عيينة عن إسماعيل بن مسلم، فإن كان هو العبدي فهو من رجال الصحيح، وإن كان هو المكي فهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات، كما في مجمع الزائد٦: ٢٥٤.

وكان التأكيد منه ﷺ على حرمة المسلم والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤذيه بصوره المختلفة لفظاً أو فعلاً، فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه»(١).

* الآفة السّابعة والخمسون: الكلام مع النّساء:

وهو التَّكلم مع الشَّابة الأجنبية بغير حاجة.

وحكمه:

يُكره تحريماً الكلامُ مع الشَّابةِ الأجنبيةِ بغير حاجة؛ لأنّه مَظنةُ الفتنة، وهذا الكراهة متفاوتة بإثم أو إساءة على قدر الفتنة، فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «العينان تزنيان، واللسان يزني، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان، ويحقق ذلك الفرج أو يكذبه»(٢).

ومن الحاجات التي يباح له الكلام بسببها الشهادة والتبايع والعمل والتبليغ وأمثالها.

ولا يشمت العاطسة ولا يُسلم عليها ولا يَردُّ سلامها جهراً، بل في نفسِهِ إذا سلَّمت عليه، ولا تُشمته الشابة الأجنبية إذا عَطَس(٣).

---

(١) في صحيح مسلم٤: ٢٠٢٠.

(٢) في صحيح ابن حبان٤: ٧، ومسند أحمد١٤: ٢١٨.

(٣) ينظر: البريقة والطريقة ٤: ٧.

*** الآفة الثامنة والخمسون: التَّسليم على غير المسلم ابتداء:**

وهو ابتداء غير المسلم بالسلام.

وحكمه:

ويُكره كراهة إساءةٍ ابتداءً السلام علىٰ غير المسلم بغير حاجة عنده، فإن كانت حاجة معه لا بأس به بالسلام عليه؛ لأنّ السَّلام إعزاز، ولا يجوز إعزازهم، بل اللائق إعراضهم وترك الالتفات إليهم تصغيراً لهم وتحقيراً لشأنهم، فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «لا تبدءوا اليهود، والنَّصارىٰ بالسَّلام، وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروهم إلىٰ أضيقه»[1].

وإن سلم غير المسلم علىٰ المسلم، فيرد عليه بعليكم، ولا يزيد، فعن ابن عمر ﵄، قال ﷺ: «إن اليهود إذا سلَّموا عليكم، يقول أحدهم: السَّام عليكم، فقل: عليك»[2].

ويُكره السَّلام علىٰ الفاسق المظهر فسقه، ولا علىٰ الذي يتغنىٰ، ولا علىٰ الذي يطير الحمام[3].

---

(١) في سنن الترمذي ٤: ١٥٤، وصححه.

(٢) في صحيح مسلم ٤: ١٧٠٦.

(٣) ينظر: البريقة والطريقة ٤: ٧.

* الآفة التّاسعة والخمسون: الدلالة على المعصية:

وهو الدلالة باللسان على الطريق ونحوه لمن يريد المعصية.

وحكمه:

يكره المساعدة والإعانة لغيره في معصية؛ لأن للوسائل حكم المقاصد، وأن ما يُفضي إلى المعصية معصية؛ لأنها إعانة على المعصية، قال تعالى: {وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}[المائدة: ٢].

ومن صور الدلالة المنهية:

١. الدلالة للشرطي والظلمة إذا ذهبوا للظلم والفسق.

٢. دلالة السفه والسعاة والمجانين والصبيان على إتلاف أموال الناس وإيذائهم.

٣. تعليم المسائل للمبطل في دعواه كونه من هذا الباب.

٤. تعليم الأقوال المهجورة والضعيفة؛ للعبث بالأحكام[1].

الآفة الستون: الإذن بالمعصية:

وهو يأذن يجيز من يريد فعل معصية.

وحكمه:

يُكره الإذن والإجازة فيما هو معصية، لا سيما فيما التوقف على إذنه:

---

(١) ينظر: البريقة والطريقة ٤: ٩ـ ١٠.

كإذن الزوج لامرأته أن تخرج من بيته بغير حاجة؛ لما فيه فتنة، بخلاف خروج لزيارة والديها ومحارمها أو قضاء واجب أو لعمل جائز أو طلب علم فيما لا فتنة فيجوز(١).

*** الآفة الواحدة والسّتون: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:**

وهو الأمر بالمعاصي والنهي عن الطاعات، وسيأتي مفصلاً في الفصل الثاني.

وهذه صفةُ المنافقين، قال تعالى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ}[التوبة: ٦٧] أي متشابهة في النفاق والبعد عن الإيمان كأبعاض الشيء الواحد {يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ}[التوبة: ٦٧] بالكفر والمعاصي {وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ}[التوبة: ٦٧] بالإيمان والطاعة.

ومن صوره: الأمر بالظلم وإعانة الظلمة على ظلمهم بالقول(٢).

وحكمه:

يحرم إن نهى عن فرض أو أمر بمعصية متفق عليها، يكره تحريماً كراهة إثم إن نهى عن واجب أو بمعصية مختلف فيها، ويكره تحريماً كراهة إساءة إن نهى عن سنة، أو أمر بمكروه، ويكره تنزيهاً إن نهى عن مستحب، أو أمر بكروه تنزيهاً.

---

(١) ينظر: الطريقة المحمدية ٤: ١١.

(٢) ينظر: البريقة والطريقة ٣: ٢٤٣.

والنهي عن المنكر على مراتب:

١ .التعريف، فلا يحتاج إلى إذن الإمام.

٢ .الوعظ بالكلام اللطيف، فلا يتحتاج إلى إذن الإمام.

٣ .السب والعنف بلا فحش بنحو يا جاهل يا أحمق ألا تخاف من الله تعالى، فلا تحتاج إلى إذن الإمام.

٤ .المنع بالقهر ككسر الملاهي وإراقة الخمر، فلا حاجة إلى الإذن؛ إذ المسلمون كالبنيان يشدُّ بعضُهم بعضاً.

٥ .التهديد والتخويف بالضرب أو مباشرته، فيحتاج إلى إذن الإمام، وألا ينجر إلى القتال من الجانبين.

ومحلُّ النهي عن المنكر إذا لم ينجع لم يؤثر ولم ينفع، فعليه الرفق واللين؛ لأنه لكل مقام مقال، ولكلِّ ميدان رجال[1].

❧ ❧ ❧

---

(١) ينظر: بريقة محمودية٣: ٢٤٤.

المبحث الثّاني
آفات اللسان المحظورة تبعاً

* الآفة الثانية والستون: المُزاح:

وهو نقيض الجدّ، وهو المداعبة والمباسطة إلى الغير على جهة التلطف والاستعطاف دون أذية، حتى يخرج الاستهزاء والسخرية.

والإكثار منه والخروج عن الحدِّ مخلٌّ بالمروءةِ والوقار، والتَّنزه عنه بالمرّة والتقبض مخلٌّ بالسنة والسيرة النبوية المأمور باتباعها والاقتداء، وخير الأمور أوسطها[1]، فعن أنس رضي الله عنه: «أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ فقال: إني حاملك على ولد الناقة، فقال: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال ﷺ: وهل تلد الإبل إلا النوق؟»[2]، فكان يمزح به.

وحكمه:

يُكره الإكثار منه، وشرط جوازه قولاً أو فعلاً أن لا يكون فيه كذب

---

(١) ينظر: تاج العروس ٧: ١١٧.

(٢) في سنن الترمذي ٤: ٣٥٧، وقال: هذا حديث صحيح غريب.

ولا ترويع مسلم، فعن أنس ﵁: «كان لأبي طلحة ابْنٌ يُقَالُ له: أبو عمير، وكان رسول الله ﷺ يأتيهم، ويقول: يا أبا عُمير ما فَعَلَ النُّغَيْرُ»[١]، والنُّغَيْرُ كان يَلْعَبُ به، وهو فَرْخُ الْعُصْفُورِ.

وعن عائشة رضي الله عنها: «كان عندي رَسُولُ اللهَّ ﷺ وسودة بنت زمعة فصنعت حريرة، وجِئْتُ بِهِ فقلت لسودة: كُلِي فقالَ: لا أُحِبُّهُ فقلت والله لَتَأْكُلِنَّ أو لأُلَطِّخَنَّ به وجهك، فقالت: ما أنا بذائقته فأخذت بِيَدِي من الصَّحْفَةِ شَيْئًا منه فَلَطَّخْتُ بِهِ وجهها ورسول الله ﷺ جالس بيني وبينها، فخفض لها رسول الله ركبتيه لتستقيد مني، فتَنَاوَلَتْ من الصَّحْفَةِ شَيْئًا، فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَجَعَلَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ يضحك»[٢].

وعن صهيب ﵁ وكان به رَمَدٌ، فكان يَأْكُلُ تمْرًا، فقال له ﷺ: «أَتَأْكُلُ التَّمْرَ وأنت رَمِدٌ، فقال: إنما آكُلُ بالشِّقِّ الآخر يا رسول اللهَّ فتَبَسَّمَ ﷺ»[٣].

فهذه مُطَايَبَاتٌ يُبَاحُ مِثْلُهَا على الندور لا على الدوام، والمواظبة عليها هزل مذموم، وسبب للضحك المميت للقلب.

وإكثار المزاح مع وجود شرط الجواز مذموم منهي عنه لأمور:

أ. أن كثرته تسقط المهابة والوقار، فهما إن لم يكونا لغرض نفساني وميل

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٢: ٣٦٣.

(٢) أخرجه الزبير بن بكار في «كتاب الفكاهة» وأبو يعلى بإسناد جيد،كما في المغني٢: ٣٦٣.

(٣) أخرجه ابن ماجه والحاكم ورجاله ثقات، كما في المغني٢: ٣٦٣.

هوائي أمران مرغوبان لا سيما ممن هو مقتدىٰ به كالعلماء، ومن هو في مقام الاحتساب.

ب.أنه يورث الحقد في بعض الأحوال والأشخاص.

ج. كثرة الضحك، فإن أصل الضحك ليس بمذموم؛ لأن المميت للقلب هو كثرة الضحك لا مطلقه[1]؛ لأنَّ الضَّحك يدلُّ علىٰ الغفلة عن الآخرة، فعن أنس ﭬ، قال ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً»[2].

وقال رجل لأخيه: يا أخي هل أتاك أنك وارد النّار قال: نعم قال: فهل أتاك أنك خارج منها، قال: لا، ففيم الضحك، قيل: فما رؤي ضاحكاً حتىٰ مات.

فيكون المزاح مذموماً؛ إلا قدراً يسيراً يُستثنىٰ منه، والمنهي عنه منها الإفراط فيه أو المداومة عليه؛ لأنه اشتغال باللعب والهزل فيه، واللعب مباح، ولكن المواظبة عليه مذمومة، وأَمَّا الإِفْرَاطُ فيه، فإنه يُورِثُ كَثْرَةَ الضَّحِكِ وكثرة الضحك تميت القلب، وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط المهابة والوقار، فما يَخْلُو عن هذه الْأُمُورِ فلا يُذَمُّ، فعن أبي هريرة

---

(١) ينظر: بريقة محمدية ٤: ١٧.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني ٢: ٣٦٣.

ﷺ، قال ﷺ: «إِنِّي لَأَمْزَحُ ولا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»[١]، أَلَا إِنَّ مِثْلَهُ يَقْدِرُ على أن يَمْزَحَ ولا يقول إِلَّا حَقًّا، وأمّا غيرُه إِذا فَتَحَ باب المزاح كن غَرَضُهُ أن يضحك الناس كيفما كان، فعن أبي هريرة ﷺ، قال ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساؤه يهوى في النار أبعد من الثريا»[٢].

وقال عمر ﷺ: مَن كثر ضحكه قلَّت هيبته، ومَن مزج استخفّ به، ومَن أكثر من شيءٍ عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومَن كثر سقطُه قَلَّ حياؤه، ومَن قل حياؤه قلَّ ورعه، ومَن قلَّ ورعه مات قلبه.

والمذموم من الضَّحك أن يستغرق ضحكاً، والمحمودُ منه التَّبسمُ الذي ينكشف فيه السِّنُّ ولا يسمع له صوت. فعن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكاً حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد، وهو عند الترمذي بلفظ: «قالوا: أنك تداعبنا، قال: إي ولا أقول إلا حقاً»، وقال: حسن، كما في المغني٢: ٣٦٣.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا بسند حسن، وللشيخين والترمذي: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوى بها سبعين خريفاً» في النار لفظ الترمذي، وقال: حسن غريب، كما في المغني٣: ١٢٨.

(٣) في صحيح البخاري٦: ١٣٣.

ومن دلائل قبح الإكثار منه:

ما كان يؤدي المزاح إليه من سقوط الوقار، فقد قال عمر ﵁: مَن مزح استخف به.

وكان المزاح مع الصبيان سبباً للهوان، قال محمد بن المنكدر، قالت لي أمي: يا بني لا تمازح الصِّبيان فتهون عندهم.

وكان المزاح طريقاً للحقد والجرأة، قال سعيد بن العاص لابنه: يا بُنَيَّ لا تُمَازِحِ الشَّرِيفَ، فَيَحْقِدَ عليك ولا الدَّنِيءَ فيجترئ عليك.

وكان المزاح موصلاً للضغينة، قال عمر بن عبد العزيز: اتقوا الله وإياكم والمزاح، فإنه يورث الضغينة، ويجر إلى القبيح، تحدثوا بالقرآن، وتجالسوا به، فإن ثقل عليكم، فحديث حسن من حديث الرِّجال.

وكان المزاح خروجاً عن الحق، قال عمر ﵁: أتدرون لما سمي المزاح مزاحاً، قالوا: لا، قال لأنه أزاح صاحبه عن الحق.

وكان المزح سبباً للعداوة وإضاعةالأصدقاء، قيل: لكل شيء بذور، وبذور الْعَدَاوَةِ الْمِزَاحُ، ويُقَالُ: الْمِزَاحُ مَسْلَبَةٌ لِلنُّهَى، مَقْطَعَةٌ للأصدقاء.

وكان مزاح رسول الله ﷺ وأصحابه أن تَمْزَحَ ولا تقول إِلَّا حَقًّا، ولا تُؤْذِيَ قَلْبًا، ولا تُفَرِّطَ فيه، وتَقْتَصِرَ عليه أحياناً على النُّدُورِ فلا حَرَجَ عليك فيه، ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حِرْفَةً يُوَاظِبُ عليه،

ويُفْرِطُ فيه؛ إذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالإصرار[١]، فعن أبي هريرة ﷺ: «قالوا إنك تداعبنا، قال ﷺ: إني وإن داعبتكم فلا أقول إلا حقا»[٢].

* الآفة الثالثة والسّتون: المَدْح:

وهو الثناء عليه بما له من الصّفات[٣].

وحكمه:

يُكره إن كان لنفسه وموِرثاً كبراً وكاذباً وغير دافع للخير ولا طريقاً لحرام.

ويجب إن كان لله ورسوله وسائر الأنبياء والصَّالحين ونحوهما مما يجب تعظيمُه، فهو من القرب وأعلى الرتب.

ويُباح إن خلا عمّا سبق؛ لأنه يُورث زيادة المحبّة والألفة واجتماع القلوب وجمعية الخاطر.

وشروط المدح المحمود:

١ .أن لا يكون المدح لنفسه؛ لأن تزكية النفس لا تجوز، قال تعالى: {فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}[النجم: ٣٢]، فربما يصف الرجل نفسه بالتقوى، والله يعلم أنه ليس كذلك، لكن إن كان يقصد تحدث بالنعمة،

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١٢٨ـ١٢٩.

(٢) أخرجه الترمذي وحسنه، كما في المغني٢: ١٦١.

(٣) ينظر: المعجم الوسيط٢: ٨٥٧.

فظاهره أنه جائز بل قد يُستحبّ، قال تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث} [الضحى: ١١]، أو إعلام حاله من العلم والعمل؛ ليأخذوا عنه العلم، أو ليقتدوا به في العلم والعمل، أو ليعطوا حقه من بيت المال، فيجوز للعالم أن يقول للسلطان أو أعوانه لأخذ حقه: أنا عالم مستحق لبيت المال، فأعطني كفايتي، أو ليدفعوا عنه الظلم أو نحو ذلك مما لم يقصد به التزكية والفخر، فعن أبي سعيد رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[1]، أي: أقول ذلك شكراً لا فخراً وتعظيماً وتكبراً.

وفي حكم مدح النفس مدح ما يتعلق بها من الأولاد: كأن يمدح أولاده والآباء والتلامذة والتصانيف ونحوها بكمال الخصال، بحيث يستلزم مدح ما يتعلق بها مدح المادح.

وأمّا إذا مدحهم بكمال حصل من غيرهم، فيجوز لعدم استلزامه مدح نفسه.

٢.الاحتراز عن الإفراط في المدح والغلو فيه المؤدي إلى الكذب والرياء والقول بما لا يعلم حقيقته، ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه كالتقوى والورع والزهد، وهذه مما لا يعلم حقيقته؛ لكونها من أحوال القلوب، ولا يعلم ما فيها إلا الله تعالى، فلا يجزم القول بمثلها، بل يقول أحسب ونحوه.

٣.أن لا يكون الممدوح فاسقاً، إلا إذا مدحه للخلاص عن ظلمه أو

---

(١) في سنن الترمذي٥: ٥٨٧، وحسنه.

لينال حقه من جهته أو من جهة الغير بإعانته فلا يضر؛ إذ الضرورة مبيحة للمحظورة.

٤ .أن يعلم أن المدح لا يحدث في الممدوح كبراً أو عجباً أو غروراً، يعلم ذلك بالقرائن والأمارات، وسوء الظن إنّما يمنع عند عدم دليله وقرينته، فلا ينافي حسن الظن المأمور به.

وأما إذا أحدث في الممدوح كمالاً وزيادة مجاهدة وسعي طاعة، فلا منع بل يستحب له.

٥ .أن لا يكون المدح لغرض حرام أو مفضياً إلى فساد مثل مدح حسن امرأة بين الأجانب؛ لتحريك الشهوة فيهم، وحثهم إلى الزنا[1].

وآفات المدح:

١ .أنّ المادح قد يفرط، فينتهي به إلى الكذب، قال خالد بن معدان: «مَن مدح إماماً أو أحداً بما ليس فيه على رءوس الأشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه».

٢ . أنّ المدح قد يَدْخُلُ المادح الرِّيَاءُ، فإِنَّهُ بالمدح مظهر للحبّ، وقد لا يكون مضمراً له، ولا مُعْتَقِدًا لجميع ما يقوله، فيصير به مرائياً منافقاً.

٣ .أنّ المادح قد يقول ما لا يَتَحَقَّقُهُ ولا سبيل له إلى الإطلاع عليه، فعن أبي بكرة ﵁، قال: «أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ، فقال ﷺ: ويلك

---

(١) ينظر: البريقة المحمودية والطريقة المحمدية٤: ٢٤ـ٢٥.

قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك» مراراً، ثم قال: «من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة، فليقل: أحسب فلاناً، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه»[1].

وهي تتطرق إلى المدح بالأوصاف المطلقة التي تعرف بالأدلة كقولة: إنه متق وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه، فأما إذا قال: رأيته يُصلي بالليل ويتصدَّق ويحجُّ فهذه أمور مستيقنة.

ومن ذلك قوله: إنه عدل رضا، فإن ذلك خفي، فلا ينبغي أن يجزم القول فيه، إِلَّا بعد خِبْرَةٍ بَاطِنَةٍ، فقد سَمِعَ عمر ﷺ رَجُلًا يُثْنِي على رجل فقال: «أَسَافَرْتَ معه، قال: لا، قال: أَخَالَطْتَهُ في المبايعة والمعاملة، قال: لا، قال: فأنت جاره صباحه ومساءه، قال: لا، فقال: والله الذي لا إله إلا هو لا أراك تعرفه».

٤. أن المادح قد يَفْرَحُ الْمَمْدُوحُ، وهو ظالِمٌ أو فاسق، وذلك غير جائز، قال الحسن: مَن دَعَا لظالم بِطُولِ الْبَقَاءِ فقد أحب أن يعصي الله تعالى في أرضه، والظالم الفاسق، ينبغي أن يذم ليغتمّ ولا يُمدح ليفرح.

١. أن المدح يحدث في الممدوح كبراً وإعجاباً، وهما مهلكان، قال الحسن ﷺ: «كان عمر ﷺ جالساً ومعه الدُّرة، والناس حوله إذ أقبل الجارود بن المنذر، فقال رجل: هذا سيد ربيعة، فسمعها عمر ومَن حوله وسمعها الجارود، فلما دنا منه خفقه بالدرة، فقال: مالي ولك يا أمير المؤمنين، قال:

---

(١) في صحيح البخاري٣: ١٧٦.

مالي ولك أما سمعتها، قال: سمعتها فمه، قال: خشيت أن يخالط قلبك منها شيء، فأحببت أن أطأطيء منك».

٢. أنّ المادح إذا أثنىٰ علي الممدوح بالخير فرح به، وفتر ورضي عن نفسه، ومَن أُعجب بنفسه قَلَّ تشمره، وإنّما يتشمر للعمل مَن يَرىٰ نفسه مُقصراً، فأمّا إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظَنَّ أنّه قد أدرك.

وقال عمر رضي الله عنه: «المدح هو الذبح»، وذلك لأنّ المذبوح هو الذي يفتر عن العمل، والمدح يوجب الفتور، أو لأنّ المدح يورث العجب والكبر، وهما مهلكان كالذبح لذلك شبهه به، فإن سَلِمَ المدحُ من هذه الآفَاتِ فِي حَقِّ الْمَادِحِ والْمَمْدُوحِ لم يكن به بأسٌ، بل ربما كان مندوباً إليه، ولذلك أَثْنَىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ الصحابة، فعقبة بن عامر رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب»[1]، وأي ثناء يزيد علىٰ هذا، ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصيرة، وكانوا رضي الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبراً وعجباً وفتوراً.

بل مدح الرّجل نفسه قبيح؛ لما فيه من الكبر والتفاخر، ومعنىٰ قوله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[2]: أي لست أقول هذا تفاخراً، كما يقصد الناس بالثناء علىٰ أنفسهم، وذلك لأن افتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقرب من الله لا بولد

---

(١) أخرجه الترمذي وحسنه، كما في المغني٢: ١٦١.

(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجه، والحاكم من حديث جابر رضي الله عنه، وقال: صحيح الإسناد، وله من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر»، ولمسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»، كما في المغني٢: ١٦١.

آدم ،وتقدمه عليهم كما أن المقبول عند الملك قبولاً عظيماً إنما يفتخر بقبوله إياه، وبه يفرح لا بتقدمِه على بعض رعاياه.

وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه، فعن أنس ﷺ، قال ﷺ: «وجبت»[1]، لما أثنوا على بعض الموتى[2].

وبيان ما على الممدوح:

فعلى المَمْدُوحِ أن يكون شديد الاحترازِ عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه إلا بأن يعرف نفسه، ويتأمل ما في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الأعمال، فإنه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح، ولو انْكَشَفَ له جميع أَسْرَارِهِ وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه، وعليه أن يظهر كراهة المدح بإذلال المادح، فعن المقداد ﷺ، قال ﷺ: «احثوا التراب في وجوه المادحين»[3].

قال سفيان بن عيينة: «لا يضرُّ المدح مَن عرف نفسه».

وأُثني على رجل من الصَّالحين، فقال: «اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني».

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم، كما في المغني٢: ١٦١.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين ٣: ١٦١.

(٣) أخرجه مسلم، كما في المغني٢: ١٦١.

وقال آخر لما أثنى عليه: «اللهم إن عبدك هذا تقرَّب إلي بمقتك، وأنا أشهدك على مقته».

وقال علي رضي الله عنه: «لما أثنى عليه اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ما لا يَعْلَمُونَ ولا تُؤَاخِذْنِي بما يقولون، واجعلني خيراً مما يظنون».

وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال: «أتهلكني وتهلك نفسك».

وأثنى رجل على علي رضي الله عنه في وجهه، وكان قد بلغه أنّه يقعُ فيه، فقال: «أنا دون ما قلت، وفوق ما في نفسِك»[1].

* الآفة الرابعة والسّتون: السجع:

وهو توازن الفقر وتقارب الفواصل، وقيل: تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهو في النثر كالقافية في الشعر.

وحكمه:

يُكره المبالغة والتكلف في السجع الخارج عن المعتاد والحاجة، لا سيما إن كان فيه رياء.

ويُباح السَّجعُ والفصاحةُ إن كانا بلا تكلف بأن يكونا سليقةً وطبيعة، بلا تصنع وتكلّف وتعب في التعبير، فممدوحان خصوصاً إذا كانا في الخطابة والتذكير في العظة، بل يستحب التكلف اليسير فيهما؛ لأن فيهما تحريك القلوب وتشويقها إلى الطاعة، وقبضها عن المعاصي عند ذكر الوعيد وبسطها

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين ٣: ١٦١.

عند ذكر الوعد بالعبارات العذبة والكلمات المليحة والأداء الغريب والتعبير الأنيق؛ إذ الوجدان شاهد أن في تعبير المعنى الواحد بعبارة تفاوتاً بأدائه بعبارة أخرى.

وأما فيما عدا الخطابة والتذكير من المحاورات التي في قضاء الحاجة، فالتَّكلف فيهما ولو يسيراً والتَّشدق مذموم؛ لأنه ناشئ من الرِّياء[1].

* الآفة الخامسة والسّتون: التقصير في أداء العبادات المتعدية:

وهو أن لا يؤدي التعليم والتدريس للعلوم الدينية، والتذكير، والإمامة، والتأذين والإقامة بصورتها الكاملة.

وحكمه:

يكره تحريماً كراهة إثم أو إساءة على تقصيره بأداءِ هذه العبادات المتعدية، سواء كان بتقصيره في معرفةِ أحكامها، أو كسلاً في القيام بالواجب فيها، فينقص في أركانها وواجباتها وسننها؛ لا سيما إن كان يتقاضى عليها أجرة.

ولا بُدّ من معرفة أحكامها ورعايتها لمن باشرها حتى يحصل المشروط، فإن وجوده موقوف على وجود شرطه، فتصير عبادةً يترتب عليها الثواب، ولا يأثم إن تركها، فإن لم يراع ما ذكر من الأركان والشرائط صار آثماً، فلا يكون متقياً عند مباشرته وحاله ما ذكر، فكان آفة للسان أيضاً[2].

---

(١) ينظر: البريقة والطريقة ٤: ٢٨.

(٢) ينظر: البريقة والطريقة ٤: ٣٥.

* الآفة السادسة والستون: الكلامُ فيما لا يعني:

وهو ما لا يهمُه ولا يُفيدُه ولا يُثاب له ولا يُعاقب عليه، ففيه تضييع الوقت وقساوة القلب ووهن البدن وتأخير الرِّزق والحبس عن الجنة والحساب واللوم[1].

وحدُّ الكلام فيما لا يعنيك: أن تتكلَّم بكلام ولو سكت عنه لم تأثم ولم تستضرّ به في حال ولا مال.

وأحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك عن جميع الآفات، وتتكلم بما هو مباح لا ضرر فيه عليك، ولا على مسلم أصلاً، إلا أنك تتكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه، فإنك به مضيعٌ زمانك، ومحاسبٌ على عمل لسانك، ومستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؛ لأنك لو صرفت الكلام إلى الفكر والذكر رُبَّما يفتح لك من نفحات رحمته عند الفكرة ما يعظم جدواه، ولو هللت له تعالى أو سبحته وذكرته لكان خيراً لك، فكم من كلمة يُبنى بها قصر في الجنة.

ومن قدر أن يأخذ كنزاً من الكنوز، فأخذ بدله مدرةً لا ينتفع بها كان خاسراً خسراناً مبيناً.

وهذا مثال مَن ترك ذكر الله تعالى، واشتغل بمباح لا يَعنيه، فإنه وإن لم يأثم، فقد خَسِر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى، فإن المؤمنَ لا يكون

---

(١) ينظر: البريقة المحمودية ٤: ٣٠.

صمته إلا فكراً، ونظره إلا عبرةً، ونطقه إلا ذكراً، بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا يَعْنِيهِ ولم يَدَّخِرْ بها ثواباً في الآخرة فقد ضَيَّعَ رأس ماله[١].

وحكمه:

يُكره تنزيهاً إن قَلَّ الكلام فيما يعني، ويُكره تحريماً كراهة إساة إن أكثر منه.

ومن دلائل قبحه:

ما كان من اعتبار الشَّارع الحكيم أن حُسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «مِن حُسْنِ إِسْلَامِ المرء تركه ما لا يعنيه»[٢].

وكان التكلم فيما لا يعني فضل يخاف منه الوزر، قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «لا تتكلَّم فيما لا يَعنيك، فإنّه فضل، ولا آمن عليك الوزر، ولا تتكلم فيما يَعنيك حتى تجدَ له موضعاً، فإنّه رُبّ مُتكلِّم في أمر يَعنيه قد وضعه في غير مَوضعه فعنت».

وكان حرص الصالحين في مجاهدة أنفسهم في ترك ما لا يعني، قال مورق العجلي: «أَمرٌ أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه، ولست بتارك طلبه، قالوا: وما هو قال: السكوت عما لا يعنيني».

---

(١) ينظر: الإحياء٣: ١١٢.

(٢) أخرجه الترمذي وقال: غريب، وابن ماجه، كما في المغني٢: ١١٣.

وكان النهي من الخوض فيما لا يعني، قال عمر ﵁: «لا تتعرّض لما لا يعنيك»[١].

ومن صوره:

ـ أن تجلس مع قوم، فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار، وما وقع لك من الوقائع، وما استحسنته من الأطعمة والثياب، وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم، فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تستضرّ، وإذا بالغت في الجهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة، ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى، فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك، وأنى تسلم من الآفات.

ـ أن تسأل غيرك عما لا يعنيك، فأنت بالسؤال مضيعٌ وقتك وقد الجأت صاحبك أيضاً بالجواب إلى التضييع، هذا إذا كان الشيء مما يتطرق إلى السؤال عنه آفة، وأكثر الأسئلة فيها آفات، فإنك تسأل غيرك عن عبادته مثلاً، فتقول له: هل أنت صائمٌ، فإن قال: نعم كان مُظهراً لعبادته، فيدخل عليه الرياء، وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السرّ، وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات، وإن قال: لا كان كاذباً وإن سكت كان مستحقراً لك، وتأذيت به، وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه، فقد عرضته بالسؤال إما للرِّياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب في حيلة الدفع.

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١١٣.

ـ السؤال عن سائر عباداته، وكذلك سؤالك عن المعاصي، وعن كلّ ما يخفيه، ويستحي منه.

ـ السؤال عما حدث به غيرك فتقول له ماذا تقول وفيم أنت.

ـ أن ترى إنساناً في الطريق فتقول: من أين فربما يمنعه مانع من ذكره، فإن ذكره تأذى به واستحيا وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه.

ـ السؤال عن مسألة لا حاجة بك إليها والمسئول ربما لم تسمح نفسه بأن يقول: لا أدري، فيجيب عن غير بصيرة، وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب هو مما لا يعني، وتركه من حسن الإسلام[1].

ويخرج من صور ما لا يعني:

أ.الكلام لغرض صحيح، كما إذا قارنه نية صالحة مثل دفع التهمة بالكبر والعجب بعدم التكلم واحتقار من في المجلس.

ب.الكلام لدفع المهابة والحياء حتى يتكلم صاحبه تمام مراده من الاستفتاء وغيره.

ج.الكلام لدفع الحزن عن المحزون والمصاب: كمن وقع في مصادرة الظالم وحبسه.

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١١٤.

د.الكلام لتسلية النساء المفارقات لأهاليهن والمحبوسات في البيوت والمتوحشات بالوحدة والعزلة، وحسن المعاشرة معهن، فإن ذلك يوجب المؤانسة والألفة، والصمت ربما يوقع الوحشة والبرودة.

هـ.التلطف بالصبيان لحاجتهم له، ولأثره الطيب على سلوكهم.

و.الكلام لعدم إدراك ألم السفر أو العمل من الأعمال الشاقة أو نحو ذلك من الدواعي.

ويستحب المزاح في هذه المواضع بشرطه المتقدم، وبهذا النيات الصالحة خج عن حد ما لا يعني؛ لأنه حينئذٍ مثاب، فكل ما لا يعني يستحب تركه[1].

وسببه الباعث عليه:

فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد أو تَزْجِيَةِ الأَوقاتِ بحكايات أَحوالٍ لا فائدةَ فيها[2].

وعلاجه:

أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الموت بين يديه، وأنّه مسؤولٌ عن كلِّ كلمةٍ، وأن أَنْفَاسَهُ رَأْسُ مالِهِ وأَنَّ لِسَانَهُ شَبَكَةٌ يَقْدِرُ أن يقتنص بها الحور العين، فإهماله ذلك، وتضييعه خسران مبينٌ، هذا علاجه من حيث العلم.

---

(١) ينظر: البريقة والطريقة ٤: ٣١.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين ٣: ١١٤.

وأمَّا من حيث العمل، فالعزلة أو أن يضع حصاة في فيه، وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يَعنيه حتى يَعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه، وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديدٌ جداً(١).

* الآفة السّابعة والسّتون: الفضول:

وهو الزّيادة فيما يعني على قدر الحاجة.

فإذا أمكن أداءُ المرام بكلمات قليلة، فأتى بزيادة، فالزِّيادة من قبيل الفضول، فمهما تَأَدَّى مَقْصُودُهُ بكلمةٍ واحدةٍ، فذكر كلمتين، فالثانيةُ فُضُولٌ: أي فضلٌ عن الحاجة(٢).

وليس منه التفصيل في المسائل المشكلة لإيضاحها ودفع احتمالاتها خصوصاً للأفهام القاصرة والتكرار في العظة من الوعظ، والتذكير والتعليم والتدريس، فإن المدرس يُقرِّر ويُكرر على حسب حال المتعلم مبتدياً أو منتهياً(٣).

وحكمه:

يُكره تنزيهاً الزِّيادةُ في الكلام بلا حاجةٍ، ويُكره تحريماً كراهة إساءة إن بالغ في الزِّيادة بإلحاق ضرر بالآخرين من إضاعة وقت وإملال وغيرها.

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١١٤.

(٢) ينظر: الإحياء٣: ١١٤.

(٣) ينظر: البريقة والطريقة٤: ١٣٣.

فيستحبُّ فيما لا حاجة فيه الإيجازُ والاختصارُ على قدر إفادةِ المرام، فلا يكون على وجهٍ مخلٍّ لفهمِه كالتَّعميةِ واللغز[1].

ومن دلائل قبحه:

ما كان من حسرة الإنسان إن نشرت الصحف يوم القيامة وكان مليئة بما لا يعني، قال عطاءُ بنُ أبي رباح: «إِنَّ مَن كان قَبْلَكُمْ كانوا يَكْرَهُونَ فُضُولَ الكلام، وكانُوا يَعُدُّونَ فُضُولَ الكَلَامِ ما عدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ أو أمر بمعروف أو نهياً عن منكر أو أن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بُدّ لك منها، أَتُنْكِرُونَ أَنَّ عليكم حافظين كراماً كاتبين عنِ اليمين وعنِ الشمال قعيدٌ ما يَلْفِظُ من قول إلا لديه رقيب عتيد، أَمَا يَسْتَحِي أَحَدُكُمْ إِذا نُشِرَتْ صَحِيفَتُهُ التي أَمْلَاهَا صَدْرَ نَهارِهِ كان أَكْثَرُ ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه».

وكان الصَّحابة ﷺ يتجنون ما يشتهون من الكلام خشية الوقوع في الفضول، فعن بعض الصحابة ﷺ قال: «إن الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه أشهى إليَّ من الماء البارد إلى الظمآن، فأترك جوابه خيفة أن يكون فضولاً».

وكان المهم من الكلام معروفٌ، والفضولُ غيرُ محصور، قال تعالى: {لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ} [النساء:١١٤].

---

(١) ينظر: البريقة والطريقة٤: ١٣٣.

وكان الفضل العظيم لمن ترك الفضول، قال ﷺ: «طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله»[1]، فانظر كيف قلبَ النَّاسُ الأمر في ذلك، فَأَمْسَكُوا فضلَ المالِ، وأَطْلَقُوا فضل اللِّسان.

وكان فضول الكلام من المباهاة، قال عمر بن عبد العزيز: «إنه ليمنعني من كثير من الكلام خوف المباهاة».

وكان الفضول موافقة هوىٰ النفس في الكلام، قال بعض الحكماء: «إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت، وإن كان ساكتاً فأعجبه السّكوت فليتكلم».

وكان في ترك الفضول سلامة، قال يزيد بن أبي حبيب: «من فتنة العالم أن يكون الكلام أحبُّ إليه من الاستماع، فإن وجد مَن يكفيه، فإن في الاستمتاع سلامة، وفي الكلام تزيين وزيادة ونقصان».

وكان ترك الفضول من تطهير اللسان، قال ابن عمر: «إنَّ أَحَقَّ ما طَهَّرَ الرجل لسانه»، ورأىٰ أبو الدرداء ﷺ امرأةً سليطةً فقال: «لو كانت هذه خرساء كان خيراً لها».

وكان الفضول طريقاً لهلاك صاحبه، قال إبراهيم: «يهلك الناس خلتان: فضول المال وفضول الكلام.

---

(١) أخرجه البغوي وابن قانع والبيهقي من حديث ركب المصري، وقال ابن عبد البر: إنه حديث حسن، وقال البغوي: لا أدري سمع من النبي ﷺ أم لا، وقال ابن مندة: مجهول لا نعرف له صحبة، ورواه البزار من حديث أنس ﷺ بسند ضعيف، كما في المغني٣: ١١٥.

وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني[١].

*** الآفة الثامنة والسّتون: مخالفة مقتضى العقود:**

وهو أن يخالفَ في عقودِه المختلفةِ مُقتضاها، كأن يشرط شروطاً لا يقتضيها العقد، فيقع في الفساد والضرر.

وحكمه:

يكره تحريماً أن يعقد عقوداً على خلاف ما تقضتيها العقود الصحيحة، فيقع في الربا والفساد والضرر، فيمكن أن يكون مسيئاً أو أثماً على حسب المخالفة الشرعية التي وقع فيها.

ومعلوم أنه لا غنى للإنسان عن العقود كالبيع والإجارة والشركة والمضاربة والرهن والهبة والنكاح والطلاق والإيداع والإعارة ونحوها، فهذه الأمور مباحات شرعا في نفسها، وإن كان بعضها في بعض الحال واجباً: كالنكاح عند التوقان للقادر على النفقة والمهر المعجل؛ لأن ما لا يتوسل إلى ترك الحرام إلا به يكون فرضاً ويكون واجباً على حسبه ، أو سنة كهو حال الاعتدال ويكره لخوف الجور، أو مستحباً.

ولكن الشرع اعتبر فيه أركاناً وشروطاً تجب رعايتهما عند المباشرة، وإن لم يراع تلك الأركان والشروط يصير باطلاً؛ إذ ركن الشيء جزؤه، فبانتفاء الجزء ينتفي، أو فاسداً؛ لأنّه إن كان الخلل لذات الشيء فباطل وإن لوصفه

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٣: ١١٥.

ففاسد، أو مكروهاً فيأثم إن صاحبه ما يسيء، فتكون آفة للسان.

ولا بُدّ لكل من باشر هذه الأمور من العقود والفسوخ أو بعضها من معرفة أحكامها الشريعة مما يحصل معه على غاية السداد والسلامة من الإثم والإساءة؛ لأنه من علم الحال، وهو فرض عين على كلِّ مكلف[1].

*** الآفة التاسعة والسّتون: التّقصير في أداء العبادات القاصرة:**

وهو أن لا يؤدي العبادات القاصرة من صلاة وحجٍّ واعتكاف وذكر وتلاوة ودعاء وغيرها بهيئتها المشروعة.

وحكمه:

يَحرم ويُكره أن يُخِلّ بأداء العبادات عن الهيئة المشروعة فيها، فلا يأت بشروطها أو أركانها أو واجباتها أو سننها أو آدابها.

فإن لم تراع أحكامها يكون آثماً أو مسيئاً، فيكون آفة اللسان؛ إذ كلُّ إثم أو إساءة صدرت من اللسان فآفة اللسان[2].

ﮐ ﮐ ﮐ

(١) ينظر: البريقة والطريقة٤: ٣٤.

(٢) ينظر: البريقة ونالطريقة٤: ٣٥ـ ٣٦.

المبحث الثّالث
في آفات اللسان المحظورة سكوتاً

* الآفة السّبعون: ترك تعلُّم فرض وواجب قراءة القرآن:

وهو أن لا يكون حافظاً لفرض القراءةِ وهي آيةٌ، ولواجب القرآءة، وهي الفاتحةُ وثلاثُ آياتٍ قصيرةٍ، أو أيةُ طويلةٌ بمقدار سورة الكوثر.

وحكمه:

يحرم على القادر ترك حفظ آية من القرآن يقدر على أداء فرض القرآءة في الصلاة بها، وترك حفظ الفاتحة وثلاث آيات قصيرة يقدره بها أداء واجب الصلاة، أما العاجز فيقتصر على التسبيح.

ويفرض حفظ سائر القرآن على الكفاية.

* الآفة الواحدة والسبعون: ترك تعلُّم المسنونَ والمستحبَّ من القراءة في الصّلاة:

وهو أن يترك حفظَ ما يُسنُّ قراءتُه وما يُستحبُّ في الصَّلاة، وكيفية قراءته مُرتلاً.

وحكمه:

يكره كراهة إساءة تركُ تعلّم مقدار المسنون في الصلاة من القراءة، ويُكره تنزيهاً تعلم مقدار المستحبِّ قراءته في الصَّلاة.

ويُكره إساءة أو تنزيهاً ترك تعلم أحكام التجويف على الخلاف في تعلمها بين السنية والاستحباب.

* الآفة الثانية والسّبعون: ترك تعلم الأذكار والتسابيح في الصلاة:

وهو أن يترك تعلم صيغ التَّسابيح والتَّشهد والصَّلاة والدعاء وأماكنها في الصلاة.

وحكمه:

يكره تحريماً كراهة إثم ترك تعلم التشهد والتحريمة.

ويكره تحريماً كراهة إساءة تعلم التسابيح وأعداده وأماكنها والصلاة على النبي ﷺ والدعاء والتكبيرات والسلام والاستفتاح والتعوذ وغيرها.

* الآفة الثالثة والسبعون: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للقادر:

وهو أن يترك الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر بلسانه، وهو قادر عليه، إما جهلاً أو تهاوناً.

وحكمه:

يحرم ويكره تحريماً وتنزيهاً على حسب حال المنكر والمعروف الواقع، والحكم الواجب بها، فإن كان واجباً يجب الأمر بها، وإن كان حراماً يجب النهي عنه، وإن كان مسنوناً يُسنُّ الأمرُ به، وإن مكروهاً يُكره النَّهي عنه، وإن كان مُستحباً يُستحبُّ الأمر به، وإن كان مكروهاً تَنزيهاً يُكره تَنزيهاً النَّهي عنه، فكلٌّ على حسب حاله لمن كان قادراً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا ضرر مع مظنة التأخير والتغيير، ولا يعذر بالجهل في دار الإسلام، بل عليه مؤخذتان، مؤاخذة عدم التعلم، ومؤخذة عدم العمل.

قال الخادمي[1]: «الأمر بالمعروف تابع للمأمور، فإن واجباً، فالأمر واجب كفاية، وإن ندباً فندب»، فعن أبي بكر ﷺ، قال ﷺ: «إنَّ الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه»[2].

وشرائط النهي عن المنكر:

أ. أن لا يكون المنهي عنه واقعاً؛ لأن الحسن هو الذم على الواقع لا النهي عنه.

ب. أن يغلب على ظنه أنه يفعله، كما أنّ الشّارب تهيأ لشرب الخمر بإعداد الآلة.

---

(١) في البريقة المحمودية ٤: ٣٨.

(٢) في سنن ابن ماجة ٢: ١٣٢٧، ومصنف ابن أبي شيبة ٧: ٥٠٤.

ج. أن يغلب على ظنه أنه إن نهاه لا يلحقه مضرة، ولا يزيد المنهي عنه أيضاً في منكراته متعنتاً به لإنكاره.

د. أن يغلب على ظنه أن نهيه مؤثر لا عبث[1].

* الآفة الرابعة والسبعون: ترك النصح للمسلمين:

وهو أن يترك النصيحة للمسلمين مع مظنة فائدتها.

وحكمه:

يكره أن يترك النُّصح للمسلمين؛ لما فيه من رفع الضَّرر ونصرة الدين وإعادة المسلمين إن ظَنّ النَّاصح قبول نصيحته، فعن تميم الداري ﵁، قال ﷺ: «الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[2].

قال الخطابي: النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له، ومعنى الحديث عماد الدين وقوامه النصيحة كقوله الحج عرفة أي عماده ومعظمه عرفة.

أما النصيحة لله تعالى فمعناها منصرف إلى الإيمان به، ونفي الشريك عنه وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصح نفسه، فالله سبحانه وتعالى غنى عن نصح الناصح.

---

(١) ينظر: البريقة المحمودية٤: ٣٨.

(٢) في صحيح مسلم١: ٧٤.

وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالىٰ، فالإيمان بأنه كلام الله تعالىٰ وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابه.

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ فتصديقه علىٰ الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم علىٰ الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به والمراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات.

وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمور فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم(١).

* الآفة الخامسة والسبعون: ترك الإصلاح بين المسلمين:

وهو أن يترك الإصلاح بين المسلمين مع القدرة عليه وظنه بتحققه.

وحكمه:

يكره ترك الإصلاح بين الناس مع القدرة عليه عند مظنه تحققه ؛ لترك المعروف بين الناس، وإزالة الضغائن بين المسلمين ورفع الأحقاق، وزيادة التحاب، قال تعالىٰ: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ }[النساء:١٢٨].

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام

ــــــــــــــــــ

(١) ينظر: تعليق محمد الباقي١ : ٧٤.

والصّلاة والصّدقة؟ قالوا: بلى، يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة»[١].

* الآفة السّادسة والسّبعون: ترك تعلم علم الحال:

وهو أن يتركَ تعلم أحكام ما يفرض عليه العمل به في أحواله المختلفة أو يسن أو يستحبُّ.

وحكمه:

يحرم عليه ترك تعلم ما يفرض عليه في الحال إن كان فرضاً أو واجباً أو مكروهاً أو حراماً؛ لأن العمل به واجب أو الترك له حرام، والعلم فرع العمل؛ لقوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٢].

ويكره تحريماً إساءة أو تنزيهاً ترك تعلم ما يسنّ عليه العمل أو يُستحب؛ لأن للعلم حكم العمل به، قال ﷻ: {يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ

---

(١) في سنن أبي داود٤: ٢٨٠، وصحيح ابن خزيمة١١: ٤٨٩.

(٢) في سنن ابن ماجة ١: ٨١، والمعجم الكبير ١٠: ١٩٥، والمعجم الأوسط ١: ٧، والمعجم الصغير ١: ٣٦، ومسند أبي يعلى ٥: ٢٢٣، ومسند البزار ١: ١٧٢، وشعب الإيمان ٢: ٢٥٣، وحلية الأولياء ٨: ٣٢٣، قال العراقي: صحح بعض الأئمة بعض طرقه، وقال المزي: إنَّ طرقه تبلغ رتبة الحسن، وحسنه ابن حجر، ومعنى الحديث كما قال البيهقي في المدخل: العلم العام الذي لا يسع البالغ العاقل جهله، أو علم ما يطرأ له خاصة، أو المراد أنّه فريضة على كل مسلم حتى يقوم به من فيه الكفاية. ينظر: كشف الخفاء٢: ٦٥٤.

أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}[المجادلة: ١١]، وعن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «أفضل الصدقة أن يتعلّم المرء المسلم علماً، ثم يعلمه أخاه المسلم»(١).

قال الزَّرنوجي: «اعلم أنَّه لا يفترض على كل مسلم طلب كلّ علم، وإنَّما يُفترضُ عليه طلبُ علم الحال، بأن يطلب علم ما يقع له في حاله في أي حال كان، فيُفترض عليه تعلم ما لا بُدّ له من أَحكام الطّهارة والصّلاة مما يقع له، ويَجب عليه بقدر ما يؤدِّي به الواجب؛ لأنَّ ما يتوسّل به إلى إقامة الفرض يكون فرضاً، وما يتوسّل به إلى إقامة الواجب واجباً، ومثل ذلك تعلم أَحكام الصيام والزّكاة إن كان له مال، والحج إن وجب عليه، وكذلك البيوع إن كان يتَّجر، وكذلك يفرض عليه علم أَحوال القلب، من التوكل والإنابة والخشية والرضا، فإنَّه واقع في جميع الأحوال»(٢).

*** الآفة السّابعة والسّبعون: ترك السَّلام:**

وهو أن يترك السَّلام ابتداءً أو رداً.

وحكمه:

يكره كراهة تحريم إساءة أو تنزيهاً ترك السَّلام على الآخرين من المسلمين على حسب أحوالهم، فعن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى

---

(١) في سنن ابن ماجة ١: ٨٩، وفي فيض القدير ٢: ٣٧: قال المنذري: إسناده حسن لو صح سماع الحسن منه.

(٢) ينظر: نفحات السلوك ص٤٧٣.

تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[١].

ويُكره كراهة تحريم إثم تركُ رَدِّ السَّلام لمن سَلَّم علينا إن لم يكن صاحب غرض، فإن كان صاحب غرض ومسألة كُره تَنزيهاً تركُ الإجابة، فعن أبي هريرة ﵁ قال ﷺ: «خمس تجب للمسلم على أخيه: ردّ السّلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز»[٢].

قال الخادميُّ[٣]: «لا يُسَلِّمُ على مَن يُدَرِّسُ، ولا مَن يُعَلِّمُ القرآن ولو سَلَّم في هذه الصُّور لا يجب الرَّدُّ، ولو رد جاز، وكذا لا يسلم على القارئ والذاكر، ولا حال الخطبة، ولا يجوز الرد إن سلم، ولا على من يبول أو يتغوط، فإن سلم يرد بقلبه فقط، ولا على المصلي ولا على الشيخ الممازح والكذاب واللاغي ولا على السباب وغيرها».

وقال الحصكفي[٤]: «فرض الكفاية: إن قام به البعض سقط عن الباقين، فيجب ردّ جواب كتاب التحية كرد السلام، ولو قال لآخر: أقرئ فلاناً السلام يجب عليه ذلك، ويكره السلام على الفاسق لو معلناً، وإلا لا يكره،

---

(١) في صحيح مسلم ١: ٧٤.

(٢) في صحيح مسلم٤: ١٧٠٤، وصحيح البُخاري١: ٤١٨، وسنن الترمذي ٥: ٨٠.

(٣) في البريقة المحمودية٤: ٣٨.

(٤) في الدر المختار٦: ٤١٤-٤١٥.

كما يُكره على عاجز عن الردّ حقيقة: كآكل، أو شرعاً: كمصل وقارئ، ولو سلّم لا يستحقُّ الجواب»

* الآفة الثّامنة والسّبعون: ترك التشميت للحامد:

وهو أن يترك تشيمت العاطس مع حمد لله تعالى بعدها.

والسنة في حق العاطس أن يقول: الحمد لله رب العالمين، أو على كل حال، ولمن حضر أن يقول: يرحمك الله، فيرد عليه العاطس فيقول: يغفر الله لك أو يهديك، وإذا عطست المرأة فلا بأس بتشميتها إلا أن تكون شابة، وإذا عطس الرجل فشمتته المرأة فإن كانت عجوزاً يرد عليها، وإن كانت شابةً يرد في قلبه[1].

وحكمه:

يكره كراهة تحريم إثم ترك التشميت للعاطس إن حمد الله تعالى؛ لأنه التشيت واجب على الكفاية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: «إذا عطس أَحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم»[2].

وأما إذا لم يكن التشميت واجباً كما في حال الخطبة أو العاطس شابة

---

(١) ينظر: البحر الرائق ٨: ٢٣٦.

(٢) في صحيح البخاري٥: ٢٢٩٨.

أجنبية فلا يأتي به[١]، فعن أنس ﷺ، قال: «عطس رجلان عند النبيّ ﷺ فشمَّت أحدُهما ولم يشمت الآخر، فقال الرجل: يا رسول الله، شمت هذا ولم تشمتني، قال ﷺ: إنَّ هذا حمد الله ولم تحمد الله»[٢].

* الآفة التّاسعة والسّبعون: ترك الاستئذان:

وهو أن يترك الاستئذان في دخول دار غيره.

وحكمه:

يكره تحريماً كراهة إثم ترك الاسئذان في الدخول لغير داره، ولو دار أخ أو صديق، ما لم يكن مكاناً يؤذن للدخول به للناس كالأماكن العامة والأماكن التجارية وأمثالها.

قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ}[النور: ٢٧] التي تسكنونها، فإن الأجير والمعير لا يدخلان إلا بإذن، {حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا} [النور: ٢٧] تستأذنوا {وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا} [النور: ٢٧] بأن تقولوا: السلام عليكم أأدخل، ويقول ذلك ثلاثاً، فإن أذن له دخل، وإلا رجع {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ} [النور: ٢٧][٣].

---

(١) ينظر: البريقة والطريقة٤: ٤١.

(٢) في صحيح البخاري٥: ٢٢٩٨.

(٣) ينظر: البريقة المحمودية٤: ٤٣.

فعن أبي موسى الأشعري ﷺ، قال ﷺ: «الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك فادخل، وإلا فارجع»[1].

* الآفة الثمانون: ترك كلام الوالدين والمحارم:

وهو أن يترك الكلام مع الوالدين وسائر محارمه.

وحكمه:

يحرم عليه ترك الكلام مع والديه ومحارمه؛ لأن يجب عليه خدمتهم والقيام بواجبهم، وفي ترك كلامه محارمه قطع للرح، وهو مأمورن بوصلها، قال تعالى: {وَإِن جَاهَدَاكَ عَلىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}[لقمان:١٥]، وقال تعالى: {وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ}[الأحزاب:٦].

فعن أنس ﷺ، قال ﷺ: «من سره أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه»[2].

وعن أبي أيوب ﷺ أن رجلا قال: «يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال القوم: ما له ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: أرب ما له، فقال النبي ﷺ: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، ذرها، قال: كأنه كان على راحلته»[3].

---

(١) في صحيح مسلم٥: ١٤٠٣.

(٢) في صحيح البخاري٣: ٥٦.

(٣) في صحيح البخاري٨: ٥.

الآفة الحادية والثمانون: ترك إنقاذ المحتاج بالقول:

وهو أن يترك إنقاذ تخليص المظلوم بالأمر أو الشفاعة بالقول عند القدرة بأن لا يخاف من ضرره لنفسه أو لغيره لأجله[1].

وحكمه:

يحرم الامتناع عن إنقاض غيره إن كان قادراً عليه بلا ضرر يلحقه فيما يكون فيه ضرره كبير على غيره كقتل له أو أخذ ماله أو حبسه أو أمثاله.

الآفة الثانية والثمانون: ترك الشهادة والتزكية:

وهو أن يترك الشهادة أو التزكية إن تعين مع القدرة عليها.

وحكمه:

يحرم ترك الشهادة أو التزكية لمن تعين لها مع القدرة عليها إن لم يكن يلحقه ضرر بسببها.

وإن لم يكن سواه أو كانوا ولكن ممَّن لا يظهر الحق بشهادتهم عند القاضي أو كان يظهر إلا أن شهادته أَسرع قبولاً لا يسعه الامتناع[2]، وإذا خاف الشاهد على نفسه من سلطان جائر أو غيره أو لم يتذكر الشهادة على وجهها وسعه الامتناع[3].

---

(١) ينظر: طريقة محمدية٤ك ٣٥.

(٢) ينظر: الجوهرة٢: ٢٢٤.

(٣) ينظر: رد المحتار٧: ٥٨

قال تعالى: {وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ}[البقرة:٢٨٢]، وقال تعالى: {وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيم}[البقرة:٢٨٣]، وهذا وإن كان نهياً عن الإباء وعن الكتمان، لكن النهي عن الشيء يكون أمراً بضدِّه إذا كان له ضدّ واحد؛ لأنَّ الانتهاءَ لا يكون إلاّ بالاشتغال به، فكان أداءُ الشهادة فرضاً قطعاً كفريضة الانتهاء عن الكتمان، فصار كالأمر به بل آكد؛ ولهذا أسند الإثم إلى الآلة التي وَقَعَ بها الفعل وهي القلب؛ لأنّ إسنادَ الفعل إلى محلِّه أقوى من إسناده إلى كلّه[1].

الآفة الثالثة والثمانون: ترك تعظيم اسم الله تعالى:

وهو أن يترك ما يوجب تعظيم اسم الله تعالى بقوله.

وحكمه:

يُكره تنزيهاً ترك تعظيم اسم الله تعالى بمثل سبحان أو تبارك الله ونحوهما مما يدل على التعظيم نحو جل وعز عند سماعه، فإنه مستحب كلما سمع اسماً من أسماء الله تعالى بالاتفاق.

قال البَزَّازيُّ: ويستحبُّ أن يقول قال الله تعالى، ولا يقول قال الله بلا تعظيم، وبلا إرداف وصف صالح للتعظيم[2].

---

(١) ينظر: التبيين٤: ٢٠٧.

(٢) ينظر: البريقة والطريقة٤: ٥٤.

* الآفة الرّابعة والثّمانون: ترك السؤال للعاجز عن الكسب:

وهو أن يترك العاجز عن قوت يومه سؤال غيره ما يكفيه.

وحكمه:

يحرم على مَن لم يملك قوت يومه أن لا يطلب من غيره ما يكفيه إن خشي الهلاك؛ لأنَّه يفترض على كل مؤمن أن يدفع الهلاك عن نفسه ما أمكنه ولو كان بالسؤال[1].

والسؤال للعاجز عن الكسب عند المخمصة فرض عليه؛ لأنه آخر الكسب، ولو عجز عن الخروج بنفسه لأجل السؤال لنحو عدم الاستطاعة، يفترض على كل من علم أن يعطيه بقدر ما يتقوى على الطاعة، فإن لم يجد العالم بحاله ما يعطيه قدر ما يتقوى عليها لعدم قدرته، يفترض عليه أن يخبر لمن يقدر على إعطائه[2].

وبالجملة السكوت عن كل كلام وجب أو سن حرام في الواجب أو مكروه في المسنون، فإنه آفة اللسان وصاحبه شيطان أخرس[3].

فظهر مما ذكر أن أمر اللسان نطقاً وسكوتاً من أعظم الأمور وأهمها؛ لما فيه الورطات وكثرة الآفات ووفرة الابتلاء في المحاورات: كالقلب في

---

(١) ينظر: شرح ابن ملك ق١٢٣/ ب.

(٢) ينظر: الطريقة المحمدية ٤: ٤٦.

(٣) ينظر: البريقة والطريقة ٤: ٤٦.

التشبيه في أصل الكثرة أو في القوة، وإلا فما باللسان أكثر مما بالقلب؛ لكونهما من الأمور المعظمة، قيل: إنما كمال المرء بأصغريه جرماً وصورة؛ القلب بتخليته عن جميع الرذائل وتحليته بحسن الشمائل، واللسان بحفظه عن الهفوات والآفات المروية وتعوده بما يوجب مرضاة رب البرية.

فعليك أيها السالك بصيانة اللسان عن جميع هذه الآفات، حتى لا يصدر عنك شيء منها؛ إذ لا تقوى بدون صيانة اللسان، وإن كان وجودها يتوقف على غيرها، وخصوصاً كلمة الكفر، وقرينيه وهما خوف الكفر والخطأ.

وأما الكذب والغيبة فهما في آفات اللسان كالرياء والكبر في آفات القلب في أنها أمهات الخبائث ومنبع الرذائل، فكما أن من نجا من الكبر والرياء بعد النجاة من الكفر والبدعة، يرجى أن ينجو من سائر آفات القلب، فكذلك يرجى هاهنا أيضاً أن مَن نجا من الكذب والغيبة بالكلية بعد النجاة من تلفظ الكفر وقرينيه أن ينجو من سائر آفات اللسان بإذن الله تعالى وتوفيقه[1].

قال الغَزاليُّ[2]: «هذه مجامعُ آفات اللِّسان، ولا يُعينك عليه إلا العُزلة، أو ملازمة الصَّمت إلا بقدر الضَّرورة، فإن «عمر بن الخَطاب ﷺ دخل على أبي بكر الصِّديق ﷺ وهو يجبذ لسانه، فقال له عمر: مه، غفر الله لك، فقال أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد»[3].

---

(١) ينظر: الطريقة المحمدية والبريقة المحمودية ٤: ٤٩.

(٢) في بداية الهداية ص٥٦.

(٣) في الموطأ ٥: ١٤٣٨.

فاحترز منه بجهدك، فإنّه أقوى أسباب هلاكك في الدُّنيا والآخرة»، فعن ابن مسعود ﵁، أنه ارتقى الصَّفا فأخذ بلسانه فقال: «يا لسان، قل خيراً تغنم، واسكت عن شرٍّ تَسلم من قبل أن تندم، قال ﷺ: أكثر خطايا ابن آدم في لسانه»[1].

(١) في المعجم الكبير١٠: ١٩٧، ومسند الشاشي٢: ٨٢، قال العراقي في المغني٣: ١١٠: «أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند حسن».

الفصل الثّاني
وظائف اللسان

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: ما يتعلّق بالذّكر

المبحث الثاني: ما يتعلّق بالكلام

المبحث الأول
ما يتعلَّق بالذِّكر

إنّ الذِّكر بأنواعه الثلاثة من قراءة القرآن وأداء الأذكار ودعاء رب الأرباب هي الوظائف الحقيقية لهذا اللسان، ولا ينبغي لوظيفة أُخرىٰ أن تطغىٰ عليها، بل هي الحال الدَّائم للسان لمن جاهد نفسَه وسار في طريقه وعرف مصيرَه ومبتغاه، وهذا ما وصف اللهُ تعالىٰ به المؤمنين والمؤمنات، فقال: {وَالذَّاكِرِينَ اللهَّ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُّ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب:٣٥].

وهي أنجعُ الوسائل لتهذيب النَّفس وتخليصها من شوائبها، فمَن أكثر الذكر صَفَت نفسُه، ومَلَك فعلَه.

ولا يتحقَّقُ الذِّكرُ الدَّائمُ إلا بالمجاهدةِ الكبيرة، والمصاحبةِ المديدةِ للعارفين، فهي سبيلُ المؤمنين وطريقُ المسترشدين.

وفي هذا المبحث نعرضُ أنواع الذِّكر في مطالب راغبين توضيحها وبيان فضلها وطرق كسبها وصوراً منها؛ لتكون بصيرةً للسَّالكين لطريق رَبّ العالمين.

المطلب الأول: قراءة القرآن:

القرآن رأس الذكر وأساسه، ونصح الله تعالىٰ لعباده، ولا ينبغي عاقل أن يهجره؛ لأن ابتعده عن مرشده ومنقذه، فهو أعظم نافذة لمن أراد أن يبصر الدنيا، ويتعرف علىٰ حقيقتها، وينظر الآخرة فيتعلق ببهجتها ويخاف نارها، ويفهم الكون ونواميسه، ويتأمل في غايته ومقصده، فهو نور العقول وحياة القلوب؛ لذلك أمرنا سبحانه أن نفارقه وأن نقرأه لنتعض به، فقال تعالىٰ: {فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ}[المزمل:٢٠] .

ونهانا سبحانه وتعالىٰ أن نتركه ونهجره، فقال تعالىٰ: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا}[الفرقان:٣٠] ، فنهلك في مزالق الدنيا، وتتمكن شهواتها من نفوسنا، ويُسيطر متاعُها علىٰ قلوبنا، فلا نبصر الحقّ، ولا ننكر الباطل، فيكون الضّلال والضّياع نَصيبنا.

وحَذراً من الهلاك وسَعياً للنَّجاة نعرض ما يتعلَّق باللسان في نقاطٍ:

أولاً: فضل تلاوة القرآن:

ورد في فضل قراءة القرآن ما لا يحصىٰ من الآحاديث والآثار، ومنها:

ما كان من أن قارئ القرآن صاحب رائحة طيبة تفوح في كل مكان، فعن أبي موسىٰ الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة؛ ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة؛ لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن

مثل الريحانة؛ ريحها طيب وطعمها مُرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة؛ ليس لها ريح وطعمها مر»[(١)].

وكان الوعد لقارئه أن لا يعذب، قال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه: «اقرءوا القرآن، ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة، فإن الله لا يعذب قلباً هو وعاء للقرآن».

وكان قارئه حامل لصفات النبوة، قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «مَن قَرَأَ الْقُرْآنَ فقد أُدْرِجَتِ النُّبُوَّةُ بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه».

وكان البيت المقروء فيه مليء بالخير والملائكة، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «إن البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع بأهله، وكثر خيره وحضرته الملائكة، وخرجت منه الشياطين»[(٢)].

ومن هذا الفضل:

١. ارتفاعُ منزلة من تعلم القرآن، فعن عائشة رضي الله عنها، قال صلى الله عليه وسلم: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السَّفرة الكرام البَرَرة، والذي يقرأُ القرآن وهو يَتتعتع فيه، وهو عليه شاقٌّ له أجران»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥١١١ ومسلم رقم ٧٩٧.

(٢) هذا الآثار منقولة من إحياء علوم الدين١: ٢٧٤.

(٣) في صحيح البخاري٥: ١٦٦، وصحيح مسلم١: ٥٤٩.

٢.عظم آجر من يتلو القرآن، فعن ابن عمرو ﷺ، قال ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[١].

٣.شفاعة القرآن لمن يقرأه، فعن أبي أمامة الباهلي ﷺ، قال ﷺ: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»[٢].

٤.قراءة القرآن تغني عن السؤال لله تعالى، فعن أبي سعيد ﷺ، قال ﷺ: «يقول ﷻ: مَن شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السَّائلين، وفضل كلام الله ﷻ عن سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه»[٣].

٥.ينتفع الوالدان بقراءة القرآن والعمل به، فعن أنس الجهني ﷺ، قال ﷺ: «من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجاً يوم القيامة، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا، فما ظنكم بالذي عمل بهذا»[٤].

٦.القرآن حبل الله المتين وميزان الحق، فعن ابن مسعود ﷺ، قال ﷺ:

---

(١) في سنن أبي داود٢: ٧٣، وسنن الترمذي٥: ١٧٧، وقال: حسن صحيح، وصحيح ابن حبان٣: ٤٣، ومسند أحمد١١: ٤٠٣.

(٢) في صحيح مسلم١: ٥٣٣.

(٣) في سنن الترمذي٥: ١٨٤، قال: حسن صحيح.

(٤) في سنن أبي داود٢: ٧٠، والمستدرك١: ٧٥٦، وصححه.

«إنّ هذا القرآن مأدبة الله ﷻ، فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله ﷻ، والنور المبين، والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد»[١].

٧.لا تحاسد في تعلم القرآن، فعن ابن عمر رضي الله عنهما: قال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»[٢].

ثانياً: من آداب القرآءة:

١.أن يكون يحافظ على ورده اليومي من القرآن:

فعن عمر رضي الله عنه قال ﷺ: «مَن نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه، فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظُّهر كُتب له كأنّه قرأه من الليل»[٣].

وعن سليمان بن يسار، قال أبو أسيد رضي الله عنه: «نمت البارحة عن وردي حتى أصبحت، فلما أصبحت استرجعت، وكان وردي سورة البقرة فرأيت في المنام كأن بقرة تنطحني»[٤].

---

(١) في المستدرك ١: ٧٤١، وصححه، وأثبت لفظه من المستدرك لا من الدارمي كما في النووي.

(٢) في صحيح البخاري٩: ١٦٤، وصحيح مسلم١: ٥٥٨.

(٣) في صحيح مسلم١: ٥١٥، ومسند البزار١: ٤٢٨.

(٤) في المنامات لابن أبي الدنيا ص٩٨، والمجالسة وجواهر العلم٧: ٨٥، وقال النووي: رواه ابن أبي داود.

وعن بعض حفاظ القرآن أنه نام ليلةً عن حزبه فأري في منامه كأن قائلا يقول له:

عَجِبْتُ مِنْ جِسْمٍ وَمِنْ صِحَّةٍ ... وَمِنْ فَتًى نَامَ إِلَىٰ الْفَجْرِ

فَالْمَوْتُ لَا تُؤْمَنُ خَطَفَاتُهُ ... فِي ظُلَمِ اللَّيْلِ إِذَا يَسْرِي[1]

وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار، فمنهم من يختم القرآن في اليوم والليلة مرة، وبعضهم مرتين، وانتهى بعضهم إلى ثلاث، ومنهم من يختم في الشهر مرة، وأولى ما يرجع إليه في التقديرات؛ لما روي عن بن عمرو رضي الله عنهم قال ﷺ: «لا يفقه مَن قرأ القرآن في أقل من ثلاث»[2].

قال النَّوويُّ[3]: «ينبغي أن يحافظ على تلاوته ويكثر منها، وكان السَّلف رضي الله عنهم لهم عاداتٌ مختلفةٌ في قدر ما يختمون فيه.

والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمَن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف، فليقتصر على قدر ما يحصل له كمال فهم ما يقرؤه، وكذا مَن كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة، فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين، فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حدّ الملل والهذرمة».

---

(١) ينظر: مختصر قيام الليل١: ١٠٥.

(٢) في سنن أبي داود٢: ٥٤، وصححه النووي، وصحيح ابن حبان٣: ٣٥، ومسند أحمد١١: ٣٨٩.

(٣) ينظر: التبيان ص١٥٤ـ ١٦١.

٢.البكاء:

وهو في حال القراءة صفة العارفين، وشعار عباد الله الصالحين، قال الله تعالى: {وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا}[الإسراء:١٠٩]، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة وآثار السلف، فعن سعد بن أبي وقاص ﵁، قال ﷺ: «اقرؤوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»[١].

وعن عمر ﵁: «أنه صلى بالجماعة الصبح فقرأ سورة يوسف، فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته»[٢].

وعن أبي صالح: «قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق ﵁، فجعلوا يقرؤون القرآن ويبكون، فقال أبو بكر الصِّديق ﵁: هكذا كنا»[٣].

قال الغَزَاليُّ[٤]: «البكاء مستحبٌ مع القراءة وعندها، وطريقه في تحصيله أن يحضر قلبه الحزن، بأن يتأمّل ما فيه من التَّهديد والوعيد الشديد، والمواثيق والعهود، ثمّ يتأمل تقصيره في ذلك، فإن لم يحضره حزن وبكاء، كما يحضر الخواص، فليبك على فقد ذلك، فإنه من أعظم المصائب».

---

(١) في مسند سعد بن أبي وقاص ص٢١٤، مسند القضاعي٢: ٢٠٨، وقال العراقي في المغني٢: ٢٧٧: أخرجه ابن ماجه بإسناد جيد.

(٢) ينظر: التبيان ص٨٦.

(٣) في المنتقى من سماعات محمد بن عبد الرحيم المقدسي١: ١١.

(٤) في إحياء علوم الدين ١: ٢٧٧، باختصار.

٣.المحافظة على القراءة بالليل:

ينبغي أن يكون اعتناؤه بقراءة الليل أكثر، قال الله تعالى: {لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُون. يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِين}[آل عمران:١١٤].

فعن حفصة رضي الله عنها، قال ﷺ: «نعم الرجل عبد الله لو كان يُصلي من الليل»، فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً[١].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: « يا محمد، شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس»[٢].

وعن جابر رضي الله عنه، قال ﷺ: «لا تدعن صلاة الليل، ولو حلب شاة»[٣].

قال النَّوويُّ[٤]: «وإنّما رَجَحَتْ صلاة الليل وقراءته؛ لكونها أجمع للقلب، وأبعد عن الشاغلات والملهيات، والتصرف في الحاجات، وأصون عن الرياء وغيره من المحبطات مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل، فإن الإسراء برسول الله ﷺ كان ليلاً، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ:

---

(١) في صحيح البخاري٣: ٤٩.

(٢) المستدرك٤: ٣٦٠، وصححه، والمعجم الأوسط٤: ٣٠٦.

(٣) في المعجم الأوسط٤: ٢٥١، والمعجم الكبير١: ٢٧١، قال الهيثمي في مجمع الزوائد٢: ٢٥٢: «وفيه بقية بن الوليد، وفيه كلام كثير».

(٤) في التبيان ص٦٤.

«ينزل ربنا، تبارك وتعالى، كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له»[١].

فعن ابن عمرو ﵁ قال ﷺ: «مَن قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومَن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومَن قام بألف آية كتب من المقنطين»[٢].

وعن ابن عبَّاس ﵄: «مَن صلى بالليل ركعتين، فقد بات لله ساجداً وقائماً»[٣].

قال النوويُّ[٤]: «واعلم أنّ فضيلة القيام بالليل، والقراءة فيه تحصل بالقليل والكثير، وكلَّما كثر كان أفضل، إلا أن يستوعب الليل كلَّه، فإنّه يُكره الدوام عليه، وإلا أن يضرّ بنفسه».

٤ .استقبال القبلة:

يستحبُّ للقارئ في غير الصلاة أن يستقبل القبلة، فعن ابن عباس ﵄، قال ﷺ: «خير المجالس ما استقبل به القبلة»[٥]، ويجلس متخشعاً بسكينةٍ ووقار، مطرقاً رأسه، ويكون جلوسه وحده في تحسين أدبه وخضوعه كجلوسه بين يدي معلمه، فهذا هو الأكمل.

---

(١) في الموطأ٢: ٢٩٨، وصحيح البخاري٢: ٥٣.

(٢) في سنن أبي داود١: ٦٥، وصحيح ابن خزيمة٢: ١٨١، وصحيح ابن حبان٦: ٣١٠.

(٣) ينظر: التبيان ص٦٦.

(٤) في التبيان ص٦٥.

(٥) في تهذيب الآثار٢: ٥٣٨، وتاريخ الرقة١: ١٣٥.

ولو قرأ قائماً أو مضطجعاً أو في فراشه أو على غير ذلك من الأحوال جاز، وله أجر، ولكن دون الأول[١]،قال ﷻ : {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَاب. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار}[آل عمران:١٩١].

فعن عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري، وأنا حائض ويقرأ القرآن»[٢]. وفي رواية: «يقرأ القرآن ورأسه في حجري»[٣].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ: «إني أقرأ القرآن في صلاتي، وأقرأ على فراشي»[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها: «إني لأقرأ حزبي وأنا مضطجعة على السرير»[٥].

٥.الاستعاذة من الشيطان:

إن أراد الشروع في القراءة استعاذ، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وكان جماعة من السلف يقولون : أعوذ بالله السَّميع العليم من

---

(١) ينظر: التبيان ص٨٠.

(٢) في صحيح البخاري١ : ٦٧، وصحيح مسلم١ : ٢٤٦.

(٣) في صحيح البخاري٩ : ١٥٩.

(٤) ينظر: التبيان ص٨٠.

(٥) ينظر: التبيان ص٨٠.

الشيطان الرجيم، ولا بأس بهذا، ولكن الاختيار هو الأول.

ثمّ إنّ التَّعوُّذ مستحبٌّ وليس بواجب، ويُسنُّ في ابتداء الصلاة بعد الاستفتاح للإمام والمنفرد.

وينبغي أن يحافظ على قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة سوى براءة[1].

٦.ترتيل القراءة:

ينبغي أن يرتل قراءته، وقد اتفق العلماء ﭬ على استحباب الترتيل، قال الله تعالى: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً}[المزمل:٤].

فعن أم سلمة رضي الله عنها: «أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ: قراءة مفسّرةً حرفاً حرفاً»[2].

وعن عبد الله بن مغفل ﭬ، قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح يرجع في قراءته»[3].

وعن ابن عبَّاس ﭬ قال: «لأن أقرأ سورة أرتلها أحبُّ إليّ من أن أقرأ القرآن كلَّه»[4].

---

(١) ينظر: التبيان ص٨٥.

(٢) في سنن الترمذي٥: ١٨٢، وقال: حسن صحيح، وسنن النسائي الكبرى٢: ٢٨.

(٣) في صحيح البخاري٥: ١٤٧، وصحيح مسلم١: ٥٤٧.

(٤) في شعب الإيمان٣: ٤٧٤، ومصنف عبد الرزاق٢: ٤٨٩.

٧.احترام القرآن:

ومما يعتنى به ويتأكد الأمر به احترام القرآن من أمور قد يتساهل فيها بعض الغافلين القارئين مجتمعين، فمن ذلك:

أ.اجتناب الضحك واللغط والحديث في خلال القراءة، إلا كلاماً يضطر إليه، وليمتثل قول الله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْآنُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُون}[الأعراف:٢٠٤]، وليقتد بابن عمر ﷺ: «أنه كان إذا قرأ القرآن لا يتكلَّم حتى يفرغ منه».

ب.العبث باليد وغيرها، فإنه يُناجي ربه سبحانه وتعالى، فلا يعبث بين يديه.

ج.النظر إلى ما يُلهي ويُبدد الذِّهن، وأقبح من هذا كلِّه النَّظر إلى ما لا يجوز النظر إليه كالأمرد وغيره، ولأنه في معنى المرأة، بل رُبّما كان بعضهم أو كثير منهم أحسن من كثير من النساء، ويتمكن من أسباب الريبة فيه، ويتسهل من طرق الشر في حقّه ما لا يتسهل في حق المرأة، فكان تحريمه أولى[١].

٨.القراءة من المصحف:

قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر القلب؛ لأنّ النظر في المصحف عبادة مطلوبة، فتجتمع القراءة والنظر[٢].

---

(١) ينظر: التبيان ص ٩٣ ـ ٩٦.

(٢) ينظر: التبيان ص١٠٠.

ونَقَلَ الغَزَالِيُّ[١]: «أنّ كثيرين من الصحابة ﭭ كانوا يقرؤون من المصحف، ويكرهون أن يخرج يوم، ولم ينظروا في المصحف».

٩. قراءة القرآن مجتمعين:

قال النووي[٢]: «اعلم أنّ قراءةَ الجماعة مجتمعين مستحبةٌ بالدَّلائل الظاهرة وأفعال السلف والخلف المتظاهرة»، فعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ﭭ أنه قال: «ما من قوم يذكرون الله إلا حفت بهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمَن عنده»[٣].

وعن أبي هريرة ﭬ، قال ﷺ: «ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله تعالىٰ يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكره الله فيمن عنده»[٤].

وعن معاوية ﭬ: «أن النبيَّ ﷺ خرج علىٰ حلقةٍ من أصحابه، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالىٰ ونحمده لما هدانا للإسلام ومَن علينا به، فقال: أتاني جبريل ﭺ، فأخبرني أنّ اللهَ تعالىٰ يُباهي بكم الملائكة»[٥]، والأحاديث في هذا كثيرة.

---

(١) في إحياء علوم الدين١: ٢٧٩.

(٢) في التبيان ص١٠١.

(٣) في سنن الترمذي٥: ٤٥٩، وقال: حسن صحيح.

(٤) في صحيح مسلم٤: ٢٠٧٤.

(٥) في سنن الترمذي٥: ٤٦٠، وحسنه، وصحيح ابن حبان٣: ٩٥.

١٠.رفع الصّوت بالقراءة:

جاء أحاديثٌ كثيرةٌ في الصَّحيح وغيره دالّةٌ على استحباب رفع الصَّوت بالقراءة، وجاءت آثار دالّة على استحباب الإخفاء وخفض الصَّوت، وسنذكر منها طرفاً يسيراً إشارة إلى أصلها إن شاء الله تعالى:

وطريق الجمع بين الأحاديث والآثار المختلفة في هذا: أنَّ الإسرار أبعد من الرِّياء، فهو أفضل في حقِّ مَن يَخاف ذلك، فإن لم يخف الرِّياء فالجهر ورفع الصوت أفضل؛ لأنَّ العملَ فيه أكثر، ولأنّ فائدته تتعدَّى إلى غيره، والمتعدِّي أفضلُ من اللازم، ولأنه يوقظ قلب القارئ، ويجمع همّه إلى الفكر فيه، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النَّوم، ويزيد في النَّشاط ويوقظ غيره من نائم وغافل وينشطه.

ومهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل، فإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر، فهذا حكم المسألة.

وأما الآثار المنقولة فكثيرة، وأنا أشير إلى أطراف من بعضها[1]:

فعن أبي هريرة ﷺ، قال ﷺ: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي ﷺ، حسن الصّوت، يتغنى بالقرآن، يجهر به»[2]، ومعنى أذن استمع، وهو إشارة إلى الرّضا والقبول.

---

(١) ينظر: التبيان ص١٠٥.

(٢) في صحيح البخاري٦: ١٥٨، وصحيح مسلم١: ٤٥٤.

وعن أبي موسى الأشعري ، قال ﷺ: «لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»[١]، وفي رواية: «لقد رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة»[٢].

١١. استحباب تحسين الصوت بالقراءة:

أجمع العلماءُ من السَّلف والخلف من الصَّحابة والتابعين، ومن بعدهم من علماء الأمصار أئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن، وأقوالُهم وأفعالُهم مشهورة نهاية الشهرة، فنحن مستغنون عن نقل شيء من أفرادها، ودلائل هذا من حديث رسول الله ﷺ مستفيضة عند الخاصّة والعامة.

وتقدَّم في فضل التَّرتيل حديث عبد الله بن مغفَّل في ترجيع النَّبيِّ ﷺ القراءة، فعن أبي هريرة ، قال ﷺ: « ليس منا مَن لم يتغن بالقرآن»[٣]، قال جمهور العلماء: معنى لم يتغن لم يحسن صوته.

١٢. استفتاح المجالس بقراءة القرآن:

استحبَّ العلماءُ أن يستفتحَ مجلس حديث النبي ﷺ، ويختم بقراءة قارئ حسن الصوت ما تيسّر من القرآن، ثمّ إنّه ينبغي للقارئ في هذه المواطن أن يقرأ ما يليق بالمجلس ويُناسبه، وأن تكون قراءته في آيات الرجاء والخوف

(١) في صحيح البخاري٦: ١٩٥، صحيح مسلم١: ٥٤٦.

(٢) في صحيح مسلم١: ٥٤٦.

(٣) في صحيح البخاري٩: ١٥٤، وسنن أبي داود٢: ٧٤.

والمواعظ، والتَّزهيد في الدُّنيا، والتَّرغيب في الآخرة، والتأهب لها، وقصر الأمل، ومكارم الأخلاق(١).

١٣ . الدّعاء عند ختم القرآن:

يستحب الدعاء عقيب الختم، فعن حميد الأعرج، قال: «مَن قرأ القرآن ثمّ دعا أمن على دعائه أربعة آلاف ملك»(٢).

وينبغي أن يلح في الدعاء، وأن يدعو بالأمور المهمة، وأن يكثر في ذلك في صلاح المسلمين، وصلاح سلطانهم، وسائر ولاة أمورهم، فعن ابن المبارك: «كان إذا ختم القرآن أكثر دعائه للمسلمين والمؤمنين والمؤمنات»(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده، فدعا لهم»(٤).

ثالثاً: من أعمال الباطن في التلاوة(٥):

فهم أصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقي ثم التبري، وهي على النحو الآتي:

---

(١) ينظر: التبيان ص١١٤.

(٢) في سنن الدارمي٤: ٢١٨٤.

(٣) في شعب الإيمان٣/ ٥١٦،

(٤) في المعجم الكبير١: ٢٤٢، وشعب الإيمان٣: ٤٢١.

(٥) اختصر من كلام الغزالي في الإحياء١: ٢٨٠ـ٢٨٨.

١. **فَهْمُ عَظَمَةِ الكلام وَعُلُوِّهِ** وفضل اللهَّ تعالى ولطفه بخلقه إلى درجة إفهام خلقه، فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه

٢.**التَّعْظِيمُ لِلْمُتَكَلِّمِ**، فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر، وأن في تلاوة كلام الله تعالى غاية الخطر، فإنه تعالى قال: {لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُون} [الواقعة:٧٩]، وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهراً، فباطن معناه أيضاً بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهراً عن كلِّ رجس ومستنيراً بنور التعظيم والتوقير.

٣. **حُضُورُ الْقَلْبِ وَتَرْكُ حديث النفس**، قيل في تفسير: {يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ}[مريم:١٢]: أي بجدٍ واجتهادٍ، وأخذه بالجدِّ أن يكون متجرداً له عند قراءته منصرفٌ الهمة إليه عن غيره.

وقيل لبعضهم: إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء، فقال: أو شيء أحبُّ إلي من القرآن حتى أحدث به نفسي.

وهذه الصفة تَتَوَلَّدُ فعما قبلها من التعظيم، فإن المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به، ويستأنس ولا يغفل عنه، ففي القرآن ما يستأنس بِهِ القلب إن كان التالي أهلاً له، فكيف يطلب الأنس بالفكر في غيره، وهو في متنزه ومتفرج، والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها.

٤ . **التَّدَبُّرُ**؛ وهو وراء حضور القلب، فإنه قد لا يتكفر في غير القرآن، ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه، وهو لا يتدبّره، قال تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}[ص:٢٩]، والمقصود من القراءة التدبر، ولذلك سنّ؛ لأن الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن، قال علي ﷺ: لا خير في عبادة لا فقه فيها، ولا في قراءة لا تدبر فيها، قال تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[محمد:٢٤].

قال ابن عباس ﷺ: «لأَن أقرأ البقرة في ليلة أتدبرها وأرتلها؛ أحب إلى أن أقرأه كما تقرأ»[١].

وقال ابن مسعود ﷺ: «لا تهذّوا القرآن هذَّ الشِّعر ـ قراءة الشعر ـ، لا تنثروه نثر الدقل ـ أي رمي التمر الرديء ليسقط منه السوس ـ، وقفوا عند عجائبه، وحرِّكوا به القلوب»[٢]، وقال: «ولا يكن هَمُّ أحدكم آخر السورة»[٣]، ومن أمثلة تدبر السلف:

فعن أبي ذر ﷺ قال:«قام النبي ﷺ حتى أصبح بآية،والآية: {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم}[المائدة:١١٨]»[٤].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان رقم ٢٠٤٠.

(٢) شعب الإيمان ٢٠٤١.

(٣) شعب الإيمان ٢٠٤٢.

(٤) في سنن النسائي الكبرى٢: ٢٤، ومسند أحمد٣٥: ٢٥٦، وشرح السنة للبغوي٤: ٢٦.

وعن تميم الدّاري رضي الله عنه: «أنّه كرَّر هذه الآية حتى أصبح: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُون}[الجاثية:٢١]»(١).

وعن عبادة بن حمزة: «دخلت على أسماء رضي الله عنها، وهي تقرأ: {فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُوم}[الطور:٢٧]، فوقفت عندها فجعلت تعيدها وتدعو، فطال عليّ ذلك، فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي، ثم رجعت وهي تعيدها وتدعو»(٢).

وعن القاسم بن معن، «إنَّ أبا حنيفة قام ليلةً بهذه الآية: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَر}[القمر:٤٦]، فلم يزل يُردّدها ويَبكي ويتضرّع»(٣).

٤. **التّفهم**: وهو أن يستوضح من كلِّ آية ما يليق بها؛ إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تعالى، وذكر أفعاله وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام، وذكر أحوال المكذبين لهم، وأنهم كيف أهلكوا، وذكر أوامره وزواجره، وذكر الجنة والنار.

أما صفات الله تعالى، فكقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير}[الشورى:١١]، فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لينكشف

---

(١) في المعجم الكبير٢: ٥٠.

(٢) في مصنف ابن أبي شيبة٤: ٢٠٣، وحلية الأولياء٢: ٥٥.

(٣) ينظر: مناقب أبي حنيفة للذهبي ص١٤، وأبو حنيفة طبقته توثيقه ص١٤٩، وغيرهما.

له أسرارها، فتحتها معان مدفونة لا تنكشف إلا للموفقين.

وأما أفعاله تعالىٰ، فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها، فليفهم التالي منها صفات الله تعالىٰ وجلاله؛ إذ الفعل يدل علىٰ الفاعل، فتدل عظمته علىٰ عظمته، فينبغي أن يشهد في العقل الفاعل دون الفعل، فمن عرف الحق رآه في كل شيء؛ إذ كل شيء فهو منه وإليه وبه وله، فهو الكل علىٰ التحقيق، ومن لا يراه في كل ما يرىٰ فكأنه ما عرفه، ومن عرفه عرف أن كلَّ شيء ما خلا الله باطل، وأن كلَّ شيء هالك إلا وجهه.

وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام، فإذا سمع منها كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم، فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل، والمرسل إليهم، وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه شيئاً وإذا سمع نصرتهم في آخر الأمر، فليفهم قدرة الله تعالىٰ، وإرادته لنصرة الحق.

وأما أحوال المكذبين كعاد وثمود وما جرىٰ عليهم، فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته، وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه، وأنه إن غفل وأساء الأد،ب واغتر بما أمهل، فربما تدركه النقمة، وتنفذ فيه القضية.

وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن، فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه؛ لأن ذلك لا نهاية له، وإنما لكل عبد بقدر رزقه.

٥. **التَّخلي عن موانع الفهم**، فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لأسباب وحجب أسدلها الشيطان علىٰ قلوبهم، فعميت عليهم عجائب

أسرار القرآن، كأن يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه، وهو كالخبث على المرآة، فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه، وهو أعظم حجاب للقلب، وبه حجب الأكثرون.

وكلما كانت الشهوات أشد تراكماً كما كانت معاني الكلام أشد احتجاباً، وكلما خفّ عن القلب أثقال الدنيا قَرُبَ تجلى المعنى فيه، فالقلب مثل المرآة والشّهوات، مثل الصدإ ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة، والرّياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة.

٦.**التّخصيص**: وهو أن يقدر أنه المقصود بكلِّ خطاب في القرآن، فإن سمع أمراً أو نهياً قدر أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعداً أو وعيداً، فكمثل ذلك، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء عَلِم أنّ السَّمرَ غيرُ مقصود، وإنّما المقصود؛ ليعتبر به، وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه، فما من قصةٍ في القرآن إلا وسياقُها لفائدة في حقِّ النبي ﷺ وأمته، ولذلك قال تعالى: {ما نثبت به فؤادك} ، فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله تعالى.

قال بعضهم: هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا تعالى بعهوده نتدبرها في الصلوات، ونقف عليها في الخلوات، وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات.

وقال مالك بن دينار: ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن إن القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض.

وقال قتادة: لم يجالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان، قال تعالىٰ: {هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا}[الإسراء:٨٢].

٧.**التأثر**: وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات، فيكون له بحسب كلِّ فهم حال، ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره، ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه، فإن التضييق غالب على آيات القرآن، فلا يرىٰ ذكر المغفرة والرحمة إلا مقروناً بشروط يقصر العارف عن نيلها: كقوله تعالىٰ: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ}[طه:٨٢] ثم أتبع ذلك بأربعة شروط: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ}[طه:٨٢] ، وقوله تعالىٰ: {وَالْعَصْرِ. إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}[العصر:٣]، ذكر أربعة شروط.

٨.**الترقي**: وأعني به أن يترقىٰ إلىٰ أن يسمع الكلام من الله تعالىٰ لا من نفسه، فدرجات القراءة ثلاث:

أدناها ان يقدر العبد كأنه يقرؤه علىٰ الله تعالىٰ واقفا بين يديه، وهو ناظر إليه، ومستمع منه، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال.

وأوسطها: أن يشهد بقلبه كان الله تعالىٰ يراه ويخاطبه بألطافه ويناجيه بإنعامه وإحسانه، فمقامه الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم.

وأعلاها: أن يرىٰ في الكلام المتكلم، وفي الكلمات الصِّفات، فلا ينظر إلىٰ نفسه، ولا إلىٰ قراءته، ولا إلىٰ تعلق الإنعام به من حيث إنه منعم عليه، بل يكون مقصور الهم علىٰ المتكلم، موقوف الفكر عليه، كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره، وهذه درجة المقربين، وما قبله درجة أصحاب اليمين، وما خرج عن هذا، فهو درجات الغافلين.

قال جعفر الصادق: والله لقد تجلىٰ الله تعالىٰ لخلقه في كلامه، ولكنهم لا يبصرون.

٩. **التبري**: وهو أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات إلىٰ نفسه بين الرضا والتزكية، فإذا تلا بآيات الوعد والمدح للصالحين، فلا يشهد نفسه عند ذلك، بل يشهد الموقنين والصديقين فيها، ويتشوف إلىٰ أن يلحقه الله تعالىٰ بهم، وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد علىٰ نفسه هناك، وقدر أنه المخاطب خوفاً وإشفاقاً.

وهذه المكاشفات لا تكون إلا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات إليها، وإلىٰ هواها، ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف، فحيث يتلو آيات الرجاء، ويغلب علىٰ حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة، فيشاهدها كأنه يراها عياناً، وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتىٰ يرىٰ أنواع عذابها.

وذلك لأن كلام الله تعالىٰ يشتمل علىٰ السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف، وذلك بحسب أوصافه؛ إذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش، فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب في اختلاف الحالات، وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة، ويقاربها إذ يستحيل أن يكون حالة المستمع واحداً والمسموع مختلفاً؛ إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل.

رابعاً: من السّور المستحبّة في أوقات مخصوصة:

يستحبُّ أن يقرأ سورة الكهف يوم الجمعة، فعن أبي سعيد ﵁، قال ﷺ: «إن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»[(١)]، وعن أبي سعيد ﵁: «مَن قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له النور فيما بينه وبين البيت العتيق»[(٢)].

ويستحبُّ الإكثار من تلاوة آية الكرسي في جميع المواطن، وأن يقرأها كلَّ ليلة إذا أوى إلى فراشه، وأن يقرأ المعوذتين عَقِب كلِّ صلاة، فعن عقبة بن عامر ﵁ قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوذتين دبر كلِّ صلاة»[(٣)].

---

(١) في المستدرك٢: ٣٩٩.

(٢) في سنن الدارمي٤: ٢١٤٣.

(٣) في سنن أبي داود٢: ٨٦، ومسند أحمد٢٩: ٣٣٠، وصححه النووي.

ويُستحبُّ أن يقرأ عند النوم: آية الكرسي، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد} والمعوذتين، وآخر سورة البقرة، فهذا مما يهتم له، ويتأكد الاعتناء به، فعن أبي مسعود رضي الله عنه، قال ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة، مَن قرأهما في ليلة كفتاه»(١)، قال جماعة من أهل العلم: كفتاه عن قيام الليل، وقال آخرون: كفتاه المكروه في ليلته.

وعن عائشة رضي الله عنها: «أنّ النبيَّ ﷺ كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه كلَّ ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد} و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَق}[الفلق:١] و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس} [الناس:١]، ثمّ يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما علىٰ رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات»(٢).

وعن علي رضي الله عنه: «ما كنت أرىٰ أحداً يعقل دخل في الإسلام ينام حتىٰ يقرأ آية الكرسي».

وعن علي رضي الله عنه: «ما كنت أرىٰ أحداً يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة»(٣).

وعن إبراهيم النخعي: «كانوا يستحبون أن يقرؤوا هذه السور كل ليلة ثلاث مرات، {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد}، والمعوذتين».

---

(١) في صحيح البخاري٥: ٨٤.

(٢) في صحيح البخاري٦: ١٩٠.

(٣) في سنن الدارمي٤: ٢١٣٠، وقال النووي: إسناده صحيح علىٰ شرط البخاري ومسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ لا ينام حتىٰ يقرأ الزمر وبني اسرائيل»[١].

ويستحبُّ أن يقرأ إذا استيقظ من النَّوم كلَّ ليلة آخر آل عمران، فعن عباس ﵁: «أنه رقد عند رسول الله ﷺ، فاستيقظ فتسوك وتوضأ، وهو يقول: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ}[آل عمران:١٩٠] فقرأ هؤلاء الآيات حتىٰ ختم السورة»[٢].

ويستحبُّ أن يقرأ عند المريض بالفاتحة، فعن أبي سعيد ﵁: أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا علىٰ حي من أحياء العرب فلم يقروهم، فبينما هم كذلك، إذ لدغ سيد أولئك، فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تقرونا، ولا نفعل حتىٰ تجعلوا لنا جعلاً، فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء، فجعل يقرأ بأم القرآن، ويجمع بزاقه ويتفل، فبرأ فأتوا بالشاء، فقالوا: لا نأخذه حتىٰ نسأل النبي ﷺ، فسألوه فضحك وقال: «وما أدراك أنها رقية، خذوها واضربوا لي بسهم»[٣].

ويستحبُّ أن يقرأ عنده: {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد} و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَق} و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس} مع النفث في اليدين، فعن طلحة بن مطرف ﵁ قال: «كان المريض إذا قرئ عنده القرآن وجد له خفّة، فدخلت علىٰ

---

(١) في سنن الترمذي٥: ١٨١، وحسنه.

(٢) في صحيح مسلم١: ٥٣٠.

(٣) في صحيح البخاري٧: ١٣١.

خيثمة وهو مريض، فقلت: إني أراك اليوم صالحاً، فقال: إني قرئ عندي القرآن»[1].

وعن محمد بن مخلد: «أنّ الرمادي كان إذا اشتكى شيئاً، قال: هاتوا أصحاب الحديث، فإذا حضروا قال: اقرؤوا على الحديث»[2]، فهذا في الحديث فالقرآن أولى[3].

المطلب الثاني: الذكر:

للذكر الفضل الأعظم والشأن الأكبر، فلا ينبغي للمسلم العارف طريقه والناظر إلى مصيره أن يفارك الذكر لسانه، فهو سبيلُه إلى ربه سبحانه، وهو الحافظُ له من غوائل الشيطان.

ولبيان مقامه ومكانه وصوره وأَحواله سيكون لنا وَقفات في نقاطٍ:

أولاً: فضل الذكر:

١. **المغفرة والثواب العظيم عند الله تعالى:** قال تعالى: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}[الأحزاب:٣٥].

٢. **الطمأنية والسعادة:** قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}[طه:١٢٤]، وقال تعالى: {وَمَن

(١) في شعب الإيمان ٤: ١٧١.

(٢) في تاريخ دمشق ٦: ٢٧.

(٣) ينظر: التبيان ص١٧٦ـ ١٨٣.

يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}[الزخرف:٣٦].

٣. **إفاضة العطاء عن الله تعالى:** فعن أبي سعيد ﷺ، قال الله تعالى فيما يرويه عنه النبي ﷺ: «من شغله قراءة القرآن وذكري عن مسألتي؛ أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»[١].

٤. **صفاء الباطن والترقي في درجات العبودية:** فعن حنظلة الأسدي ﷺ، قال ﷺ: «لو تدومون على ما أنتم عليه عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي الطرقات»[٢]، وعن أبي هريرة ﷺ، قال ﷺ: «سبق المفردون، قيل: وما المفردون يا رسول الله، قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»[٣].

٥. **خير القربات إلى الله تعالى:** فعن أبي الدرداء ﷺ، قال ﷺ: «ألا أنبئكم بخيرِ أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعِها في درجاتكم وخيرٍ لكم من إنفاق الذهب والوَرِق ـ أي الفضة ـ، وخيرٍ لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى»[٤].

٦. **يورث الخشية:** قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون}

---

(١) أخرجه الترمذي رقم ٢٩٢٦، وقال: حسن غريب.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٧٥٠.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٦٧٦.

(٤) أخرجه مالك في موطئه رقم ٤٩٢ والترمذي رقم ٣٣٧٧ والحاكم رقم ١٨٢٥ وصحح إسناده.

[الأنفال:٢]، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ذكر ﷺ من السبعة التي يظلهم الله في ظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله: «ورجل ذكر الله خالياً، ففاضت عيناه»[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ، قيل: يا رسول الله؛ وكيف نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قال: أَكْثِرُوا من قول: لا إله إلا الله»[2].

ثانياً: حثّ الشّريعة على الإكثار من الذّكر:

يُعَدّ الذِّكر وكثرة العبادة العامل الرَّئيس في تغيير سلوك الإنسان والوصول به إلى كماله البشري، وتخليصه من الصِّفات الذَّميمة واستبدالها بصفات حميدة، وهو المحرِّرُ له من عبودية نفسه ودنياه وماله وشهواته، فمَن أراد الارتقاء بنفسِهِ وتحقيق الرَّاحة النَّفسية والطَّمأنينية في حياته، فعليه الإكثار من الذِّكر والعبادة والتقرب لله ، ولا تحصى النُّصوص القرآنية والنَّبوية التي حثت على فضل الذِّكر ومكانته، وإليك بعضها:

قال عز وجل: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُون}[البقرة: ١٥٢].

وقال عز وجل: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} [الأحزاب: ٤١].

وقال عز وجل: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار} [آل عمران:١٩١].

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٢٩ ومسلم رقم ١٠٣١.

(٢) أخرجه أحمد رقم ٨٦٩٥ والحاكم رقم ٧٦٥٧ وصححه.

وقال ﷻ: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٣٥]

وقال ﷻ: {وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِين} [الأعراف: ٢٠٥].

وقال ﷻ: {وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَار} [آل عمران: ٤١].

وعن أبي موسىٰ رضي الله عنه، قال ﷺ: «مثل الذي يذكر ربَّه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلىٰ حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلىٰ السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم، وهو أعلم منهم، ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك؟ قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشدّ لك عبادةً، وأشدّ لك تمجيداً وتحميداً، وأكثر لك تسبيحاً، قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا ربّ ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشدّ عليها حرصاً، وأشدّ لها طلباً، وأعظم فيها رغبةً، قال:

---

(١) في صحيح البخاري٨: ٨٦.

فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشدّ منها فراراً، وأشدّ لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»[١].

وعن أبي الدرداء ﵁ قال ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى. قال: ذكر الله تعالى»، قال معاذ بن جبل ﵁: «ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله»[٢].

وعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرَّب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[٣].

وعن عبد الله بن بُسْر ﵁: «أنّ رجلاً قال: يا رسول الله، إنّ شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: لا يزال لسانك رطباً

---

(١) في صحيح البخاري٨: ٨٦.

(٢) في الموطأ٢: ٢٩٥، وسنن الترمذي٥: ٤٥٩.

(٣) في صحيح البخاري٩: ١٢١.

من ذكر الله»[١].

وعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «مَن قَعَدَ مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله تِرّةٌ ـ أي حسرة وندامة ـ، ومَن اضطجع مضجعاً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله تِرّةٌ»[٢].

وعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرةً»[٣].

ثالثاً: المحافظة على الورد القرآني اليومي:

لا بُدّ للمسلم من قراءة القرآن في كلِّ يوم، فيحدِّد لها مقداراً يلتزمه، ولا يتركه ثمّ يزيد فيه، حتى يصل إلى قراءة جزء يومياً، فيُحافظ على هذا إلى ما شاء، ويَزيد إن رأى في نفسِهِ قوّة على ذلك، فعن عبد الله بن عمرو ﵄، قال ﷺ: «اقرأ القرآن في شهر، قلت: إنّي أجد قوَّة حتى قال: فاقرأه في سبع، ولا تزد على ذلك»[٤].

ومعلومٌ أننا جميعاً فقراء الله ﷻ، وقراءة القرآن من أكثر الطرق في كسب الثّواب الجزيل، والحسنات الطيبات، التي تعيننا في يوم نلقاه، فعن ابن مسعود ﵁، قال ﷺ: «مَن قرأ حرفاً من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة

---

(١) في سنن الترمذي٥: ٤٥٧، وحسنه.

(٢) في سنن أبي داود٤: ٢٦٤.

(٣) في سنن أبي داود٤: ٢٦٤.

(٤) في صحيح البخاري٦: ١٩٦.

بعشر أمثالها، لا أقول: الم حرف؛ ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[١].

فإن كنا نُسَرّ من قراءة كلام بعض البشر، ونسعد به، فكيف بسماع كلام ربّ البشر، فلا خير أعظم من قراءته والإقبال عليه، ولا سرور أكثر من مداومة قراءته وصحبته، فعن عقبة بن عامر ﵁، قال: «خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطيعة رحم؟ فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك. قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم، أو يقرأ آيتين من كتاب الله ﷻ خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل»[٢].

وهذا القرآن العظيم هو نصائحُ الله ﷻ لعباده في حياتهم ومعادهم، فعلينا الإكثار من الاستماع لها؛ لأن فيها طمأنينتنا وراحتنا، فعن أبي أمامة الباهلي ﵁، قال ﷺ: «اقرءوا القرآن، فإنّه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرءوا الزَّهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنّهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة ـ أي السحرة ـ»[٣].

---

(١) في سنن الترمذي٥: ١٧٥، وقال: حسن صحيح غريب.

(٢) في صحيح مسلم١: ٥٥٢.

(٣) في صحيح مسلم١: ٥٥٣.

رابعاً: استحباب تحديد أعداد وأوقات معيّنة للذّكر:

أجمعت الأمّة علىٰ استحباب تحديد أوراد خاصّة بأعداد معيّنة في أزمان محددة، وهذا ما شهد به القرآن في فضيلة الذكر في زمن بعينه، قال تعالىٰ: وقال تعالىٰ: {وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [الأحزاب: ٤١].

والسُّنة طافحت بذلك، وبتقدير أعداد في الذِّكر، ومن ذلك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير، في يوم مائة مرّة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشَّيطان، يومه ذلك حتىٰ يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[(٢)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس توبوا إلىٰ الله، فإني أتوب، في اليوم إليه مائة مرة»[(٣)].

وعن الأغر المزني رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «إنّه ليغان علىٰ قلبي، وإني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة»[(٤)].

---

(١) في الموطأ ٢: ٢٩٣، وصحيح البخاري ٤: ١٢٦.

(٢) في سنن الترمذي ٥: ٣٨٣.

(٣) في صحيح مسلم ٤: ٢٠٧٥.

(٤) في سنن أبي داود ٢: ٨٤.

وعن ابن عمر ، قال: «إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: رب اغفر لي، وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم»[(١)].

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده : قال ﷺ: «من قال: سبحان الله مائة مرّة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من مائة بدنة، ومن قال: الحمد لله مائة مرّة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها كان أفضل من مائة فرس يحمل عليها، ومَن قال: الله أكبر مائة مرّة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، كان أفضل من عتق مائة رقبة، ومَن قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، لم يجئ يوم القيامة أحد بعمل أفضل من عمله إلا من قال قوله أو زاد»[(٢)].

وعن أبي هريرة ، قال ﷺ: «مَن قال: حين يُصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة، بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه»[(٣)].

وعن أنس ، قال ﷺ: «مَن قرأ كلَّ يوم مائتي مَرَّة: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد} محي عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين»، وفي لفظ: «من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد} مائة مرة، فإذا كان

---

(١) في سنن أبي داود٢: ٨٥.

(٢) في سنن النسائي الكبرى٩: ٣٠٢.

(٣) في صحيح مسلم٤: ٢٠٧١.

يوم القيامة يقول له الربُّ: يا عبدي ادخل على يمينك الجنة»[(١)].

وعن أم هانئ رضي الله عنها، قالت: أتيت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، دلني على عمل، فإني قد كبرت وضعفت وبدنت، فقال: «كبري الله مائة مرة، واحمدي الله مائة مرة، وسبحي الله مائة مرة خير من مائة فرس ملجم مسرج في سبيل الله، وخير من مائة بدنة، وخير من مائة رقبة»[(٢)].

فكلُّ هذه الأحاديث وغيرها ناطقةٌ بالأعداد والأوقات للذكر، فكانت مستنداً للفقهاء على استحباب التَّقدير والتَّحديد ترغيباً للذَّاكرين، وتيسيراً على السَّالكين لرضى رَبِّ العالمين.

قال الدكتور معاذ حوا في «التَّزكيّة على منهاج النُّبوَّة»: «أفضل ما يجعله المسلم لنفسه وِرْداً؛ هو ما جعله الشرع له وِرْداً، أي ما أمره به بعدد معين وفي وقت معين، كفرائض الصلاة التي حددت بوقت معين وحد معين، وسننها الرواتب، وكالأذكار التي حددت بعد الصلاة أو في الصباح والمساء، ونحو ذلك.

فإذا أراد المسلم أن يكون أكثر ذكراً، فيمكنه أن يكثر من الذكر بلا عدد ولا تحديد وقت، وذلك جائز ومشروع، لكنه يستحسن ويندب ويُسَنُّ أن يُلزِم المسلمُ نفسَه بأوراد يحرص عليها ويداوم عليها ويكررها في كل يوم وفي وقت معين، من الأذكار المشروعة المسنونة التي أَمَرَنا بها الشرع ولم يحدد لنا

---

(١) في سنن الترمذي٥: ١٦٨، وقال: غريب.

(٢) في سنن ابن ماجة٢: ١٢٥٢.

عدداً فيها ولا وقتاً لها.

وتحديدنا هذا لأنفسنا لا نَعتبر معه هذا العدد وهذا الوقت سنة، وإنما هو سنة بشكل عام من جهة أن النبي ﷺ أخبرنا أن «أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل»[1]، والحديث لا يتكلم عن الأعمال والعبادات التي فرضها الله أو سنها النبي ﷺ في وقت معين بعدد معين، فذلك مطلوب بذاته، ولا مجال لأن يزيد أو يقل، وإنما يتكلم الحديث عن العبادات المشروعة التي لم تحدد بوِرْدٍ معين، فيحب الله أن نداوم عليها، ولا تكون المداومة إلا بالثبات عليها بحد معين في وقت معين.

ومن الأدلة على مشروعية تحديد المسلم لنفسه وِرْداً مُعَيَّناً: قول رسول الله ﷺ: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر؛ كتب له كأنما قرأه من الليل»[2]، فقوله: «حزبه»؛ يدلُّ على أن كلَّ واحدٍ يجعل لنفسه حظّاً معيّناً فيكون وِرْدَه وحِزبه الذي يُداوم عليه، بل ويقضيه إن فاته.

وهذه الأدلة تدلُّ على أن اتخاذ ورد وتحديد عدد معيّن أو وقت معيّن ليس من البدعة، وإنما تكون البدعة إذا اعتقد المسلم أن العدد المحدَّدَ الذي عيَّنه لنفسه والوقت المحدد الذي عينه لنفسه سنة معيّنة من النبي ﷺ، فعندئذ

---

(١) في صحيح البخاري ر٥٥٢٣، وصحيح مسلم ر٧٨٣، عن عائشة رضي الله عنها، وفي حديث مسلم قال: «وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته».

(٢) في صحيح مسلم ر٧٤٧ ، وسنن الترمذي ر٥٨١ عن عمر بن الخطاب ﷺ.

يعتبر مبتدعاً، لأنه أضاف إلى الدِّين ما لم يُعينه الدِّين.

وحينما يحدد ذلك لنفسه ويلزم نفسه به لا يجوز أن يجعله أهم من الواجبات والسنن المحددة من النبي ﷺ، وحينما يُداومُ عليه يداومُ عليه من باب طاعة النبي ﷺ في الحديث الذي يأمر بالمداومة، لا على سبيل إيجاب ما لم يجب في شرع الله، وينبغي أن يجعل ما يحدده لنفسه لا يتنافى مع السنن والواجبات، ولا يغيرها، ولا يحل محلها، ومِن غَير أن نعتقد أن ما حددناه لأنفسنا سنةً لازمةً أو واجباً.

وإذا ألزم الإنسان نفسه بشيء من هذا النوع على هذا الوجه، فإنّه يكون أحرص عليه وأثبت وأدوم فيجد محبّة الله لفعله ويجد البركة والثَّواب والعون، فإنّ النَّفس إذا تركت على هواها تهرَّبت من الطَّاعات، أمَّا إذا ألزمها الإنسان بها لم يعد يجد للخواطر النَّفسية المثبطة وللشيطان وساوس تدعوه إلى ترك هذه الطَّاعات».

خامساً: الأذكار المندوبة:

١.الاستغفار:

كثرت الآيات والأحاديث في الترغيب بالاستغفار، قال تعالى: {وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيم}[المزمل:٢٠]، وقال تعالى: {وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُود}[هود:٩٠]، وقال تعالى: {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَار}[غافر:٥٥].

وهو أبرز وسيلة لمسح الذنوب، فعن أبي موسى رضي الله عنه، قال ﷺ: «إن الله

تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»[(١)].

وهو سبيل لتفريج الكرب وسعة الرزق، عن ابن عباس ﵄، قال ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»[(٢)].

ويكون في عامة الأوقاف لا سيما بكرةً وعشياً، وعقب الصلوات، فعن ثوبان ﵁: «إذا انْصَرَف من صلاتِهِ اسْتَغفَر ثَلاثاً... »[(٣)].

٢. الصّلاة على النبي ﷺ:

جاءت بالأمر النصوص القرآنية والنبوية، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[الأحزاب:٥٦].

وعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً»[(٤)].

وقائلها ينال شفاعة النبيّ ﷺ، عن أبي الدّرداء ﵁ قال: ﷺ: «من صلى

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٧٥٩.

(٢) أخرجه أبو داود رقم ١٥١٨.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٥٩١.

(٤) أخرجه مسلم رقم ٤٠٨.

عليّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة»[(١)]، وعن ابن مسعود ﷺ، قال ﷺ: «أَوْلى النَّاسِ بي يوم القيامةِ أَكْثَرُهُم عَليَّ صلاةً»[(٢)].

والصّلاة تعرض على النبي ﷺ، فعن أوس بن أوس ﷺ، قال ﷺ: «إنَّ من أَفْضلِ أيَّامِكُمْ يوم الجمعة، فَأَكْثِرُوا عليَّ من الصلاة فيه، فإنَّ صلاتَكُمْ معْرُوضَةٌ عليَّ، فقالوا: يا رسول الله، وكيف تُعرضُ صلاتُنَا عليك وقد أرَمْتَ؟ يقولون: بَلِيتَ، قال: إنَّ الله حرم على الأرْض أجساد الأنْبِياءِ»[(٣)].

٣. لا إله إلا الله:

قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ} [محمد:١٩].

وهي أفضل الذكر، فعن جابر بن عبد الله ﷺ، قال ﷺ: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله»[(٤)].

وتذكر في كل الأوقاف وصباحا ومساء، وبعد الصلوات، فعن المغيرة بن شُعْبَةَ ﷺ أنّ رسول الله ﷺ كان إذا فَرغَ من الصَّلاة وسلَّم قال:: «لا إلهَ إلاَّ

---

(١) حديث حسن، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٢٠: أخرجه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد.

(٢) أخرجه الترمذي رقم ٤٨٤، وقال: حديث حسنٌ غريب.

(٣) أخرجه أبو داود رقم ١٥٣١ وأحمد نحوه ٤/ ٨.

(٤) أخرجه الترمذي رقم ٣٣٨٣، وقال: حسن غريب، وابن حبان رقم ٨٤٦، والحاكم رقم ١٨٣٤ وصححه.

الله وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحمد، وهو علىٰ كُلِّ شيءٍ قَديرٌ. اللَّهُمَّ لا مانع لما أعْطَيْتَ، ولا مُعْطيَ لما مَنَعْتَ، ولا ينْفَعُ ذا الجَدِّ ـ أي الغنىٰ ـ منك الجدُّ»[1].

٤. لا حول ولا قوة إلا بالله:

فعن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، قال: «سمعني ﷺ وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال لي: يا عبد الله بن قيس، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: ألا أدلك علىٰ كلمة من كنز من كنوز الجنة، قلت: بلىٰ يا رسول الله، فداك أبي وأمي، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله»[2].

٥. حسبي الله ونعم الوكيل:

ورد الأمر بها في القرآن والسُّنة، قال ابنُ عَبَّاس رضي الله عنهما: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيل}[آل عمران:١٧٣]»[3].

وفيها ثقة كاملة بالله سبحانه، قال تعالىٰ: {فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم}[التوبة:١٢٩]، قال تعالىٰ: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٨٠٨ ومسلم رقم ٥٩٣.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٣٩٦٨ ومسلم رقم ٢٧٠٤.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٤٢٨٧.

تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُون} [الزمر:٣٨].

وبها يكون الإلتجاء إلى الله تعالى في رفع الظلم، فعن عوف بن مالك رضي الله عنه، قال ﷺ: «إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكَيْسِ، فإذا غلبك امرؤ فقل: حسبي الله ونعم الوكيل»[1].

ومن قالتها تحققت لها الطمأنينة والراحة لاعتماد على القوي العزيز، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أَنْعَمُ وصاحب القَرْن قد الْتَقَمَ الْقَرْنَ ـ أي الصور ـ، واستمع الإذن متى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ» فَكَأَنَّ ذلك ثَقُلَ على أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم: «قولوا: حَسْبُنَا الله ونعم الوكيلُ»[2].

٦. سبحان الله والحمد لله والله أكبر:

لا تحصى النصوص القرآنية والحديثية في ذكرها والحث عليها، لا سيما عند الطلوع والغروب وعقيب الصلوات، قال تعالى: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَار} [غافر:٥٥]، وقال تعالى: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوب} [ق:٣٩]، وقال تعالى: {وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [الأحزاب:٤٢]، وقال تعالى: { وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء:١١١]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، فقال ﷺ: «مَن سَبَّحَ الله في دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ ثلاثاً

(١) أخرجه أبو داود رقم ٣٦٢٧ وأحمد رقم ٢٤٠٢٩.

(٢) أخرجه الترمذي رقم ٢٤٣١، وقال: حديث حسنٌ.

وثلاثينَ، وحمِدَ الله ثلاثاً وثلاثين، وكَبَّرَ الله ثلاثاً وثلاثينَ، فتلك تسعة وتسعون، وقال تَمامَ المِائَةِ: لا إلهَ إلاَّ الله وحْدَه لا شَريك له، له المُلْكُ وله الحمد، وهو على كُلِّ شيء قديرٌ؛ غُفِرتْ خطَاياهُ وإن كانت مثل زَبدِ البحر»[١].

وهي خير من الدينا وما فيها، فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «لأن أَقُولَ سبْحانَ الله، وَالحَمْدُ للهِ، ولا إلَه إلاَّ الله، وَالله أكْبرُ، أَحبُّ إليَّ مِمَّا طَلَعَت عليهِ الشَّمْسُ»[٢].

وهي أحب الكلام إلى الله تعالى، فعن سمرة بن جندب ﵁، قال ﷺ: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت»[٣].

وهي خير ما يُقَدَّمُ من العمل في اليوم والليلة، فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثلما قال أو زاد عليه»[٤].

وهي تملأ الميزان يوم القيامة، فعن أبي مالك الأشعري ﵁ ، قال ﷺ: «الطُّهُورُ شطر الإيمان، والحمد للهِ تَمْلأُ الميزان، وسبحان الله والحمد للهِ تملآنِ

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٥٩٧.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٦٩٥.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢١٣٧.

(٤) أخرجه مسلم رقم ٢٦٩٢ والترمذي رقم ٣٤٦٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

أو تَمْلأُ ما بين السموات والأرض»[١]، وعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ على اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ في الميزان، حَبِيبَتَانِ إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[٢].

وبها ينال الثواب الجزيل، فعن سعد بن وقاص ﵁، قال ﷺ: «أَيعجِزُ أَحدُكم أن يكْسِبَ كلَّ يوم أَلف حسنَة، فَسَأَلَهُ سائِلٌ من جُلَسائِهِ: كيف يكسبُ أحدنا ألف حسنَةٍ؟ قال: يُسَبِّحُ مائةَ تسبِيحة، فيُكتَبُ له أَلفُ حسنةٍ، أو يُحَطُّ عنه ألفُ خَطِيئَةٍ»[٣].

وبكلِّ واحدةٍ منها تُغرس نخلةٌ في الجَنة، فعن جابر ﵁، قال ﷺ: «من قال: سُبْحانَ الله وبحَمدِهِ، غُرِستْ له نَخْلَةٌ في الجَنَّة»[٤].

وبها تحطُّ الخطايا مهما كثرت، فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «من: قال سبحان الله وبحمده، في يوم مائة مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَاياهُ، وإن كانت مثل زَبَدِ البحر»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٢٣.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٧١٢٤ ومسلم رقم ٢٦٩٤.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٦٩٨.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٤٦٥، عن جابر ﵁، وقال: حديث حسنٌ غريب.

(٥) أخرجه البخاري رقم ٦٠٤٢ ومسلم رقم ٢٦٩١.

٧. المأثور صباحاً ومساءً:

* «(قراءة آية الكرسي) صباحاً ومساءً[١]، وأن من قرأها غدوة أجير من الجن حتى يمسي، وإذا قرأها حين يمسي أُجِيْرَ منهم حتى يصبح»[٢].

* «({قُلْ هُو اللهُ أَحَد} والمعوذتين) حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كلّ شيء»[٣]، وعن أبي الدرداء ﵁، قال ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟ قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد} تعدل ثلث القرآن»[٤].

* «(بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم) ما من عبدٍ يقولها في صباح كل يوم ومساء كل ليلة ثلاث مرات فيضره شيء»[٥].

* «(أصبحنا على فطرة الإسلام وعلى كلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين)، يقولها إذا

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى رقم ٨٠١٧ عن أبي هريرة ﵁.

(٢)أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم ٥٤١ والحاكم في المستدرك رقم ٢٠٦٤ وقال: صحيح الإسناد، روياه عن أبيّ بن كعب ﵁.

(٣) أخرجه أحمد رقم ٢٢٧١٦ وأبو داود رقم ٥٠٨٢ والنسائي رقم ٧٨٦٠، وروى نحوه الترمذي رقم ٣٥٧٥ عن عبد الله بن خبيب ﵁، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٤) في صحيح مسلم ١: ٥٥٦، وصحيح البخاري٦: ١٨٩.

(٥) أخرجه أحمد رقم ٤٤٦ وأبو داود رقم ٥٠٨٨ والترمذي رقم ٣٣٨٨، عن عثمان بن عفان ﵁، وقال: حديث حسن صحيح والنسائي رقم ١٠١٧٨ والحاكم رقم ١٨٩٥ وصححه.

أصبح وإذا أمسى»[١].

* «(اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت، اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت) تعيدها حين تصبح ثلاثاً وثلاثاً حين تمسي»[٢].

* «(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العافية في الدينا والآخرة، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وآمِنْ رَوعاتي ـ أي ما يخيفيني ـ، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي من بين يديّ ومن خلفي وعن يميني وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بِعَظَمَتِكَ أَن أُغْتَالَ ـ أي أهل بالخسف ـ من تحتي) لم يكن رسول الله ﷺ يَدَعُ هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي»[٣].

* «(اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرِّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)، هذا سيد الاستغفار، فمَن قاله من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو

(١) أخرجه أحمد رقم ١٥٤٠٠، والنسائي رقم ١٠١٧٥ عن أبزى ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ٤٢، وأبو داود رقم ٥٠٩٠ والنسائي رقم ١٠٤٠٧ والبخاري في الأدب المفرد رقم ٧٠١ عن عبدالرحمن بن أبي بكرة ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد رقم ٤٧٨٥، وأبو داود رقم ٥٠٧٤ وابن حبان رقم ٩٦١ والحاكم رقم ١٩٠٢ وصحح إسناده عن ابن عمر ﷺ.

من أهل الجنة، ومَن قاله من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»[١].

* «(اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر) من قالها حين يصبح فقد أدى شكر يومه ومن قالها مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته»[٢].

* «أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ربي أسالك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر)»، كان يقولها ﷺ وإذا أصبح قال ذلك: (أصبحنا وأصبح الملك لله)»[٣].

«يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٩٤٧ عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود رقم ٥٠٧٣ عن ابن غنام رضي الله عنه، والنسائي رقم ٩٨٣٥، وأخرجه ابن حبان رقم ٨٦١.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٧٢٣ عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) في سنن النسائي الكبرى٨: ٢١٢، وغيرها بألفاظ متعددة عن أنس وغيره رضي الله عنهم: قال ﷺ لفاطمة رضي الله عنه: ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به، أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت:...

❊ «(أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) من قالها حين يمسي ثلاث مرات؛ لم تضره حية»[(١)].

تنبيه: سنية الذّكر الجماعي:

وهذه الأذكار وغيرها مما ورد في القرآن والسنة وعن السلف والعارفين يجوز أن يكون منفرداً أو جماعة في حلقات ذكر خاصة به، وهو ما وَقَعَ عليه الإجماع؛ لثبوته بالسنة المطهرة، فكان معاذ يقول لبعض أصحابه: اجلس بنا نؤمن ساعة[(٢)].

وعن أبي هريرة ﷺ، قال ﷺ: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»[(٣)].

وعن أنس ﷺ، قال ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قال: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر»[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن حبان رقم ١٠٢٢، ونحوه أحمد ٣/ ٤٤٨، وروىٰ مسلم نحوه رقم ٢٧٠ عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً في بداية كتاب الإيمان من صحيحه، وأخرجه ابن أبي شيبة رقم ٣٠٣٦٣ بإسناده «عن الأسود بن هلال المحاربي قال: قال لي معاذ: اجلس بنا نؤمن ساعة، يعني نذكر الله».

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٧٠٠.

(٤) أخرجه الترمذي رقم ٣٥١٠، وقال: حديث حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وعن أنس رضي الله عنه، قال ﷺ: «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة»[1].

تطبيق: عليك الالتزام بالذكر لعدة آلاف مع الاستحضار في وقتٍ قصير في البداية حتى يصبح الذكر عادة لك بعدها[2].

❧ ❧ ❧

(١) أخرجه أبو داود برقم ٣٦٦٧.

(٢) أفاده الدكتور معاذ حوى في التزكية على منهاج النبوة.

المطلب الثالث: الدعاء:

الدُّعاءُ وإن كان نوعاً من الذِّكر إلا أنّ فيه إجابةُ الله بالدُّعاء، وتَذللٌ له سبحانه، وافتقارٌ له دون غيره ودوام على التَّعلُّق به.

وفي بيان فضله ومقامه وصوره وأوقاته وأحواله نذكر النقاط الآتية:

أولاً: فضل الدعاء:

١.**التذلل لله تعالى**: وهو الغاية من عبادته سبحانه، قال تعالى: {ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[الأعراف:٥٥]، وقال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين}[غافر:٦٠]

٢.طريقة إجابة طلب العبد: قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي}[البقرة:١٨٦] ، وقال تعالى: {قُلِ ادْعُواْ اللهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى}[الإسراء: ١١٠].

٣. تحقق كمال العبادة بالدعاء: فعن النعمان بن بشير ﵁، قال ﷺ: «إن الدعاء هو العبادة»[١]، وعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء»[٢].

---

(١) أخرجه أصحاب السنن والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي، وقال: غريب، وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

٤. كمال الاعتماد على الله تعالى، وقطع الرجاء من غيره: فعن ابن عباس رضي الله عنهم، قال صلى الله عليه وسلم: «إذا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[1].

ثانياً: آداب الدعاء[2]:

١. أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة: كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل، قال تعالى: {وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون}[الذاريات:١٨]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني، فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»[3].

٢. أن يغتنم الأحوال الشريفة: فعن أنس رضي الله عنه: «الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد»[4]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «الصائم لا ترد دعوته»[5].

---

(١) في سنن الترمذي٤: ٦٦٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) اختصرت من إحياء علوم الدين١: ٣٠٣ـ ٣٠٧.

(٣) في صحيح البخاري٢: ٥٣.

(٤) أخرجه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة والترمذي وحسنه من حديث أنس وضعفه ابن عدي وابن القطان، ورواه في اليوم والليلة بإسناد آخر جيد وابن حبان والحاكم وصححه

(٥) أخرجه الترمذي، وقال حسن وابن ماجه.

وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً؛ إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوشات، ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل، فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها.

وحالة السجود أيضا أجدر بالإجابة في صلاة النافلة، فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «أقربُ ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجدٌ فأكثروا الدعاء»[1].

وعن ابن عبَّاس ﵄، قال: «ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الربّ تعالى، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم»[2].

٣.أن يدعو مستقبل القبلة، ويرفع يديه بحيث يرى بياض إبطيه، فعن سلمان ﵁، قال ﷺ: «إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفراً»[3].

وعن أنس ﵁: «كان ﷺ يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه في الدعاء»[4].

---

(١) في صحيح مسلم١: ٣٥٠.

(٢) في صحيح مسلم١: ٣٤٨.

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وقال: إسناده صحيح على شرطهما.

(٤) أخرجه مسلم.

٤. خفض الصوت بين المخافتة والجهر: قال تعالى: {ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً}[الأعراف:٥٥] ، فعن أبي موسى الأشعري ﵁، قال: «قدمنا مع رسول الله فلما دنونا من المدينة كبر، وكبر الناس ورفعوا أصواتهم، فقال ﷺ يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم»(١).

٥. أن لا يتكلف السجع في الدعاء: فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرِّع، والتكلف لا يناسبه، فعن ابن عباس ﵄: «فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب»(٢)، والسجع هو المتكلف من الكلام، فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة، وإلا ففي الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة.

٦.التضرع والخشوع والرغبة والرهبة: قال تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا}[الأنبياء:٩٠] ، وقال تعالى: {ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً}[الأعراف:٥٥].

٧.أن يجزم الدعاء، ويوقن بالإجابة، ويصدق رجاءه فيه: فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإنّه لا مكره له»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم

(٢) في صحيح البخاري١: ٣٠٦.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء»[١].

وقال ابن عيينة: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله؛ إذ قال: {قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُون. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِين}[ص:٨٠].

٨. أن يلح في الدعاء، ويكرره ثلاثاً، قال ابنُ مسعود ﵁: «كان ﷺ إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سال سأل ثلاثاً»[٢].

وينبغي أن لا يستبطئ الإجابة، فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت فلم يستجب لي، فإذا دعوت فاسأل الله كثيراً، فإنك تدعو كريماً»[٣].

وقال بعضهم: إني أسأل الله تعالىٰ منذ عشرين سنة حاجة، وما أجابني، وأنا أرجو الإجابة، سألت الله تعالىٰ أن يوفقني لترك ما لا يعنيني.

٩. أن يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى، فلا يبدأ بالسؤال: فعن سلمة بن الأكوع ﵁: «ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا استفتحه بقول: سبحان ربي العلي الأعلىٰ الوهاب»[٤].

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم.

(٤) أخرجه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد، قلت: فيه عمر بن راشد اليماني ضعفه الجمهور.

١٠.**وهو الأدب الباطن**، وهو الأصل في الإجابة التوبة ورد المظالم والإقبال على الله عز وجل بكنه الهمة، فذلك هو السبب القريب في الإجابة.

قيل: لمالك بن دينار: ادع لنا ربك، فقال: إنكم تستبطئون المطر، وأنا أستبطئ الحجارة.

ثالثاً: من الأدعية القرآنية[1]:

ورد كثيراً من الأدعية في القرآن الكريم، وهي أدعى من غيرها أن نهتمَّ بها ونذكرها ونرددها ونجعلها أساساً لغيرها، ومنها:

* {بِسْمِ اللهِّ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيم. الْحَمْدُ للهِّ رَبِّ الْعَالَمِين. الرَّحْمـنِ الرَّحِيم. مَـالِكِ يَوْمِ الدِّين. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ. اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيم. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين}[الفاتحة: ٧].

* {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم}[البقرة:١٢٨].

* {وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّار}[البقرة:٢٠١]

* {قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

---

(١) هذا الأدعية مستفادة من كتاب التزكية على للدكتور معاذ حوى.

الْكَافِرِين}[البقرة:٢٥٠].

* {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين}[البقرة:٢٨٦]

* {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّاب. رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَاد }[آل عمران:٩].

* {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير. تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَاب}[آل عمران:٢٧]

* {ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين}[آل عمران:١٤٧]

* {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار. رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَار. رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَار. رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَاد}[آل عمران:١٩٤]

* {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

الْخَاسِرِين}[الأعراف:٢٣]

* {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء. رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَاب}[إبراهيم:٤١].

* {رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا}[الإسراء:٨٠]

* {رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}[الكهف:١٠]

* {رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي}[طه:٢٨]

* {رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا}[طه:١١٤]

* {رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِين. وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُون}[المؤمنون:٩٨]

* {رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا. إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا}[الفرقان:٦٦].

* {رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}[الفرقان:٧٤]

* {رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين. وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِين. وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيم. وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّين. وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُون}[الشعراء:٨٧]

* ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[النمل:١٩]

* ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأحقاف:١٥]

* ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحشر:١٠]

* ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[التحريم:٨]

* ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[نوح:٢٨]

رابعاً: من الأدعية النبوية[١]:

ورد في السنة الشريفة ما لا يحصىٰ من الأدعية، وهي حريةٌ بالاهتمام والعناية؛ لصدورها فم خير البرية ﷺ، واشتمالها علىٰ أنوار تخاطب القلوب، وتحيي النفوس، ومنها:

* «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واجعل لي نوراً»[٢].

---

(١) هذا الأدعية مستفادة مع هوامشها من كتاب التزكية علىٰ للدكتور معاذ حوىٰ.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٥٩٥٧ ومسلم رقم ٧٦٣، عن ابن عباس رضي الله عنهما..

* «اللَّهُمَّ اهْدِني، وَسدِّدْني»[١].

* «اللَّهُمَّ إِني أَسْأَلُكَ الهُدَىٰ، وَالتُّقَىٰ، وَالعفَافَ، والغنَىٰ»[٢].

* « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي، وَارْحَمْني، وَعَافِني، وَارْزُقني، فَإِنَّ هَؤُلاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ»[٣].

* «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صرِّفْ قُلوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ»[٤].

* «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَماتَةِ الأَعْدَاءِ»[٥].

* «اللَّهمَّ أَصْلِحْ لي دِيني الَّذي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وأَصْلِحْ لي دُنْيَايَ التي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لي آخِرَتي الَّتي فِيها معادي، وَاجْعلِ الحيَاةَ زِيادَةً لي في كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الموتَ راحَةً لي مِنْ كُلِّ شَرٍ»[٦].

* «اللَّهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن منْكَرَاتِ الأَخلاقِ والأَعْمالِ والأَهْواءِ»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٧٢٥ عن علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٧٢١ ع ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٦٩٧.

(٤) أخرجه مسلم رقم ٢٦٥٤ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري رقم ٦٢٤٢ ومسلم نحوه رقم ٢٧٠٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه مسلِم رقم ٢٧٢٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) أخرجه الترمذي رقم ٣٥٩١ وقال: «هذا حديثُ حَسَنٌ غريب»، ونحوه عند ابن حبان رقم ٩٦٠ والحاكم رقم ١٩٤٩ وصححه علىٰ شرط مسلم عن قطبة بن مالك رضي الله عنه.

* «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعجْزِ والكَسَلِ وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيا وَالمَماتِ»(١).

* «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، والبُخْلِ وَالهَرم، وعَذَاب الْقَبْر، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وليُّهَا وَموْلاَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلمٍ لا يَنْفَعُ، ومِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشبَعُ، ومِنْ دَعْوةٍ لا يُسْتجابُ لهَا»(٢).

* «اللَّهمَّ اغْفِر لي خَطِيئَتي وجهْلي، وإِسْرَافي في أَمْري، وما أَنْتَ أَعلَم بِهِ مِنِّي، اللَّهمَّ اغفِرْ لي جِدِّي وَهَزْلي، وَخَطَئي وَعمْدِي، وَكلُّ ذلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَما أَسْررْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْت المقدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ علىٰ كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(٣).

* «كانَ مِن دُعاءِ دَاوُدَ ﷺ: «اللَّهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ من يُحِبُّكَ، وَالعمَل الذي يُبلِّغُني حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعل حُبَّكَ أَحبَّ إِليَّ مِن نَفسي وأَهْلي، ومِن الماءِ البارد»(٤).

* «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك مِن خيرِ ما سألَكَ مِنْهُ نبيُّك مُحَمَّدٌ ﷺ، وأَعُوذُ بِكَ

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٢٦٦٨ ومسلم رقم ٢٧٠٦ عن أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٧٢٢عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٧١٩ ، والبخاري نحوه رقم ٦٠٣٥ و ٦٠٣٦ عن أبي موسىٰ رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذيُّ رقم ٣٤٩٠ وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ» والحاكم رقم ٣٦٢١ وصحح إسناده عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

من شَرِّ ما اسْتَعاذَ مِنْهُ نَبيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَنْتَ المُسْتَعَانُ، وعليْكَ البلاغُ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بِالله»(١).

خامساً: من المأثور في المناسبات(٢):

كثر ذكر الأدعية المأثورة في المناسبات الخاصّة والأوقات المخصوصة، فكان لها الفضل على سواها، نعرض شيئاً منها:

ـ دعاء سجود التلاوة في النافلة:

* «اللهم أكتب لي بها عندك أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود»(٣).

ـ المأثور عند النوم:

* يقرأ سورة السجدة وسورة الملك(٤).

* يقرأ آية الكرسي(٥).

---

(١) أخرجه الترمذيُّ رقم ٣٥٢١ وقال: «هذا حديثٌ حَسَنٌ غريب» عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: دَعا رسول الله ﷺ بِدُعَاءٍ كَثيرٍ، لم نَحْفَظْ منه شيئاً، قلنا: يا رسول اللهِ دعوت بِدُعاءٍ كثيرٍ لم نَحْفَظ منه شيئاً، لقال: «أَلاَ أَدُلُّكُم على ما يَجْمَعُ ذَلكَ كُلَّهُ؟ تَقُولُ:...

(٢) هذا الأدعية مأخوذة بكاملها مع هوامشها من كتاب التزكية على للدكتور معاذ حوى.

(٣) أخرجه الترمذي رقم ٥٧٩ وقال: حسن غريب، ونحوه ابن حبان في صحيحه رقم ٢٧٦٨، والحاكم رقم ٧٩٩ وصححه، كلهم أخرجه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه أحمد رقم ١٤٧٠٠ والترمذي رقم ٢٨٩٢ والنسائي رقم ١٠٥٤٢ والحاكم رقم ٣٥٤٥ وصححه، عن جابر رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل؛ السجدة، وتبارك الذي بيده الملك».

(٥) أخرجه البخاري رقم ٢١٨٧ من حديث طويل عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه ما ذكره الشيطان لأبي

* يقرأ آخر آيتين من سورة البقرة(١).

* «({قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد}، و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَق}، و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس})، بعد جمع يديه والنفث فيهما ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، ويفعل ذلك ثلاث مرات»(٢).

* «باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»(٣).

هريرة ﷺ قال له: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم: {اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب».

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٧٥٣ ومسلم رقم ٨٠٧ عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ، وفيه أن «من قرأهما في ليلة كفتاه». والآيتان هما قوله تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِير. لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين} [البقرة:٢٨٦].

(٢) أخرجه البخاري رقم ٤٧٢٩ عن عائشة رضي الله عنها، وأخرجه رقم ٥٩٦٠ عنها بلفظ: «وقرأ بالمعوذات».

(٣) أخرجه البخاري رقم ٥٩٦١ ونحوه مسلم رقم ٢٧١٤ عن أبي هريرة ﷺ، وفي بدايته بلفظ البخاري: «قال النبي ﷺ: إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول:...»، وروى مسلم رقم ٢٧١٢ الدعاء بنحو هذا عن عبد الله بن عمر ﷺ.

* «اللهم باسمِكَ أحيا وأموت»[١].

* «اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت»، وقال رسول الله ﷺ: «من قالهن ثم مات من ليلته مات على الفطرة»[٢].

ـ الاستيقاظ من النوم:

* «الحَمْدُ لله الذِي أَحْيَانا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وإِلَيْهِ النَشُور»[٣].

ـ لبس الثوب:

* «الحَمْدُ لله الذِي كَساني هذا ورَزَقَنِيه، مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنّي ولا قُوةٍ»[٤].

ـ لبس الثوب الجديد ـ عمامة أو قميصاً أو رداءً:

* «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ كَسوتَنِيه، أَسْألك مِنْ خَيرِهِ وخَيْرَ ما صُنع لَهُ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شرِّه وشَرَّ ما صُنِعَ لَهُ»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٩٥٩ عن حذيفة ﷺ ورقم ٦٩٦٠ عن أبي ذر ﷺ ومسلم رقم ٢٧١١ عن البراء ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٥٩٥٦ عن البراء بن عازب ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٦٩٥٩ عن حذيفة ﷺ ورقم ٦٩٦٠ عن أبي ذر ﷺ ومسلم رقم ٢٧١١ عن البراء ﷺ.

(٤) أخرجه أبو داود رقم ٤٠٢٣ و الحاكم رقم ١٨٧٠ وصححه.

(٥) أخرجه أحمد رقم ١١٢٦٦ والترمذي رقم ١٧٦٧ وقال: حسن غريب صحيح، وأبو داود رقم ٤٠٢٠، عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

ـ الخروج من المنزل:

* «بسم الله، توكَّلْتُ على الله، لا حَوْلَ ولا قُوةَ إلا بالله»[١].

* «اللهُمَ إني أعُوذُ بِكَ أن أَضِلَّ أوْ أُضَلَّ، أَوْ أزلَّ أو أُزلَّ، أوْ أظلِم أوْ أُظْلَم، أوْ أَجْهَلَ أوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»[٢].

ـ الدخول إلى المنزل:

* «اللهم إني أسألك خير المَوْلَج وخير المَخْرَج، بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا»، ثم ليسلم على أهله[٣]، قال ﷺ: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه، قال: أدركتم

---

(١) أخرجه الترمذي رقم ٣٤٢٦ وأبو داود رقم ٥٠٩٥ والنسائي رقم ٩٩١٧ وابن حبان رقم ٨٢٢، عن أنس بن مالك ﷺ، وفيه: أنه إذا خرج من بيته فقال:... فيقال له: حسبك قد كفيت وهديت ووقيت، وزاد الترمذي: وتنحى عنه الشيطان، وزاد أبو داود وابن حبان: فيلقى الشيطان شيطاناً آخر فيقول له: كيف لك برجل قد كفي وهدي ووقي.

(٢) أخرجه أبو داود رقم ٥٠٩٤، ولترمذي رقم ٣٤٢٧ والنسائي رقم ٩٩١٤، وأحمد رقم ٢٦٧٤٧، والحاكم رقم ١٩٠٧، عن أم سلمة رضي الله عنها، وأن النبي ﷺ كان يقول ذلك إذا خرج من بيته، وفي بعض الروايات أنه كان يسمي الله، وفي بعضها يقول بعد التسمية توكلت على الله، وفي بعضها أنه كان يرفع طرفه إلى السماء إذا خرج ثم يقول...

(٣) أخرجه أبو داود رقم،٥٠٩٦ عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا ولج الرجل في بيته فليقل...

المبيت والعشاء»[١].

ـ قبل الطعام:

* «بسم الله الرحمن الرحيم»، قال ﷺ: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره»[٢].

«من أطعمه الله الطعام فليقل: (اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه)، ومن سقاه الله لبناً فليقل: (اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه)»[٣].

ـ الفراغ من الطعام:

* «(الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام، ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة)، من قالها غفر له ما تقدم من ذنبه»[٤].

ـ رفع المائدة:

* «الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه، غيرَ مكفِيٍّ ولا مودَّعٍ، ولا مُستغنىً

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٠١٨، عن جابر رضي الله عنه.

(٢) عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه أبو داود رقم ٣٧٦٧ والترمذي رقم ١٨٥٨ وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم وصححه رقم ٧٠٨٧.

(٣) أخرجه أحمد رقم ١٩٧٨، والترمذي رقم ٣٤٥٥ وحسنه، وأبو داود رقم ٣٧٣٠، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) عن معاذ بن أنس رضي الله عنه، أخرجه أبو داود رقم ٤٠٢٣، والترمذي رقم ٣٤٥٤ وقال: حديث حسن، والحاكم رقم ١٨٧٠ وقال: صحيح على شرط البخاري.

عنه[١] ربنا»[٢].

ـ لمن أطعم وسقى:

* «اللهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أطْعَمَني، واْسْقِ مَنْ سَقَاني»[٣].

ـ دخول الخلاء أو الكنيف:

* «اللهُمَّ إنّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ والخبائِثِ»[٤].

ـ الخروج من الخلاء:

* «غُفْرانَكَ»[٥].

ـ بعد الوضوء:

* «(أشهد أنَّ لا إله إلا الله وأنَّ محمدا عبد الله ورسوله) ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقولها إلا فتحت له أبواب الجنة الثّمانية يدخل من أيها شاء»[٦].

---

(١) «غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه»: أي أن الطعام لا تنقطع حاجتنا منه فلا كفاية لنا بما أكلنا منه ولا نودعه ولا نتركه، ولا نستغني عن فضل الله أن يرزقنا هذا الطعام مرة بعد مرة.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٥١٤٢، عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٠٥٥ عن المقداد من حديث طويل.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٥٩٦٣ ومسلم رقم ٣٧٥، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أحمد رقم ٢٥٢٦١ والترمذي رقم ٧ وقال: حسن غريب، وأبو داود رقم ٣٠ والنسائي رقم ٩٩٠٧ وابن حبان رقم ١٤٤٤ عن عائشة رضي الله عنها.

(٦) في صحيح مسلم ١: ٢٠٩، وسنن أبي داود ١: ٩١ عن **عمر** رضي الله عنه.

«(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أنَّ لا إله الا أنت أستغفرك وأتوب إليك)، مَن توضأ فقالها كُتب في رقّ، ثمّ طُبِع بطابع فلم يُكسر إلى يوم القيامة»[1].

ـ العطاس:

* «إذا عطس أحدكم فليقل: (الحمد لله)، وليقل له أخوهُ أو صاحبهُ: (يرحمك الله)، فإذا قال لهُ: (يرحمك الله)، فليقل: (يهديكم الله ويصلح بالكم)»[2].

ـ كفارة المجلس:

* «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»[3].

ـ لمن صنع لك معروفاً:

* «جَزَاكَ الله خيراً»[4].

---

(١) في سنن النسائي ٦: ٢٥، والمستدرك ١: ٧٥٢، وصححه، وشعب الإيمان ٣: ٢١ عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٥٨٧٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٤٣٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه وأن من قال ذلك غفر له ما كان في مجلسه ذلك، وقال الترمذي: حسن غريب صحيح، وأخرجه نحوه أبو داود رقم ٤٨٥٧.

(٤) أخرجه الترمذي رقم ٢٠٣٥ والنسائي رقم ١٠٠٠٨ عن أسامة بن زيد رضي الله عنه وفيه أن من قال ذلك لمن صنع له معروفاً فقد أبلغ في الثناء.

ـ الركوب:

* «بسم الله، الحمد لله، {سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِين. وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُون}[الزخرف:١٤]، الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، سبحانك اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[١].

ـ صلاة الاستخارة:

* «اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدِرُ ولا أقدِرُ، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنتَ تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: عاجل أمري وآجله ـ فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: في عاجل أمري وآجله ـ فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقْدُرْ لي الخير حيث كان، ثم أرضني به، قال: ويسمي حاجته»[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي رقم ٣٤٤٦ وقال: حسن صحيح، وأبو داود رقم ٢٦٠٢، عن علي رضي الله عنه، وفي رواية الترمذي يقول: بسم الله ثلاثاً.

(٢) أخرجه البخاري رقم ١١٠٩ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ يُعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمُنا السورة من القرآن، يقول: إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل:...

ـ القلق والفزع في النوم ومن بُلي بالوحشة:

* «أعوذ بكلمات الله التَّامَّة من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأنْ يحضرون»(١).

ـ لمن ابتلي بالهَمِّ والحَزَن أو الكسل أو الدين:

* «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل والبخل والجبن، وضَلَع الدَّين(٢) وغلبة الرجال»(٣).

* «اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فِيَّ حكمك، عدل فِيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك؛ أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاً» قال: فقيل يا رسول الله: ألا

---

(١) أخرجه الترمذي رقم ٣٥٢٨ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «إذا فزع أحدكم في النوم فليقل... فإنها لن تضره» قال: وكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده، ومن لم يبلغ منهم كتبها في صك ثم علقها في عنقه. قال الترمذي: حسن غريب، وأخرجه أبو داود رقم ٣٨٩٣ بنحوه، والنسائي رقم ١٠٦٠١ من غير أن يذكر فعل عبد الله بن عمرو، وأخرجه أحمد رقم ٢٣٨٩٠ عن الوليد بن الوليد، وفيه: أنه قاله لمن يشتكي وحشة أن يقوله إذا أخذ مضجعه.

(٢) ضلع الدين: أي ثقله، وغلبة الرجال: قهرهم.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٦٠٠٨ عن أنس بن مالك ﵁، وليس فيه أنه كان يقول ذلك عند الهم والحزن وغيره، وإنما استنبط هذا من معناه، وأخرجه البخاري من حديث طويل رقم ٢٧٣٦ أنه كان يقوله في غزوة له كثيراً.

نتعلمها، فقال: بلىٰ ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها[(١)].

ـ الكرب:

* «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم»[(٢)].

* «اللهُ اللهُ ربي لا أشرك به شيئاً»[(٣)].

ـ من أصابه شك في الإيمان:

«يستعيذ بالله»، وينتهي عما شك فيه[(٤)]، ويقول: «آمنت بالله ورسله»[(٥)].

ـ رؤيةالهلال:

* «اللهم أهلِه علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما

---

(١) أخرجه أحمد رقم ٣٧١٢، ابن حبان رقم ٩٧٢، والحاكم رقم ١٨٧٧، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٥٩٨٥ ومسلم رقم ٢٧٣٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كان يقول ذلك عند الكرب. واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه أبو داود رقم ١٥٢٥ عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها علمها النبي ﷺ هذه الكلمات تقولهن عند الكرب، وروي عن غيرها.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٣١٠٢ ومسلم رقم ١٣٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتىٰ يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك؛ فليستعذ بالله، ولينته».

(٥) أخرجه مسلم رقم ١٣٤.

تحب ربنا وترضى، ربنا وربك الله»[1].

ـ إفطار الصائم:

* «ذَهبَ الظَّمأُ، وابتلَّت العروقُ وثَبَتَ الأجرُ إنْ شاء الله»[2].

ـ الإفطار عند غيره:

* «أَفطَر عِنْدَكُم الصائِمونَ، وأكل طعامَكُمُ الأَبرارُ، وصلت عليكُمُ الملائِكَةُ»[3].

ـ للمتزوج:

* «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير»[4].

ـ إتيان الزوجة:

* «بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا»[5].

---

(١) أخرجه الترمذي رقم ٣٤٥١ وقال حسن غريب، والحاكم رقم ٧٧٦٧ عن طلحة بن عبيد الله ﷺ، وأخرجه ابن حبان رقم ٨٨٨ عن ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه الدارمي عنه رقم ١٦٨٧ وزاد في بدايته: «**الله أكبر**».

(٢) أخرجه أبي داود رقم ٢٣٥٧ والنسائي رقم ٣٣٢٩، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أحمد رقم ١٢٤٢٩ وأبو داود رقم ٣٨٥٤ عن سعد بن عبادة ﷺ، وأحمد رقم ١٢١٩٨ والنسائي رقم ٦٩٠١ عن أنس بن مالك ﷺ، وابن حبان رقم ٥٢٩٦ عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه أحمد رقم ٨٩٤٣ والترمذي رقم ١٠٩١ وقال: حسن صحيح، وأبو داود رقم ٢١٣٠ والنسائي رقم ١٠٠٨٩، عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ إذا رَفَّأَ الإنسان إذا تزوج قال:...

(٥) البخاري رقم ١٤١ ومسلم رقم ١٤٣٤، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه أن من قال ذلك فإن قضي بينهما ولد لم يضره الشيطان.

ـ من رأى صاحب بلاء:

❊ «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً»(١).

ـ دعاء السفر:

❊ «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، {سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِين. وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُون}[الزخرف:١٤] ، اللهم إنا نسألُك في سفرنا هذا البرَّ والتقوىٰ، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وَعْثاءِ السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل»، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون»(٢).

ـ المسافر للمقيم:

❊ «أستودعُكَ الله الذي لا تضيع ودائعه»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي رقم ٣٤٣١، عن عمر ﷺ، وقال الترمذي: غريب، وفي الحديث: أن من قال ذلك عوفي من ذلك البلاء كائناً ما كان ما عاش.

(٢) أخرجه مسلم رقم ١٣٤٢، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا استوىٰ علىٰ بعيره خارجاً إلىٰ سفر كبر ثلاثاً وقال...

(٣) أخرجه أحمد رقم ٩٢١٩ وابن ماجه رقم ٢٨٢٥، عن أبي هريرة ﷺ، ولفظ ابن ماجه قال أبو هريرة: ودعني رسول الله ﷺ فقال:...

ـ المقيم للمسافر:

* «أستودع الله دينك وأمانتك، وخواتيم عملك»(١)، «زوَّدك الله التقوىٰ، وغفر ذنبك، ويسَّر لك الخير حيث ما كنت»(٢).

ـ الصعود والنزول في السفر:

* «الله أكبر»، «سبحان الله»، قال جابر ﵁: «كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبحنا»(٣).

ـ المرور بعلو في الركوب:

* «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»(٤).

ـ نزول منزل في سفر:

* «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد رقم ٤٥٢٤ والترمذي رقم ٣٤٤٣ عن ابن عمر ﵄ كان يقول للرجل إذا أراد سفراً: ادن مني أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا، فيقول:... وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) أخرجه الترمذي رقم ٣٤٤٤ عن أنس ﵁، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٢٨٣١ عن جابر بن عبد الله ﵁.

(٤) أخرجه البخاري رقم ١٧٠٣ ومسلم نحوه رقم ١٣٤٤، عن ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر علىٰ كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات، ثم يقول:....

(٥) أخرجه مسلم رقم ٢٧٠٨ عن خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها.

ـ دخول القرية أو البلدة:

* «اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها، وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها، وشر أهلها، وشر ما فيها»[١].

* «اللهم بارك لنا فيها»، ثلاث مرات، «اللهم ارزقنا جناها، وحببنا إلى أهلها، وحبب صالحي أهلها إلينا»[٢].

ـ دخول السوق:

* «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويُميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير»[٣].

ـ ما يعوّذ به الأولاد:

* «(أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامّة، ومن كل عينٍ لامَّة) كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين بها»[٤].

---

(١) أخرجه النسائي رقم ٨٨٢٦ وابن حبان رقم ٢٧٠٩ والحاكم رقم ١٦٣٤ وصحح إسناده، عن صهيب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط رقم ٤٧٥٥، عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي رقم ٣٤٢٨ وقال: غريب، والحاكم رقم ١٩٧٤ عن عمر.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٣١٩١ عن ابن عباس رضي الله عنهما، واللامَّة: أي ذات لمم، أي تصيب الإنسان بشيء يخرجه عن حالته الطبيعية.

ـ للمريض:

❋ «لا بأس طهور إن شاء الله»[١].

❋ «أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك» سبع مرات[٢].

ـ رقية المريض لنفسه ولغيره:

❋ «المعوذات»، فعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها»[٣].

❋ «(أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقماً) ويمسحه بيمينه»[٤].

ـ من أُصيب بمصيبة:

❋ «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أْجُرْني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٧٠٣٢، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد رقم ٢١٣٧ والترمذي رقم ٢٠٨٣، وقال حسن غريب، وأبو داود رقم ٣١٠٦ وابن حبان رقم ٢٩٧٥ والحاكم رقم ١٢٦٨ وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من عبد مسلم يعود مريضاً لم يحضر أجله فيقول: سبع مرات... إلا عوفي».

(٣) أخرجه البخاري رقم ٤٧٢٨.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٥٤١٨ ومسلم رقم ٢١٩١ عن عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه مسلم رقم ٩١٨، عن أم سلمة رضي الله عنها، وفي الحديث أن من قال ذلك عند المصيبة

ـ أثناء الأذان:

* ترديد الأذان مع المؤذن، فإذا قال المؤذن: اللهُ أكبر، فقُلْ مثل ذلك، وكذلك في كلّ كلمةٍ إلا في الحيعلتين فقل فيهما: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فعن أبي سعيد ﷺ قال ﷺ: «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن»[١].

ـ بعد الأذان:

* «اللهم ربّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة»[٢]، وفي رواية: «إنك لا تخلف الميعاد»[٣].

ـ دخول المسجد:

* «اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك»[٤].

ـ بعد صلاة ركعتين في المسجد:

* «اللَّهمَّ إنّي أسألك رحمة من عندك، تهدي بها قلبي، وتجمع بها شملي، وتلم بها شعثي، وترد بها ألفتي وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي،

إلا أجره الله في مصيبته وأخلف الله له خيراً منها.

(١) في صحيح البخاري ١: ٢٢١.

(٢) في صحيح البخاري ١: ٢٢٢، وغيره.

(٣) في سنن البيهقي الكبير ١: ٤١٠، وغيرها.

(٤) في صحيح مسلم١: ٤٩٤ عن أبي أسيد رضي الله عنه.

وترفع بها شاهدي، وتزكي بها عملي، وتبيض بها وجهي، ولتهمني بها رشدي، وتقضي لي بها حاجتي، وتعصمني بها من كل سوء.

اللَّهمَّ إني أسألك إيماناً خالصاً دائماً يُباشر قلبي، ويقيناً صادقاً، حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبته عليَّ، ورضني بما قسمته لي.

اللَّهمَّ إني أسألك إيماناً صادقاً، ويقيناً ليس بعده كفر، وأسألك رحمةً أنال بها شرف كرامتك في الدُّنيا والآخرة.

اللَّهمَّ إني أسألك الفوز عند اللقاء والصَّبر عند القضاء، ومنازل الشُّهداء، وعيش السُّعداء، والنَّصر على الأعداء، ومرافقة الأنبياء.

اللَّهمَّ إنّي أنزل بك حاجتي، وإن ضعف رأيي وقصر عملة، وافتقرت إلى رحمتك فأسألك يا قاضي الأمور، ويا شافي الصدور، كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السَّعير، ومن دعوة الثّبور، ومن فتنة القبور.

اللَّهمَّ ما قصر عنه رأيي، وضعف عنه عملي، ولم تبلغه نيتي وأُمنيتي، من خير وعدته أحداً من عبادك أو خير أنت معطيه أحداً من خلقك، فإنّي أرغب إليك فيه، وأسألك إيّاه يا رب العالمين.

اللّهمَّ اجعلنا هادين مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، حرباً لأعدائك سلماً لأوليائك، نحبُّ بحبك النَّاس، ونُعادي بعداوتك من خالفك من خلقك.

اللَّهمَّ هذا الدُّعاء، وعليك الإجابة، وهذا الجهد، وعليك التكلان، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللَّهمَّ ذا الحبل الشَّديد، والأمر الرَّشيد، أسألك الأمن يوم الوعيد، والجنة يوم الخلود مع المقربين الشُّهود، والرُّكع السُّجود، الموفين لك بالعهود، إنك رحيمٌ ودودٌ، وإنك تفعل ما تريد، سبحان من تعطف بالعزّ وقال به، سبحان مَن لبس المجد وتكظرّم به، سبحان مَن لا ينبغي التَّسبيح إلا له، سبحان ذي الفضل والنعم، سبحان ذي الجود والكرم، سبحان الذي أحصىٰ كلّ شيء بعمله.

اللَّهمَّ اجعل لي نوراً في قلبي، ونوراً في قبري، ونوراً في سمعي، ونوراً في بصري، ونوراً في شعري، ونوراً في بشري، ونوراً في لحمي، ونوراً في دمي، ونوراً في عظامي، ونوراً من بين يدي، ونوراً من خلفي، ونوراً من يمين، ونوراً عن شمالي، ونوراً من فوقي، ونوراً من تحتي.

اللَّهمَّ زدني نوراً، وأعطني نوراً أعظم نور، واجعل لي نوراً برحمتك يا أرحم الراحمين»[1].

ـ بعد صلاة الفريضة:

«الاستغفار» ثلاثاً «اللهم أنت السلام ومنك السَّلام، تباركت ذا الجلال والإكرام»[2].

* «(لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علىٰ

---

(١) في سنن الترمذي٥: ٤٨٢، وصحيح ابن خزيمة٢: ١٦٥، والمعجم الأوسط٤: ٩٥، والمعجم الكبير١٠: ٢٨٣ بألفاظ متقاربة.

(٢) في صحيح مسلم١: ٤١٤ عن ثوبان ﵁.

كلِّ شيءٍ قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد) كان ﷺ يقولها في دبر كلّ صلاة مكتوبة»[١].

* «(مَن سَبَّح الله في دُبُر كلِّ صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحَمَدَ الله ثلاثاً وثلاثين، وكَبَّرَ الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسعةٌ وتسعون، وقال: تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»[٢].

* «من قرأ (آية الكرسي) في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»[٣].

* «قراءة المعوذتين»، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوذات دبر كلّ صلاة»[٤].

* «اللهم إني أسألك من الخير كلّه، عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشرّ كلّه عاجله وآجله، ما علمت وما لم أعلم، وأسألك الجنة، وما قرب إليها من قول وعمل، وأسألك من الخير الذي سألك عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأعوذ بك من النَّار، وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك مما استعاذ منه عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأسألك ما

(١) في صحيح البخاري١: ١٦٨ عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.
(٢) في صحيح مسلم١: ٤١٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) في سنن النسائي الكبرى٩: ٤٤ عن أبي أمامة رضي الله عنه.
(٤) في سنن النسائي الكبرى٢: ٩٤، والمعجم الكبير١٧: ٢٩٤، ومسند أحمد٢٨: ٦٣٣.

قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشداً»[١].

❋ «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، اللهم ارزقني من طاعتك ما تحول بيني وبين معصيتك، وارزقني من خشيتك ما تبلغني به رحمتك، وارزقني من اليقين ما تهون به عليّ مصائب الدُّنيا، وبارك لي في سمعي وبصري، واجعلهما الوارث مني، اللهم وخذ بثأري ممن ظلمني، وانصرني علىٰ من عاداني، ولا تجعل الدنيا أكبر همي، ولا مبلغ علمي، اللهم ولا تسلط عليّ من لا يرحمني»[٢].

ـ للميت في الصلاة عليه:

❋ «اللهم اغفر له وارحمه، وعافه، واعف عنه، وأكرم نُزُله، ووسع مُدخلهُ، واغسله بماء وثلج وبرد، ونقه من الخطايا كما ينقىٰ الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة، قه فتنة القبر وعذاب النار»[٣].

❋ «اللهم اغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأُنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه علىٰ الإسلام، ومن توفَّيْته منا فَتَوَفَّهُ علىٰ الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده»[٤].

---

(١) في شرح مشكل الآثار١٥: ٢٩٠، والمستدرك١: ٧٠٢، وصححه عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) في المستدرك١: ٧٠٩، وصححه عن ابن عمر ﵄.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٩٦٣، عن عوف بن مالك الأشجعي ﵁.

(٤) أخرجه أحمد رقم ٨٧٩٥، أبو داود رقم ٣٢٠١، وابن ماجه رقم ١٤٩٨، عن أبي هريرة ﵁.

* «اللهم إنه عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، كان يشهد أن لا إله إلا أنت، وأن محمداً عبدك ورسولك، وأنت أعلم به، اللهم إن كان مُحسِناً فزد في إحسانه، وإن كان مُسيئاً فتجاوز عن سيئاته، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده»(١).

ـ دعاء التعزية:

* «إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مُسمى، فلتصبر ولتحتسب»(٢).

ـ زيارة القبور:

«السلام عليكم أهل الديار، من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء بكم لاحقون، ويرحم الله المُستقدمين منا والمستأخرين، أسأل الله لنا ولكم العافية»(٣).

ـ صياح الديك ونهيق الحمار:

* «أعوذ بالله من الشيطان»، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «إذا سمعتم صياح الديكة؛ فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت مَلَكاً، وإذا سمعتم نهيق

---

(١) أخرجه مالك رقم ٥٣٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه. والحاكم نحوه رقم ١٣٢٨ وصححه.

(٢) أخرجه البخاري رقم ١٢٢٤ ومسلم رقم ٩٢٣ عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما. وأما قول: «عظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك»، فلم ترد في السُّنة، وإنما هي مما استحسنه العلماء.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٩٧٥ عن بريدة رضي الله عنه، ورقم ٩٧٤ عن عائشة رضي الله عنها، واللفظ المذكور من مجموع الروايتين، ففي كل واحدة منها عبارة ليست في الأخرى.

الحمار؛ فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطاناً»[١].

ـ ما يقول من أحس وجعاً في جسده:

* «بسم الله» ثلاثاً، «أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» سبعاً، بعد وضع اليد على الذي تألم من جسدك[٢].

ـ مَن خشي أن يصيب شيئاً بعينه:

«اللهم بارك»، فعن سهل بن حنيف ﷺ قال ﷺ: «إذا رأى أحدكم من أخيه، أو من نفسه، أو من ماله ما يعجبهُ، فليبركه، فإن العين حقٌّ»[٣].

ـ التعجب والأمر السار:

* «سبحان الله»[٤]، «الله أكبر»[٥].

ـ الذبح أو النحر:

* «بسم الله، والله أكبر»[٦].

ـ السلام على غير المسلم إن سلم:

* «وعليكم»، فعن أنس ﷺ، قال ﷺ: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٣١٢٧ ومسلم رقم ٢٧٢٩.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٢٠٢، عن عثمان بن أبي العاص الثقفي ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد رقم ٤/ ٤٤٧، وابن ماجه رقم ٣٥٠٩ والحاكم رقم ٥٧٤٢.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٣٢٨٤ ومسلم ٢٣٨٨، عن أبي هريرة ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري رقم ٥٨٦٤ عن أم سلمة رضي الله عنها.

(٦) أخرجه مسلم رقم ١٩٦٦ عن أنس ﷺ.

فقولوا: وعليكم»[1].

سادساً: من المأثور عن السلف[2]:

لما كان الأدعيةُ عن السَّلف والخلف لا تُحصىٰ، وهي سُنةٌ مَشروعةٌ في هذا الأمّة المباركة، وكثرة التَّأليفاتُ الخاصةُ بها، فقد ذكرتُ نَزراً يَسيراً منها للإشارة إليها والإرشاد لها والتنبيه عليها، فمنها:

ـ الاستيقاظ من النوم:

* «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور، أصبحنا وأصبح الملك لله، والعظمة والسلطان لله، والعزة والقدرة لله رب العالمين، أصبحنا علىٰ فطرة الاسلام، وعلىٰ كلمة الاخلاص، وعلىٰ دين نبينا محمد ﷺ، وعلىٰ ملّة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين؛ اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور، اللهم إنا نسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلىٰ كل خير، ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءاً أو نجره إلىٰ مسلم، أو يجره أحد إلينا؛ نسألك خير هذا اليوم، وخير ما فيه، ونعوذ بك من شرّ هذا اليوم، وشرّ ما فيه»[3].

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٩٠٣ ومسلم رقم ٢١٦٣.

(٢) مستفاده من بداية الهداية للإمام الغزالي.

(٣) ينظر: بداية الهداية ص٤٩.

ـ أثناء الوضوء:

* «بسم الله العظيم، والحمد لله على دين الإسلام»(١).

عند غسل اليدين: «اللَّهمَّ إنّي أسألك اليمن والبَركة، وأعوذ بك من الشُّؤم والهلكة».

وعند المضمضمة: «اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذِّكر لك، وثبتني بالقول الثَّابت في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة».

وعند الاستنشاق: «اللهم أرحني رائحة الجنة وأنت عني راض».

وعند الاستنثار: «اللهم إني أعوذ بك من روائح النَّار وسوء الدَّار».

وعند غسل الوجه: «اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك، ولا تسوّد وجهي بكلماتك يوم تُسوِّد وجوه أعدائك».

وعند غسل اليد اليُمنى: «أعطني كتابي بيميني، وحاسبني حسابا يسيراً».

وعند غسل الشمال: «اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري».

---

(١) قاله الطحاوي، وهو المنقول عن السلف، وقيل: إنَّه مرفوع إلى النبيّ ﷺ، كما في العناية ١: ٢١، وقيل: الأفضل: بسم الله الرحمن الرحيم بعد التعوذ، وفي المجتبى يجمع بينهما، اهـ، وفي شرح الهداية للعيني المروي عن رسول الله ﷺ: (باسم الله والحمد لله) رواه الطبراني في الصغير عن أبي هريرة بإسناد حسن اهـ، كما في رد المحتار ١: ١٠٩.

وعند مسح الرأس: «اللهم غشني برحمتك، وأنزل علىٰ من بركاتك، وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك، اللهم حرم شعري وبشري علىٰ النار».

وعند مسح الأذنين: «اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم أسمعني منادىٰ الجنة في الجنة مع الأبرار».

وعند مسح الرقبة: «اللهم فكّ رقبتي من النّار، وأعوذ بك من السَّلاسل والأغلال».

وعند غسل الرجلين: «اللهم ثبت قدمي علىٰ الصِّراط المستقيم مع أقدام عبادك الصالحين».

وعند غسل اليُسرىٰ: «اللهم إني أعوذ بك أن تزول قدمي عن الصِّراط في الّنار يوم تزل أقدام المنافقين والمشركين»[1].

---

(١) قال النووي في الأذكار ص١١٧-١١٨: «وأما الدعاء علىٰ أعضاء الوضوء فلم يجيء عن النبي ﷺ وقد قال الفقهاء: يستحب دعوات جاءت عن السلف، وزادوا ونقصوا فيها.... ثم ذكر شيئاً من هذه الأدعية، ومما يقال:

عند المضمضة: اللهم أعني علىٰ تلاوة القرآن وذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

عند الاستنشاق: اللهم أرحني رائحة الجنة، ولا ترحني رائحة النار.

عند غسل وجهه: اللهم بيِّض وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

عند غسل يده اليمنىٰ: اللهم أعطني كتابي بيميني، وحاسبني حساباً يسيراً.

عند غسل اليسرىٰ: اللهم لا تعطني كتابي بشمالي، ولا من وراء ظهري.

عند مسح رأسه: اللهم أظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظل عرشك.

وبعد الوضوء: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أنت التَّواب الرَّحيم، اللهم اجعلني من التَّوابين؛ واجعلني من المتطهرين، واجعلني من عبادك الصالحين، واجعلني صبوراً شكوراً، واجعلني أذكرك ذكراً كثيراً، وأُسبحك بكرةً وأصيلاً»[1].

ـ الخروج إلى المسجد:

* «اللهم إني أسألك بحقّ السَّائلين عليك، وبحقّ الرَّاغبين إليك، وبحقّ ممشاي هذا إليك؛ فإنّي لم أخرج أشرًا ولا بطراً، ولا رياءً، ولا سمعةً، بل خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تنقذني من النّار، وأن تغفر لي ذنوبي، فإنّه لا يغفر الذُّنوب إلا أنت»[2].

ـ بعد الصلاة:

* «اللَّهمَّ صلىٰ علىٰ محمَّد وعلىٰ آل محمد وسلم، اللهم أنت السَّلام، ومنك السَّلام، وإليك يعود السلام، فحينا ربّنا بالسَّلام، وأدخلنا الجنة دار

عند مسح أذنيه: اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

عند مسح عنقه: اللهم أعتق رقبتي من النار.

عند غسل قدمه اليمنىٰ: اللهم ثبت قدمي علىٰ الصراط يوم تزل الأقدام.

عند غسل رجله اليسرىٰ: اللهم اجعل ذنبي مغفوراً وسعيي مشكوراً وتجارتي لن تبور».

(١) ينظر: بداية الهداية ص٦٨.

(٢) ينظر: بداية الهداية ص٦٨.

السَّلام؛ تباركت يا ذا الجلال والإكرام، سبحان ربي العلى الأعلى الوهاب، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يُحي ويُميت، وهو حيٌّ لا يَموت، بيدِه الخير، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، لا إله إلا الله، أهل النِّعمة والفضل والثَّناء الحسن، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدِّين ولو كره الكافرون»(١).

ـ عند النوم:

* «باسمك ربي وضعت جنبي، وباسمك أرفعه، فاغفر لي ذنبي.

اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك.

اللهم باسمك أحيا وأموت، أعوذ بك اللهمّ من شَرِّ كلِّ ذي بشر، ومن شَرِّ كلِّ دابّة أنت آخذٌ بناصيتها، إن ربّي على صراطٍ مستقيم.

اللهم أنت الأَوَّل، فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظَّاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدَّين، وأغنني من الفقر.

اللهم أنت خلقت نفسي، وأنت تتوفاها، لك مماتها ومحياها، إن أمتها فاغفر لها، وإن أحييتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين.

اللهم إنّي أسألك العفو والعافية في الدِّين والدُّنيا والآخرة.

---

(١) ينظر: بداية الهداية ص٧٤.

اللهم أيقظني في أحبِّ السَّاعات إليك، واستعملني بأحبِّ الاعمال إليك؛ لتقربني إليك زلفى، وتُبْعدني عن سخطك بعداً، أسألك فتعطيني، وأستغفرك فتغفر لي، وأدعوك فتستجيب لي.

ثمّ اقرأ آية الكرسي، و{آمَنَ الرَّسُولُ}[البقرة:٢٨٥] إلى آخر السُّورة، والإخلاص، والمعوذتين، وتبارك الملك»[١].

قال الغَزاليُّ[٢]: «ترتب بتدبيرك أورادك في جميع يومك؛ لتتدارك به ما فرطت من تقصيرك، وتحترز من التَّعرُّض لسخط الله تعالى الأليم في يومك، وتنوي الخير لجميع المسلمين، وتَعزّ ألا تشغل في جميع نهارك إلا بطاعة الله تعالى، وتقصد في قلبك الطَّاعات التي تقدر عليها وتختار أفضلها، وتتأمّل تهيئة أسبابها؛ لتشتغل بها.

ولا تدع عنك التَّفكر في قرب الأجل، وحلول الموت القاطع للأمل، وخروج الأمر عن الاختيار، وحصول الحسرة والنَّدامة بطول الاغترار.

وليكن من تسابيحك، وأذكارك عشر كلمات:

١. لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، له الحمد، يحي ويميت، وهو حيّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كلِّ شيءٍ قدير.

٢. لا إله إلا الله، الملك الحقّ المبين.

---

(١) ينظر: بداية الهداية ص٩٢.

(٢) في بداية الهداية ص٧٦.

٣. لا إله إلا الله الواحد القهَّار، رَبِّ السَّموات والأرض، وما بينهما العزيز الغَفَّار.

٤. سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، واللهُ أكبر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، العليّ العظيم.

٥. سبوح قدوس ربّ الملائكة والروح.

٦. سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

٧. أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا الله هو الحيّ القيوم، وأسأله التَّوبة والمغفرة.

٨. اللَّهم لا مانع لما أَعطيت، ولا مُعطي لما مَنَعتٌ، ولا رادّ لما قضيتٌ، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجد.

٩. اللهم صلِّ على محمّد، وعلى آل محمد وصحبه وسلَّم.

١٠. بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السَّماء، وهو السَّميع العليم.

تُكرِّرُ كلّ واحدةٍ من هذه الكلمات إمّا مائة مرّةٍ أو سبعين مرّةٍ، أو عشرَ مرّات، وهو أقلُّه، ليكون المجموع مائة، ولازم هذه الأوراد...

فإن دعتك نفسك إلى ترك ما ذكرناه من الأوراد والأذكار استثقالاً لذلك، فاعلم أن الشَّيطان اللعين قد دَسَّ في قلبك الدَّاء الدَّفين، وهو حُبُّ

المال والجاه، فإيّاك أن تغترّ به، فتكون ضحكة له، فيهلكك، ثمّ يسخر منك...

وداوم علىٰ هذا التَّرتيب بقية عمرك، فإن شَقَّت عليك المداومة، فاصبر صبر المريض علىٰ مَرارة الدَّواء انتظاراً للشِّفاء، وتَفَكَّر في قصر عمرك، وإن عشت مثلاً مائة سنة، فهي قليلة بالإضافة إلىٰ مقامك في الدَّار الآخرة، وهي أبدُ الآباد، وتأَمَّل أنّك كيف تتحمَّل المشقّة والذُّل في طلبِ الدُّنيا شهراً أو سنة رجاءَ أن تستريح بها عشرين سنة مثلاً، فكيف لا تتحمَّل ذلك أياماً قلائلَ رجاء الاستراحة أبدَ الآباد!

ولا تُطوِّل أملكَ، فيثقل عليك عملُك، وقَدِّرْ قُرْبَ الموت، وقُلْ في نفسك: إنّي أتحَّمل المشقَّة اليوم، فلعلي أموت الليلة، وأَصبر الليلة، فلعلىٰ أموت غداً، فإن الموت لا يهجم في وقتٍ مخصوصٍ، وحالٍ مخصوص، فلا بُدّ من هجومه، فالاستعداد له أولىٰ من الاستعدادِ للدُّنيا، وأنت تعلم أنك لا تبقىٰ فيها إلا مدّةً يسيرةً».

༄༄༄

المبحث الثّاني
ما يتعلّق بالكلام

مرّ معنا أنّ أفضل ما يَصدرُ عن اللِّسان هو القرآن والذِّكر والدُّعاء، وينبغي أن يكون أكثر ما يصدرُ من اللِّسان، لكن قليلٌ من النَّاس مَن يفعله ويَلتزمُه، فيكون الأكثرُ الكلامُ من غير سبق، فعلينا أن لا نخرج فيه عن الأمر بالمعروف والنهي المنكر، والصدق، والحياء، والمستحسن، والتعليم؛ ليكون لنا لا علينا، فيثبت به الأجر لا الوزر، ولا يندرج في الآفات، وهذا ما نفصله في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوىٰ بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرىٰ الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد.

وقد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق، وانمحت عنها مراقبة الخالق، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم، فمن سعى في تلافي هذه الفترة، وسد هذه الثلمة إما متكفلاً بعملها أو متقلداً لتنفيذها مجدداً لهذه السنة الداثرة، ناهضا بأعبائها، ومتشمرا في إحيائها كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها، ومستبداً بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها[1].

ويلزم علينا أن نُفصِّل ما يتعلَّق بالأمر والنهي في النقاط الآتية:

أولاً: فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه، وإشارات العقول السليمة إليه الآيات والأخبار والآثار:

ما كان من اعتبار أهل الأمر والنهي هم المفلحون، قال تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون}[آل عمران:١٠٤].

وكان صفة بارزة للأمة الخالصة لله تعالى، قوله تعالى: {لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُون. يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٢: ٣٠٦.

وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ}[آل عمران:١١٤]، فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكان نعتاً للمؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم}[التوبة:٧١]

وكان تركه سبباً للعنة الله تعالى، قال سبحانه: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُون. كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُون}[المائدة:٧٩].

وكان أبرز صفة لخير أمة عرفتها البشرية، قال تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ}[آل عمران:١١٠].

وكان طريقاً للنجاة من عذاب الله سبحانه، قوله تعالى: {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُون}[الأعراف:١٦٥].

وكان مقترناً بالصلاة والزكاة؛ لأنّه أثرٌ لهما، وصفة للمستمكين بهما، قال تعالى: {الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُور}[الحج:٤١].

وكان طريقاً للبرّ والتقوىٰ، قالتعالىٰ: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَىٰ الْبرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَىٰ الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة:٢].

وكان حال أهل الله من أهل العلم هو النهي والأمر، قال تعالىٰ: {لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} [المائدة:٦٣].

وكان صفة لفئة طيبة خيرة في عامة الأمم، قال تعالىٰ: {فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ} [هود:١١٦].

وكان التمسك به قياماً بالقسط علىٰ النفس والأقربين، قال تعالىٰ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ} [النساء:١٣٥].

وكان خير ما يكون به المناجاة وينطلق به اللسان من الكلام، قال تعالىٰ: {لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء:١١٤].

وكان من أثر النهي الإصلاح بين الناس، قال تعالىٰ: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات:٩]، والإصلاح نهي عن البغي وإعادة إلىٰ الطاعة، فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالىٰ بقتاله، فقال تعالىٰ: {فَقَاتِلُوا

الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ}[الحجرات:٩]، وذلك هو النهي عن المنكر[١].

وكان تركه سبباً لاستحقاق العقاب، فعن حذيفة رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»[٢].

وكان تركه مستحقاً للعنة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال صلى الله عليه وسلم: «لا تقفن عند رجل يقتل مظلوماً، فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه»[٣].

وكان واجباً على كل أحد بقدر استطاعته، وأقلها القلب، فعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[٤].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «مَن رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان»[٥].

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٢: ٣٠٦.

(٢) في سنن الترمذي: ٤٦٨، وحسنه.

(٣) أخرجه الطبراني بسند ضعيف والبيهقي في شعب الإيمان بسند حسن.

(٤) في صحيح مسلم١: ٦٩.

(٥) في صحيح مسلم١: ٦٩.

ثانياً: كيفية الأمر والنهي:

لا يجوز التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف، فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد، فكيف في القرى والبوادي.

وواجب أن يكون في مسجد ومحلّة من البلد فقيهٌ يُعلِّم النَّاس دينهم، وكذا في كلِّ قريةٍ.

وواجب على كلِّ فقيهٍ فرغ من فرض عينِهِ، وتَفرَّغَ لفرض الكفاية أن يخرج إلى مَن يجاور بلدَه ويعلمهم دينَهم وفرائض شرعهم.

وكلُّ عامي عرف شروط الصَّلاة، فعليه أن يعرفها غيرَه، وإلا فهو شريكٌ في الإثم.

ومعلومٌ أنّ الإنسانَ لا يولد عالماً بالشرع، وإنَّما يجب التَّبليغ على أهل العلم، فكلُّ مَن تعلم مسألةً واحدةً، فهو من أهل العلم بها.

ولعمري الإثم على الفقهاء أشدُّ؛ لأنّ قدرتَهم فيه أظهر، وهو بصناعتهم أليق؛ لأنّ المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش، فهم قد تقلَّدوا أمراً لا بُدّ منه في صلاح الخلق.

وشأنُ الفقيه وحرفتُه تبليغُ ما بلغه عن رسول الله ﷺ، فإنّ العلماءَ هم ورثة الأنبياء، وليس للإنسان أن يقعدَ في بيتِهِ، ولا يخرج إلى المسجد؛ لأنّه يرى النّاس لا يحسنون الصَّلاة، بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنَّهي.

وكذا كلُّ مَن تيقَّن أنّ في السُّوق مُنكراً يجري علىٰ الدَّوام أو في وقت بعينِه، وهو قادرٌ علىٰ تغييره، فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسِهِ بالقعود في البيت، بل يلزمُه الخروج، فإن كان لا يقدر علىٰ تغيير الجميع، وهو محترزٌ عن مشاهدته، ويقدر علىٰ البعض لزمه الخروج؛ لأنّ خروجَه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه، فلا يضرُّه مشاهدةُ ما لا يقدرُ عليه، وإنَّما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح.

فحقٌّ علىٰ كل مسلم أن يبدأ بنفسه، فيصلحها بالمواظبة علىٰ الفرائض وترك المحرمات، ثم يعلم ذلك أهل بيته، ثم يتعدىٰ بعد الفراغ منهم إلىٰ جيرانه، ثم إلىٰ أهل محلته، ثم إلىٰ أهل بلده، ثم إلىٰ أهل السوادي المكتنف ببلده، وهكذا إلىٰ أقصىٰ العالم، فإن قام به الأدنىٰ سقط عن الأبعد، وإلا حرج به علىٰ كلِّ قادر عليه قريباً كان أو بعيداً.

ولا يسقط الحرج ما دام يبقىٰ علىٰ وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه، وهو قادر علىٰ أن يسعىٰ إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فرضه، وهذا شغل شاغل لمن يهمه أَمر دينه يشغله عن تجزئة الأوقات في التَّفريعات النادرة، والتعمق في دقائق العلوم التي هي من فروض الكفايات، ولا يتقدَّم علىٰ هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه[1].

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٢: ٣٤٢ـ ٣٤٣.

المطلب الثاني: الصِّدق[1]:

يجب أن يكون الصدق الصفة الملازمة لكل ما يصدر عن اللسان؛ لأن من أعظم الموبقات الكذب، فهو المهلكة العظمى، وعلى المؤمن أن يتحرَّى الصَّدق ويحرص عليه أشدَّ الحرص، حتى يُنسب عليه، ويعدّ من أهله.

وفي هذه المطلب نعرض لفضله ومكانته وحقيته ومراتبه في النقاط الآتية:

أولاً: فضيلة الصدق:

لا شك أن فضله ومكانته رفعة عالية حتى كان من أبرز صفات أهل الله تعالى، قال تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب:٢٣].

وكان صفة للأنبياء، قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا}[مريم:٤١]، ويكفي في فضيلة الصدق أن الصديق مشتق منه، والله تعالى وصف الأنبياء به في معرض المدح والثناء ، وقال: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا}[مريم:٥٤]، وقال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا}[مريم:٥٦].

وكان الصدق موصلاً للبرّ المدخل للجنة، فعن ابن مسعود ﵁، قال ﷺ: «إنَّ الصِّدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق

---

(١) اختصر هذا المبحث من إحياء علوم الدين٤: ٣٨٦ـ ٣٩٢.

حتىٰ يكون صديقا. وإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور، وإن الفجور يهدي إلىٰ النار، وإن الرجل ليكذب حتىٰ يكتب عند الله كذاباً»(١).

وكان صفة الرابحين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أربعٌ مَن كنّ فيه فقد ربح، الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر».

وكان الصِّدق مع الله مقرباً له تعالىٰ، ومبعداً عن غيره، قال بشر ابن الحارث: «مَن عامل الله بالصدق استوحش من الناس».

وكان الواجب علىٰ المؤمن أن يجعله طريقه وسبيله، قال أبو سليمان: «اجعل الصِّدق مطيتك، والحق سيفك، والله تعالىٰ غاية طلبتك».

وكان صاحبه عارفاً للصادقين، قال رجل لحكيم: «ما رأيت صادقاً، فقال له: لو كنت صادقاً لعرفت الصادقين».

وكان أحد أركان دين الله تعالىٰ، قال الكناني: «وجدنا دين الله تعالىٰ مبنياً علىٰ ثلاثة أركان: الحقُّ والصدقُ والعدلُ، فالحقُّ علىٰ الجوارح، والعدلُ علىٰ القلوب، والصِّدقُ علىٰ العقول».

وكان من الخصاص المنجية عند الله تعالىٰ، قال بعضهم: «أجمعُ الفقهاء والعلماء علىٰ ثلاث خصال أنّها إذا صَّحت ففيها النجاة، ولا يتم بعضها إلا ببعض، الإسلام الخالص عن البدعة والهوىٰ، والصدق لله تعالىٰ في الأعمال، وطيب المطعم».

---

(١) في صحيح البخاري٨: ٢٥، وصحيح مسلم٤: ٢٠١٢.

وكان الصِّدق مبصراً بحقيقة الدنيا والآخرة، قال محمد بن سعيد المروزي: «إذا طلبت الله بالصدق آتاك الله تعالىٰ مرآة بيدك، حتىٰ تبصر كلَّ شيء من عجائب الدنيا والآخرة».

وكان أبرز الصدق ما يكون بين العبد وربه، قال أبو بكر الوراق: «احفظ الصِّدق فيما بينك وبين الله تعالىٰ، والرفق فيما بينك وبين الخلق».

وكان أصل الطريق إلىٰ الله تعالىٰ، قيل لسهل: ما أصل هذا الأمر الذي نحن عليه، فقال: الصدق والسخاء والشجاعة، فقيل زدنا فقال: التقىٰ والحياء وطيب الغذاء.

ثانياً: حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه:

إن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان: صدق في القول، وصدق في النية والإرادة، وصدق في العزم، وصدق في الوفاء بالعزم، وصدق في العمل، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها.

فمَن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق؛ لأنه مبالغة في الصدق.

ثمّ هم أيضاً علىٰ درجات، فمَن كان له حظٌّ في الصِّدق في شيءٍ من الجملة، فهو صادقٌ بالإضافة إلىٰ ما فيه صدقه.

١ .**صدق اللسان**، وذلك لا يكون إلا في الإخبار أو فيما يتضمن الإخبار وينبه عليه، والخبر إما أن يتعلق بالماضي أو بالمستقبل، وفيه يدخل الوفاء بالوعد، والخلف فيه، وحقٌّ علىٰ كلِّ عبدٍ أن يحفظ ألفاظه، فلا يتكلَّم إلا بالصِّدق، وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها، فمَن حفظ لسانه عن

الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه، فهو صادق، ولكن لهذا الصدق كمالان:

أ.الاحتراز عن المعاريض، فقد قيل: في المعاريض مندوحة عن الكذب؛ وذلك لأنها تقوم مقام الكذب؛ إذ المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه، إلا أنّ ذلك مما تمسّ إليه الحاجة، وتقتضيه المصلحة في بعض الأحوال.

فمن اضطر إلى شيء من ذلك، فصدقه فيه أن يكون نطقه فيه لله فيما يأمره الحق به ويقتضيه الدين، فإذا نطق به فهو صادق، وإن كان كلامه مفهماً غير ما هو عليه؛ لأن الصدق ما أريد لذاته، بل للدلالة على الحق، والدعاء إليه، فلا ينظر إلى صورته، بل إلى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي أن يعدل إلى المعاريض ما وحد إليه سبيلاً.

فعن كعب بن مالك رضي الله عنه: «لم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها»[1]، وذلك كي لا ينتهي الخبر إلى الأعداء فيقصد، وليس هذا من الكذب في شيء.

والصدق ههنا يتحول إلى النية، فلا يراعى فيه إلا صدق النية وإرادة الخير، فمهما صح قصده وصدقت نيته، وتجردت للخير إرادته صار صادقاً وصديقاً كيفما كان لفظه، ثم التعريض فيه أولى.

---

(١) في صحيح البخاري ٤: ٤٨، وصحيح مسلم ٤: ٢١٢٨.

فالكمال الأول في اللفظ أن يحترز عن صريح اللفظ، وعن المعاريض أيضاً، إلا عند الضرورة.

ب.أن يراعي معنىٰ الصدق في ألفاظه التي يناجي بها ربه، كقوله: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض، فإن قلبه إن كان منصرفاً عن الله تعالىٰ مشغولاً بأماني الدنيا وشهواته، فهو كذب، وكقوله: إياك نعبد.

٢. في النية والإرادة:

ويرجع ذلك إلىٰ الإخلاص، وهو أن لا يكون له باعثٌ في الحركات والسكنات إلا الله تعالىٰ، فإن مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية، وصاحبه يجوز أن يُسمَّىٰ كاذباً.

٣.صدق العزم:

فإن الإنسان قد يقدم العزم علىٰ العمل، فيقول في نفسه: إن رزقني الله مالاً تصدقت بجميعه أو بشطره، أو إن لقيت عدواً في سبيل الله تعالىٰ قاتلت ولم أبال وإن قتلت، وإن أعطاني الله تعالىٰ ولاية عدلتُ فيها ولم أعص الله تعالىٰ بظلم وميل إلىٰ خلق، فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه، وهي عزيمة جازمة صادقة، وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يُضادّ الصدق في العزيمة، فكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال: لفلان شهوة صادقة.

٤.في الوفاء بالعزم:

فإن النَّفسَ قد تسخو بالعزم في الحال؛ إذ لا مشقّة في الوعد والعزم،

والمؤنة فيه خفيفة، فإذا حقَّت الحقائق، وحصل التَّمكن وهاجت الشَّهوات انحلت العزيمة، وغلبت الشهوات، ولم يتفق الوفاء بالعزم، وهذا يضاد الصدق فيه، ولذلك قال الله تعالى: {رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه} .

٥.في الأعمال:

وهو أن يجتهد حتى لا تدلّ أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به، لا بأن يترك الأعمال، ولكن بأن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر، وهذا من الرياء؛ لأن المرائي هو الذي يقصد ذلك، ورب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره، ولكن قلبه غافل عن الصلاة، فمن ينظر إليه يراه قائماً بين يدي الله تعالى، وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته، فهذه أعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن إعراباً هو فيه كاذب، وهو مطالب بالصدق في الأعمال.

وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار، فهذا غير صادق في عمله، وإن لم يكن ملتفتاً إلى الخلق، ولا مرائياً إياهم.

ولا ينجو من هذا إلا باستواء السريرة والعلانية، بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيراً من ظاهره.

٦. مقامات الدين:

وهو أعلى الدرجات وأعزها كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور.

فإن هذه الأمور لها مباد ينطلق الاسم بظهورها، ثم لها غايات وحقائق، والصادق المحقق من نال حقيقتها، وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته سُمي صاحبه صادقاً فيه.

فالتحقيق في هذه الأمور عزيزٌ جداً، ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها، ولكن لكل عبد منه حظٌ بحسب حاله، إما ضعيف وإما قوي، فإذا قوي سمي صادقا فيه.

فمعرفة الله تعالى وتعظيمه والخوف منه لا نهاية لها، قال مطرف: ما من الناس أحد إلا وهو أحمق فيما بينه وبين ربه، إلا أن بعض الحمق أهون من بعض.

المطلب الثّالث: الحياء:

من المعلوم أنّ الحياءَ في نفسه ليس من صفات اللسان، وإنّما ذكر معها لأثره البالغ عليها، فمَن استحى من الله تعالى لم يَنطق بما يخالف شرعه، ومن استحى من العباد لم ينطق بما يخالف المروءة والأدب، وعامة موبقات اللسان راجعة لهما، فكان الكلام في الحياء منبهاً على ذلك ومعيناً على تحقيقه.

ونعرضُ ما يتعلق بتعريف الحياء وفضله وأنواعه وطريق اكتسابه في النقاط الآتية:

أولاً: تعريفه:

وهو اسم يشتمل على مجانبة المكروه من الخصال، فالواجب على العاقل لزوم الحياء؛ لأنه أصل العقل وبذر الخير، وتركه أصل الجهل وبذر الشر،

والحياء يدلُّ على العقل، كما أن عدمه دال على الجهل، ومَن لم ينصف الناس منه حياؤه لم ينصفه منهم قحته[١].

فالحياءُ: انقباض النفس عن القبائح، وهو من خصائص الإنسان، وأول ما يظهر من قوة الفهم في الصبيان، وجعله اللهُ تعالى في الإنسان ليرتدع به، عما تنزعه إليه الشهوة من القبائح فلا يكون كالبهيمة، وهو مركب من جبن وعفة، ولذلك لا يكون المستحي فاسقًا، ولا الفاسق مستحيًا لتنافي اجتماع العفة والفسق، وقَلَّ ما يكون الشُّجاع مُستحييًا، والمستحي شجاعًا لتنافي اجتماع الجبن والشجاعة، ولعزة وجود ذلك تجمع الشعراء بين المدح بالشجاعة، والمدح بالحياء.

وأما الخجل: فحيرة النفس لفرط الحياء، ويحمد في النساء والصبيان، ويذم باتفاق من الرجال.

والوقاحة: مذمومة بكل لسان؛ إذ هي انسلاخ من الإنسانية، وحقيقتها لجاجة النفس في تعاطي القبيح[٢].

ثانياً: فضله:

ما كان من اعتبار النبي ﷺ بأن الحياءَ كلُّه خير، فعن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال ﷺ: «الحياء خير كله»[٣].

---

(١) ينظر: روضة العقلاء١: ٥٦.

(٢) ينظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة: ١: ٢٠٨.

(٣) في صحيح مسلم١: ٦٤.

وكان الحياء خلق الإسلام، فعن زيد بن طلحة ﵁، قال ﷺ: «لكل دين خلق، وخلق الإسلام الحياء»[1].

وكان من سنن المرسلين، فعن أبي أيوب ﵁، قال ﷺ: «أربع من سنن المرسلين: الحياء، والتعطر، والسواك، والنكاح»[2].

وكان شعبة من الإيمان، فعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»[3].

والحياء طريقاً للجنة، فعن ابن عمر ﵄، قال ﷺ: «الحياء من الإيمان»[4]، وعن أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار»[5]، قال أبو حاتم[6]: «إلا أن يتفضل الله عليه برحمته فيخلصه منه، فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودةً، كما أن الواقح إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدوماً، وتواتر الشر منه موجوداً؛ لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزجورات كلها، فبقوَّة الحياء يضعف ارتكابه إياها، وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها».

---

(١) في الموطأ٥: ١٣٣٠، وفي سنن ابن ماجة٢: ١٣٩٩ عن أنس ﵁.

(٢) في سنن الترمذي٣: ٣٨٣، وقال: حسن غريب.

(٣) في صحيح البخاري١: ١١.

(٤) في صحيح مسلم١: ٦٣.

(٥) في سنن الترمذي٤: ٣٦٥، وقال: حسن صحيح، وصحيح ابن حبان٢: ٣٧٢.

(٦) في روضة العقلاء١: ٥٧.

وكان محبوباً إلى الله تعالى، فعن يعلى بن أمية رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبراز بلا إزار، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال ﷺ: «إن الله تعالى حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»[1].

وكان الحياء من مانع من القبائح، فعن أبي مسعود رضي الله عنه، قال ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة، إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»[2]، قال الجصاص: أي إذا عرضت عليك أفعالك التي هممت بفعلها، فلم تستح منها لحسنها وجمالها فاصنع ما شئت منها[3].

كان حق الحياء التزام كافة أوامر الشعر، فعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال ﷺ: «استحيوا من الله عز وجل حق الحياء، قال: قلنا: يا رسول الله، إنا نستحي، والحمد لله، قال: ليس ذلك، ولكن من استحيى من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما حوى، وليحفظ البطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة، ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك، فقد استحيا من الله عز وجل حق الحياء»[4].

---

(١) في سنن أبي داود٤: ٣٩، وسنن النسائي١: ٢٠٠، ومسند أحمد٢٩: ٤٨٣.

(٢) في صحيح البخاري٤: ١٧٧.

(٣) ينظر: أدب الدنيا والدين١: ٢٤٨.

(٤) في مسند أحمد٦: ١٨٧، وسنن الترمذي٤: ٦٣٧، والمستدرك٤: ٣٥٩، وصححه.

وكان البعد عن الحياء سبيلاً للكفر وإنكار النعمة، فعن سعيد بن المسيب، قال ﷺ: «قلة الحياء كفر»[١].

وكان صاحب الحياء محبوباً عند الله تعالىٰ، فعن الحسن قال ﷺ: «إن الله يحب الحيي الحليم المتعفف، ويبغض البذيء الفاحش السائل الملحف»[٢].

وكان الحياء سبباً للتستر، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «أيها الناس استحيوا من الله، فوالله ما خرجتُ لحاجةٍ منذ بايعت رسول الله ﷺ أريد الغائط إلا وأنا مقنع رأسي حياء من الله تعالىٰ».

وكان الحياء من الناس طريقاً للحياء من الله تعالىٰ، قال زيد بن ثابت: «من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله تعالىٰ».

وكان الحياء صفة أصحاب الأنساب الصحيحة، قال يحيىٰ بن جعدة: «إذا رأيت الرجل قليل الحياء، فاعلم أنه مدخول في نسبه»[٣].

ثالثاً: أنواعه:

١. **الحياء من الله تعالى،** فيكون بامتثال أوامره والكف عن زواجره، ولزوم الحياء عند مجانبة ما نهىٰ الله تعالىٰ عنه واجب.

٢. **الحياء من الناس،** فيكون بكف الأذىٰ وترك المجاهرة بالقبيح ، أو

---

(١) في مصنف ابن أبي شيبة٥: ٣١٣، ومكارم الأخلاق١: ٣٧، والزهد للسري٢: ٦٢٦.

(٢) في مصنف ابن أبي شيبة١٣: ٤٤، والزهد لسري٢: ٦٢٧.

(٣) ينظر: هذه الأثار في روضة العقلاء ١: ٥٦ـ ٥٩.

بالدخول فيما يكرهون من القول والفعل معاً، وهذا النوع من الحياء قد يكون من كمال المروءة وحب الثناء، فيكون لزوم الحياء عند مقارفة ما كره الناس فضل.

٣. **الحياء من نفسه**، فيكون بالعفة وصيانة الخلوات، وهذا النَّوعُ من الحياء قد يكون من فضيلة النَّفس وحسن السَّريرة.

قال بعضُ الحكماء: ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك.

وقال بعض الأدباء: من عمل في السر عملاً يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر.

وإن أخل بأحد وجوه الحياء لحقه من النقص بإخلاله بقدر ما كان يلحقه من الفضل بكماله[1].

رابعاً: طريقة اكتسابه:

قال الرَّاغبُ[2] في مداواة اكتساب الحياء: «فحقُّ الإنسان إذا همَّ بقبيح أن يتصوَّر أجلَّ من في نفسه، حتى كأنه يراه، فالإنسانُ يَستحي ممن يكبر في نفسه؛ ولذلك لا يستحي من الحيوان ولا من الأطفال، ولا من الذين لا يميزون، ويَستحي من العالم أكثر مما يستحي من الجاهل، ومن الجماعة أكثر

---

(١) ينظر: روضة العقلاء ١: ٥٧، وأدب الدنيا ١: ٢٥٠.

(٢) في الذريعة إلى مكارم الشريعة: ١: ٢٠٨.

مما يستحي من الواحد، والذين يستحي منهم الإنسان ثلاثة: البشر: وهم أكثر مَن يستحي منه، ثمّ نفسه، ثم اللهَّ تعالىٰ.

ومَن استحيا من الناس ولم يستحِ من نفسه، فنفسه عنده أخسُّ من غيره، ومن استحيا منهما ولم يستحِ من اللهَّ، فلعدم معرفته بالله تعالىٰ، فإن الإنسانَ يستحي ممن يُعظِّمه ويعلم أنّه يَراه أو يَسمع نجواه فيبكته، ومَن لا يعرف الله فكيف يستعظمه، وكيف يعلم أنّه مطلع عليه».

والواجب علىٰ العاقل أن يُعوِّدَ نفسَه لزوم الحياء من النَّاس، وإن من أعظم بركته تعويد النفس ركوب الخصال المحمودة، ومجانبتها الخلال المذمومة، كما أن من أعظم بركة الحياء من الله الفوز من النار بلزوم الحياء عند مجانبة ما نهىٰ الله عنه؛ لأن ابن آدم مطبوع علىٰ الكرم واللؤم معاً في المعاملة بينه وبين الله، والعشرة بينه وبين المخلوقين، وإذا قوىٰ حياؤه قوىٰ كرمه وضعف لؤمه، وإذا ضعف حياؤه قوىٰ لؤمه وضعف كرمه.

وإن المرء إذا اشتد حياؤه صان عرضه، ودفن مساويه، ونشر محاسنه، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره، ومن ذهب سروره هان علىٰ الناس ومقت، ومن مقت أوذي، ومن أوذي حزن، ومن حزن فقد عقله، ومن أصيب في عقله كان أكثر قوله عليه لا له، ولا دواء لمن لا حياء له، ولا حياء لمن لا وفاء له، ولا وفاء لمن لا إخاء له، ومن قل حياؤه صنع ما شاء، وقال: ما أحب[1].

---

(١) ينظر: روضة العقلاء ١: ٥٦ـ ٥٩.

المطلب الرّابع: الكلام المستحسن:

ويندرج فيما يكون فيه دعوةٌ للخير وإشاعةٌ للمعروف، فيُحسن لغيره كما يحبُ أن يحسن له غيرُه، فعن ابن عمرو ﷺ، قال ﷺ: «وَلْيأْتِ إلى الناس الذي يُحِبُّ أنْ يُؤتَى إليه»[١]، ولا يَسعى إلى إذاء أحد بقول، فعن جابر ﷺ، قال ﷺ: «المسلم مَن سَلِم المسلمون من لسانه ويده»[٢].

ومن صوره:

أولاً: التّحبب للآخرين:

فعلى المسلم أن يبذل جهده بانتقاء أحسن الكلام الذي يزيد من المحبة بين المسلمين، فعن أبي هريرة ﷺ، قال ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا»[٣].

ويظهر لغيره محبَّته له لما رأى فيه صفات طيبة، فعن المقدام بن معد يَكرب ﷺ، قال ﷺ: «إذا أَحَبَّ الرَّجُلُ أخاهُ، فَلْيُخْبِرْه أَنَّهُ يُحِبُّهُ»[٤]، وعن أَنسٍ ﷺ أَنَّ رجلاً كان عند النَّبِيِّ ﷺ، فمرَّ به، فقال: يا رسول الله إِنِّي لأُحِبُّ هذا، فقال له النبيُّ ﷺ: أَأَعْلمتَهُ ؟ قال: لا، قال: أَعْلِمْهُ، فَلَحِقَهُ، فقال: إِنِّي أُحِبُّكَ

---

(١) أخرجه مسلم رقم ١٨٤٤.

(٢) أخرجه البخاري رقم ١٠، ومسلم رقم ٤١.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٥٤.

(٤) أخرجه أحمد ٤/ ١٣٠ والبخاري في الأدب المفرد رقم ٥٤٢ وأبو داود رقم ٥١٢٤ وابن حبان رقم ٥٧٠.

في الله، فقال: أَحَبَّكَ الذي أَحْبَبْتَنِي له»(١).

ثانياً: إفشاء السَّلام وإلقاء التّحية:

فعلى المسلم أن يكثر من إلقاء السلام، فعن ابن عمرو رضي الله عنهما: «سئل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام، على من عرفت ومن لم تعرف»(٢).

وإشاعة السلام بين المسلمين إشاعة للمحبة وإزالة للأحقاد والحسد وتوطين للألفة وكسر للنفوس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَلا أَدُلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»(٣).

وهذا ما أكده القرآن بالإحسان في رد السلام بأحسن صورة، قال تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} [النساء:٨٦].

ثالثاً: الكلام الطيب:

فعلى المسلم أن يختار من الكلام أطيبه في كل معاملاته لما له من الأثر الحسن على العلاقة بين المسلمين، فيكون بذلك ساعياً للخير بينهم، فيتجنب الكلام المسيء تصريحاً أو تلميحاً، فقال تعالى: {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ

---

(١) أخرجه أبو داود رقم ٥١٢٥ وابن حبان رقم ٥٧١.

(٢) أخرجه البخاري رقم ١٢ ومسلم رقم ٣٩.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٥٤، ونحوه أبو داود رقم ٥١٩٣.

أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُواً مُّبِيناً} [الإسراء: ٥٣].

فالأمر بالقول الحسن كرره القرآن غير مرة؛ لأهميته وأثره على الحياة بين المسلمين، قال تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة: ٨٣].

والكلام الطيب هو سبيل المسلم في دعوته للآخرين ولو كانوا غير مسلمين، كما أخبر الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: {فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: ٤٤].

وكلٌّ يدخل السرور على المسلمين بالحقّ، وينشر المعروف بينهم يكون صاحبه مأجوراً عليه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «الكلمة الطيبة صدقة»[١].

ويندرج تحته شكر الآخرين على معروفهم والدعاء لهم، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه، قال ﷺ: «مَن صُنِع إليه معروفٌ فقال لفاعله: جزاك الله خيراً؛ فقد أبلغ في الثناء»[٢].

رابعاً: الدّعاء للمسلمين بظهر الغيب:

له أثر بالغ في بناء المجتمع على المحبة والمعروف ونزع الغلّ من

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٢٨٢٧ ومسلم رقم ١٠٠٩، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي رقم ٢٠٣٥ والنسائي رقم ١٠٠٠٨ وابن حبان رقم ٣٤١٣ عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

الصّدور، وهذا ما وصف الله تعالىٰ به عباده الصالحين، فقال تعالىٰ: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ للذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحشر:٩-١٠].

وأثنىٰ النبي ﷺ علىٰ هذا السلوك الإيماني بأنه صاحبه مأجورٌ، وله كلّ الخير الذي تمناه لأخيه المسلم، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال ﷺ: «ما من مسلم يدعو لأخيه بظَهْر الغَيْب إلا قال الملك: ولك بمثل»(١).

خامساً: السّتر على المسلم:

معلومٌ أن الخطأ ملازم للبشر، فالعصمة للأنبياء عليهم السلام، وهذا يقتضي منا أن نستر علىٰ عيوب بعضنا ولا نفضحها؛ لأنه لكلِّ واحدٍ منا عيوبه، وهذا ما أمر به نبينا ﷺ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما: «ومَن ستر مُسْلِماً سَتَرهُ الله يوم القيامة»(٢)، ووعد ﷺ فاعله بخير من فعله وهو الستر عليه في الدينا والآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ : «من ستر مسلماً ستره الله تعالىٰ في الدنيا والآخرة »(٣).

وهذا الأمر بالستر ليس خاصّاً بالصَّغائر من الذنوب والأخطاء، بل بأعظم الكبائر والحدود، حتىٰ أمر النبي ﷺ بالسَّتر علىٰ الزَّاني بأنفسنا، فقال

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٧٣٢.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٢٣١٠ ومسلم رقم ٢٥٨٠.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٦٩٩.

ﷺ لهَزَّال الذي أتى بماعِز: «لو سترته بثوبك كان خيراً لك»[1].

سادساً: مواساة المسلم في مرضه ومصيبته:

أمرنا الشرع الحكيم بعيادة المريض؛ لما فيه من المواساة والتخفيف عن الآخرين، وهذا ما كان يفعله خير البرية ﷺ، فعن سعدِ بن أَبي وَقَّاصٍ ﷺ، قال : عَادَني رسول الله ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ اشْفِ سعْداً، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْداً، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعداً»[2].

سابعاً: تشميته إذا عطس:

ومما يساعد في نشر المعروف والخير كثرة التلطف بينهم والتراحم، فيدعو أحدهم لغيره إن عطس بالرحمة، فعن أبي هريرة ﷺ، قال ﷺ : «إذا عَطَسَ أحدُكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له : يرحمك الله؛ فليقل : يهديكم الله ويُصلحُ بالكم »[3].

ثامناً: النّصيحة للمسلمين:

التناصح بين المسلمين بكلِّ ما هو خير؛ لدفع الأضرار والشرور، ينبع من قلب مليئ بالرحمة للمسلمين، وهذا من أبرز صفات المسلم الحسنة، فلا يحب لغير إلا كلّ خير، ويَسعى لتحقيقه له بالنصيحة الصادقة؛ لذلك عبر

---

(١) أخرجه أحمد رقم ٢١٩٤٠ وأبو داود رقم ٤٣٧٧ والنسائي رقم ٧٢٧٦ والحاكم رقم ٨٠٨٠.

(٢) أخرجه مسلم رقم ١٦٢٨.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٥٨٧٠.

النبي ﷺ عن الدين بالنّصيحة؛ لأنّه الدين يحمل كل معانٍ الخير، وهذا ما يكون بالنصيحة، قال ﷺ: «الدين النصيحة، قلنا: لمن ؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»(١)، فكانت مقدمةً لوجه تعالى، ولما جاء به كتابه ورسوله ﷺ، وفيها الخير لأئمة المسلمين وعوامهم.

وللعارف زروق كتاب خصه بتفسير هذا الحديث، فقال في تفسيره(٢): «فالنصيحة لله، باتباع أمره، ونصرة دينه، والتسليم له في حكمه.

والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته، وإكرام قرابته والشفقة على أمته.

والنصيحة لكتابه، بتدبر آياته، واتباع مأموراته، وتحسين تلاوته.

والنصيحة لعامة المسلمين، بالذب عن أعراضهم، وإقامة حرمتهم والنصرة لهم في جميع أحوالهم، جلبا ودفعا.

والنصيحة لخاصتهم، بالطاعة للأمراء، إلا في محرم مجمع عليه، والتصديق للعلماء إلا فيما لا يهدي العلم إليه، وللفقراء بالتسليم فيما لا إنكار يجب عليه».

ولأهمية النَّصيحة في سلوك المسلمين؛ للحفاظ على المجتمع من الانحراف، كانت مما يُبايع عليه النبي ﷺ، كما يُبايع على الفرائض، فعن جرير

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٥٥ عن تميم الداري رضي الله عنه، وأخرجه البخاري تعليقاً قبل حديث ٥٧.

(٢) النصيحة الكافية بمن خصه الله بالعافية ص١.

بن عبد الله ﷺ قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»(١).

وكان من الحقوق للمسلم على المسلم، لا سيما إن طلب من النصيحة، فيحرم عليك غشه وخيانته، فعن أبي هريرة ﷺ، قال ﷺ: «وإذا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ له»(٢).

والنصيحة تقوي بناء المجتمع، وتزيد من الخير فيه، وتحفظ الدين، وتنمي العلاقات الحسنة بين المسلمين؛ لأنه تظهر حرص كلّ منهما على مصلحة الآخر، والحرص على الآخر من صفات النبوة، فعلينا الاتصاف بها، قال تعالى وصف نبيه ﷺ : {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}[التوبة:١٢٨].

تاسعاً: الكلام المباح في الحاجات:

فلا غنى للناس عن الكلام في التخاطب والعقود والفسوخ من التصرفات الحياتية، فهو مندرج في المباحات والمستحبات إن اعتنى به قائله ولم يجاوز حدود الشرع والأدب فيه.

ومن أمثلته قوله لغيره: بعت واشتريت ووهبت وأعرت وتزوجت أو تعال وخذ واجلس واقعد وقم وغيرها، فعن أبي شريح الكعبي ﷺ قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٧ ومسلم رقم ٥٦.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢١٦٢.

(٣) في الموطأ ٢: ٩٢٩، وصحيح البخاري ٥: ٢٢٤٠.

المطلب الخامس: التّعلُّم والتّعليم:

إن فضلَ العلم عظيم، ومنزلَته عالية رفيعة، كما بيَّنَ ربُّنا جَلَّ جَلالُهُ ودلَّ عليه كلام رسولنا ﷺ وبه شهد الصحابة والتابعون لهم إلى يوم الدين رضوان الله عليهم أَجمعين، وإليه أَرشد العقلُ السليم.

وقد أخبر النبي ﷺ أنه لا خير في الدنيا ولكلّ ما فيها، واستثنى من ذلك ذكر الله تعالى، والتعليم والتعليم، فهو من الخير العظيم في هذه الدنيا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالم أو متعلم»[1]؛ لما له من الأثر الطيب على صاحبه، وعلى غيره، وعلى مجتمعه، وبه يتحقَّقُ للإنسان حمل الأمانة التي وُكِّلَ بها، قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً} [الأحزاب:٧٢].

والكلامُ فيها متشعبٌ وطويلٌ، ونقتصرُ فيه على أَمرين متعلقةٌ بموضوعنا، وهما: أساليب التعليم، وطرق التعلم، وكلّ منهما لا بد لهما من اللسان.

أولاً: أساليب النبي ﷺ في التعليم:

إن أساليب التعليم وطرقه متعددة، وحقيقٌ على كلِّ مَن يُعلم أن يتعلمها ويتعرفها، ويصعب تفصيل الكلام فيها هاهنا، فنقتصر منها على أساليب

---

(١) في سنن الترمذي٤: ٥٦١، وحسنه، وسنن ابن ماجة٢: ١٣٧٧.

النبي ﷺ في التعليم على ما ذكر الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مع الإيجاز والاختصار، وفي معرفتها غنية كبيرة.

فقد كان رسول الله ﷺ من الرأفة والرحمة، وترك العَنَت وحُبّ اليُسر، والرِّفق بالمتعلم، والحِرص عيه، وبَذْل العلم والخير له في كلِّ وقتٍ ومناسبة بالمكان الأسمى والخُلُق الأعلى، قال تعالى: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}[التوبة:١٢٨][١].

فعن الحسن بن علي، قال: سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافاً عن حلية النبي ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي شيئاً منها أتعلق به، قال:«...كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان ـ أي دائم الاهتمام والتفكير ـ، طويل الفكرة، ليس له راحة، لا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتح كلامه ويختمه بأشداقه، يتكلم بجوامع الكلم، كلامُه فصل ـ أي بين تمام البيان ـ، لا فُضُول ولا تقصير ـ أي لا إفراط ولا تفريط ـ، دمث ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت ـ أي صغرت وقلَّت ـ ، لا يذمُّ منها شيئاً لا يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا، وما كان لها وإذا تعوطي الحق، لم يعرفه أحدٌ ولم يقم لغضبه شيءٌ حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفِّه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدَّث اتصل بها فضرب براحَتِه اليُمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غَضِبَ أعرض وأشاح، وإذا فَرِحَ غَضَّ طرفَه جل ضحكه التبسم، ويَفْتَرُّ عن مثل حَبِّ الغُمام»[٢].

---

(١) ينظر: الرسول المعلم ص٢٥.

(٢) في شعب الإيمان٣: ٢٤، والمعجم الكبير٢٢: ١٥٥.

ومن أساليبه في التّعليم ﷺ:

١ .تعليمه ﷺ بالّسيرة الحسنة والخلق العظيم:

وكان من أهم وأعظم وأبرز أساليبه ﷺ في التعليم العمل والتخلق بالسيرة الحسنة والخلق العظيم، فكان ﷺ إذا امر بشيء عمل به أولاً، ثم تأسىٰ به الناس، وعملوا كما رأوه، وكان خلقه القرآ، فكان علىٰ الخلق العظيم، وجعله الله تعالىٰ أسوة حسنة لعباده[1]، فقال تعالىٰ: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا} .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مر ﷺ بغلام يسلخ شاة، فقال له رسول الله ﷺ: «تنح، حتىٰ أريك، فأدخل رسول الله ﷺ يده بين الجلد واللحم، فدحس بها، حتىٰ توارت إلىٰ الإبط وقال: يا غلام هكذا فاسلخ»[2].

٢ .تعليمه ﷺ الشّرائع بالتدريج:

كان صلىٰ يراعي التدريج في التعليم، فكان يقدم الأهم فالأهم، ويعلم شيئاً فشيئاً نجماً نجماً؛ ليكون أقرب تناولاً، وأثبت علىٰ الفؤاد حفظاً وفهماً[3]، معاذا رضي الله عنه إلىٰ اليمن، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: «لأن النبي ﷺ بعث معاذاً رضي الله عنه إلىٰ اليمن، فقال: «ادعهم إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم

---

(١) ينظر: الرسول المعلم ص٦٤.

(٢) في سنن ابن ماجة ٢: ١٠٦١، وسنن أبي داود١: ٤٧.

(٣) ينظر: الرسول المعلم ص٧٧.

وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»[1].

٣. رعايته ﷺ في التعليم الاعتدال والبعد عن الإملال:

كان ﷺ يتعهّد أوقات أصحابه وأحالهم في تذكيرهم وتعليمهم؛ لئلا يَمَلُّوا، وكان يراعي في ذلك القصد والاعتدال، فعن شقيق، قال: «كنا جلوسا عند باب ابن مسعود ننتظره، فمرّ بنا يزيد بن معاوية النخعي، فقلنا: أعلمه بمكاننا، فدخل عليه، فلم يلبث أن خرج علينا ابن مسعود، فقال: إني أخبر بمكانكم، فما يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أملكم، إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة في الأيام، مخافة السآمة علينا»[2].

٤. رعايته ﷺ الفروق الفردية في المتعلمين:

كان ﷺ شديد المراعاة للفروق الفردية بين المتعلمين من المخاطبين والسائلين، فكان يخاطبُ كلّ واحد بقدر فهمه وبما يُلائم منزلته، وكان يحافظ على قلوم المبتدئين، فكان لا يعلمهم ما يُعلم المنتهين، وكان يجيب كلّ سائل عن سؤاله بما يهُمُّه ويُناسب حاله[3].

فعن ابن عمرو ﵁، قال: «كنا عند النبي ﷺ، فجاء شاب فقال: يا رسول الله، أقبل وأنا صائم؟ قال: لا، فجاء شيخ فقال: أقبل وأنا صائم؟

---

(١) في صحيح البخاري١: ١٠٤.

(٢) في صحيح البخاري٨: ٧٨، وصحيح مسلم٤: ٢١٢٧.

(٣) ينظر: الرسول المعلم ص٨١.

قال: نعم، قال: فنظر بعضنا إلى بعض، فقال رسول الله ﷺ: قد علمت لم نظر بعضكم إلى بعض، إن الشيخ يملك نفسه»(١).

٥. تعليمه ﷺ بالحوار والمساءلة:

كان من أبرز أساليبه ﷺ التعليم الحوار والمساءلة؛ لإثارة انتباه السامعين وتشويق نفوسهم إلى الجواب، وحَضِّهم على إعمال الفِكر للجواب؛ ليكون جواب النبي ﷺ إذا لم يستطيعوا الإجابة أقرب إلى الفهم وأوقع في النفس.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً، ما تقول: ذلك يبقي من درنه، قالوا: لا يبقي من درنه شيئاً، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله به الخطايا»(٢).

٦. تعليمه ﷺ بالمحادثة والموازنة العقلية:

ومن أساليبه ﷺ في التعليم أنه كان يسلك في بعض الأحيان سبيل المحاكمة العقلية على طريقة السؤال والاستجواب؛ لقلع الباطل من نفس مستحسنة، أو لترسيخ الحق في قلب مُستبعِدِه أو مستغربه.

فعن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: «خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمر على النساء، فقال: يا معشر النساء تصدقن، فإني أريتكن أكثر

---

(١) في مسند أحمد١١: ٣٥١، وفي سنده ابن لهيعة، وهو حسن الحديث، كما في الرسول المعلم ص٨٥.

(٢) في صحيح البخاري١: ١١٢، وصحيح مسلم١: ٤٦٢.

أهل النار، فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل، قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم» قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان دينها»(١).

٧. سؤاله ﷺ أصحابه ليكشف ذكاءهم ومعرفتهم:

وتارة كان ﷺ يسألُ أصحابه عن الشيء، وهو يعلمُه، وإنما يسألهم ليثير فطنَتَهم، ويحرِّك ذكاءهم، ويسقيهم العلمَ في قالب المُحاجاة ليختبر ما عندهم من العلم.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال ﷺ: «مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء، لا يسقط ورقها ولا يتحات، فقال القوم: هي شجرة كذا، هي شجرة كذا، فأردت أن أقول: هي النخلة، وأنا غلام شاب فاستحييت، فقال: هي النخلة»(٢).

٨. تعليمه ﷺ بالمقايسة والتمثيل:

وتارةٌ كان ﷺ يُقايسُ لأصحابه الأحكام ويُعلِّلُها لهم، وإذا اشتبهت علهيم مسالِكها، وغَمُضَ عليهم حُكمُها، فيتّضح لهم ما اشتبه أمره، وخفي فهمُه، ويكون لهم من تلك المقايَسة معرفةٌ بمسالِك الشريعة ومقاصدها، وفقهٌ بمراميها البعيدة:

---

(١) في صحيح البخاري١: ٦٨.

(٢) في صحيح البخاري٨: ٢٩.

فعن ابن عباس ﭬ: «أن امرأة من جهينة، جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضية؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء»(١).

٩. تعليمُه ﷺ بالتشبيه وضَرب الأمثال:

كان ﷺ في كثير من الأحيان يستعين على توضيح المعاني التي بيانها بضَرب المثل، مما يشهدُه الناسُ بأبصارهم، ويتذوَّقونَه بألسنتهم، ويقع تحت حواسِّهم، وفي مُتناول أيديهم، وفي هذه الطريقة تيسيرٌ للفهم على المتعلِّم، واستيفاءٌ تامٌّ سريعٌ لإيضاح ما يعلِّمُه أو يحذِّرُ منه.

وقد تقرر عند علماء البلاغة أن لضرب الأمثال شأناً عظيماً، في إبراز خَفيَّات المعاني ورفع أستار محجبات الدقائق، وقد أكثر الله سبحانه من ضرب الأمثال في كتابه العزيز، واقتدى النبي ﷺ في ذلك بالكتب العزيز، فكان يكثر من ذكر الأمثال في مخاطباته ومواعظه وكلامه.

فعن أبي موسى ﭬ، قال ﷺ: «إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى، والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه

---

(١) في صحيح البخاري ٣: ١٨.

بما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدىٰ الله الذي أرسلت به»[1].

١٠. تعليمه ﷺ بالرسم على الأرض والتراب:

وتارة كان ﷺ يستعين علىٰ توضيح بعض المعاني بالرسم علىٰ الأرض والتراب.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه: : «خطّ النبي ﷺ خطاً مربعاً، وخَطَّ خطاً في الوسط خارجاً منه، وخطّ خططاً صغاراً إلىٰ هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا»[2].

١١. جمعه ﷺ بين القول والإشارة في التعليم:

وتارة كان ﷺ يجمعُ في تعليمه بين البيان بالعبارة، والإشارة باليدين الكريمتين، توضيحاً للمرام، وتنبيهاً علىٰ أهمية ما يذكره للسامعين أو يعلِّمهم إياه.

فعن أبي موسىٰ رضي الله عنه، قال ﷺ: «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك أصابعه»[3].

---

(١) في صحيح مسلم ٤: ١٧٨٧.

(٢) في صحيح البخاري ٨: ٨٩.

(٣) في صحيح البخاري ١: ١٠٣.

١٢. تعليمه ﷺ برفع المنهي عنه بيده تأكيداً لحرمته:

وتارةً كان ﷺ يحمل بيده الشَّيء الذي ينهىٰ عنه، ويرفعه إلىٰ أنظار المخاطبين، فيجمع لهم بين النَّهي عن الشَّيء بالقول والمشاهدة للمنهي عنه بالعَين، فيكون ذلك أوعىٰ للنفوس، وأوضح في الدلالة علىٰ التحريم والمنع.

فعن علي رضي الله عنه: «أخذ رسول الله ﷺ ذهباً بيمينه وحريراً بشماله قال: هذا حرام علىٰ ذكور أمتي»[1].

١٣. ابتداؤه ﷺ أصحابه بالإفادة دون سؤال منهم:

وكان ﷺ في كثير من الأحيان يبتدئ أصحابه بالإفادة من غير سؤال منهم، لا سيما في الأمور المهمة التي لا ينتبه لها كلّ واحدٍ حتىٰ يسأل عنها، فكان ﷺ يعلّم أصحابه جوابَ الشبهة قبل حدوثها، خشية أن تقع في النفس فتستقرّ بها، وتفعل فعلها السيء.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتىٰ يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك، فليستعذ بالله ولينته»[2].

١٤. إجابته ﷺ السائل عما سأل عنه:

وكان ﷺ يجيب السَّائل عن سؤاله، وقد علَّمهم كثيراً من الشرائع

---

(١) في سنن النسائي الكبرىٰ ٨: ٣٥٨، وسنن ابن ماجة ٢: ١١٨٩، ومسند أحمد ٢: ١٤٦.

(٢) في صحيح مسلم ١: ١٢٠.

والأحكام ومَعالِم الدين بالإجابة علىٰ أسئلة أصحابه، وقد حضَّ أصحابه علىٰ السؤال عما يهمُّهم من الحوادث والنوائب أو مما يحتاجون إلىٰ معرفته من الفرائض والشرائع.

فعن جابر ﷺ، قال ﷺ: «إنما شفاء العي السؤال»[1].

١٥. جوابه ﷺ السّائل بأكثر مما سأل عنه:

وتارة كان ﷺ يجيب السائل بأكثر مما سأل، إذا رأىٰ أنّ به حاجةً إلىٰ معرفة الزائد عن سؤاله، وهذا من كمال رأفته ﷺ، ومن عظيم رعايته بالمتعلِّمين والمتفقهين[2].

فعن أبي هريرة ﷺ: «جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ من ماء البحر؟ فقال ﷺ: هو الطهور ماؤه، الحل ميتته»[3].

١٦. لفتُه ﷺ السائل إلى غير ما سأَل عنه:

وتارة كان ﷺ يلفت السائل عن سؤالِه لحكمةٍ بالغة[4].

فعن أنس ﷺ: «أن رجلا سأل النبي ﷺ: متىٰ الساعة يا رسول الله؟

---

(١) في سنن أبي داود ١: ٩٣، وسنن النسائي الكبرىٰ ٦: ٢٣٤.

(٢) ينظر: الرسول المعلم ص١٤٣.

(٣) في الموطأ ٢: ٢٩.

(٤) ينظر: الرسول المعلم ص١٤٥.

قال: ما أعددت لها، قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: أنت مع من أحببت»[١].

١٧ .استعادته ﷺ السؤال من السائل لإيفاء بيان الحكم:

وتارة كان ﷺ يستعيد السائل سؤاله ـ وقد أحاط بسؤاله علماً ـ ليزيده علماً أو ليستدرك على ما أجابه به، أو ليوضحه له[٢].

فعن أبي قتادة رضي الله عنه: «أنه قام ﷺ فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله، تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ: نعم، إن قتلت في سبيل الله، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، ثم قال رسول الله ﷺ: كيف قلت؟ قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك»[٣].

١٨ .تفويضه ﷺ الصحابي بالجواب عما سئل عنه ليدرِّبه:

وكان ﷺ يفوِّض أحد أصحابه الجواب عن السؤال الذي رفع غليه ليدرِّبه في أمور العلم[٤].

---

(١) في صحيح البخاري٨: ٤٠.

(٢) ينظر: الرسول المعلم ص١٤٩.

(٣) في صحيح مسلم٣: ١٥٠١.

(٤) ينظر: الرسول المعلم ص١٥٠.

فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: «جاء رسول الله ﷺ خصمان يختصمان، فقال لعمرو: اقض بينهما يا عمرو، فقال: أنت أولى بذلك مني يا رسول الله، قال: وإن كان، قال: فإذا قضيت بينهما فما لي؟ قال: إن أنت قضيت بينهما فأصبت القضاء، فلك عشر حسنات، وإن أنت اجتهدت وأخطأت، فلك حسنة»[1].

١٩ .امتحانه ﷺ العالم بشيء من العلم ليقابله بالثناء عليه إذا أصاب:

وتارة كان ﷺ يمتحن بعضَ أصحابه، فيسأله عن شيءٍ من العلم ليكشف ذكاءه ومعرفته، فإذا هو أصاب في جوابه مدحه وأثنى عليه وضرَب في صدرِه إشعاراً باستحقاقه حبَّ رسول الله وتقديراً منه ﷺ لحسنِ إجابته[2].

فعن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: {الله لا إله إلا هو الحي القيوم} [البقرة: ٢٥٥]. قال: فضرب في صدري، وقال: والله ليهنك العلم أبا المنذر»[3].

---

(١) في مسند أحمد٢٩: ٣٥٧، قال الهيثمي في مجمع الزوائد٤: ١٩٥: رجاله رجال الصحيح.

(٢) ينظر: الرسول المعلم ص١٥٤.

(٣) في صحيح مسلم١: ٥٥٦.

٢٠.تعليمه ﷺ بالسكوت والإقرار على ما حدث أمامه:

هذا أحدُ أقسام السنة، ويُعبِّر عنه الأصوليون والمحدثون بالتقرير، فما حدث أمام النبي ﷺ من مسلم قولاً أو فعلاً، وأقرَّه ﷺ بالسكوت عليه أو إظهار الرضا به، فهو بيانٌ منه ﷺ لإباحة ذلك بالقول أو الفعل، وكثيرٌ من الأمور العلمية أخذ من النبي ﷺ بهذا الطريق(١).

فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت إني سمعت الله يقول: {ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما} [النساء: ٢٩] فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً»(٢).

٢١.انتهازه ﷺ المناسبات العارضة في التعليم:

وكان ﷺ كثيراً ما ينتهزُ المناسبة المشاكِلةَ لما يريد تعليمه، فيربط بين المناسبة القائمة، والعلم الذي يريد بثَّه وإذاعته فيكون من ذلك للمخاطبين أبينُ الوضوح وأفضل الفهم، وأقوى المعرفة ما يسمعون ويلقى إليهم.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ مَرَّ بالسوق، داخلاً من بعض العالية، والناس كنَفَتَيْه ـ أي جانبيه ـ، فمرّ بجَدْيٍ أسَكَّ ميت، فتناوله

---

(١) ينظر: الرسول المعلم ص١٥٦.

(٢) في سنن أبي داود١: ٩٢، ومسند أحمد٢٩: ٣٤٦.

فأخذ بأذنه، ثم قال: أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حياً، كان عيباً فيه؛ لأنه أَسَكّ، فكيف وهو ميتٌ؟ فقال: فوالله للدنيا أهون على الله، من هذا عليكم»[١].

٢٢. تعليمه ﷺ بالمُمازحة والمُداعبة:

وكان ﷺ يُداعب أصحابه في بعض الأحيان ويُمازحهم، ولكنه ما كان يقول إلا حقّاً، وكان يُعلِّم كثيراً من أمور العلم خلال المُداعبة والمُمازحة[٢].

فعن أنس ﷺ: «كان رسول الله ﷺ يدخل علينا ولي أخ صغير يكنى أبا عمير، وكان له نغر يلعب به، فمات، فدخل عليه النبي ﷺ ذات يوم فرآه حزيناً، فقال: ما شأنه؟ قالوا: مات نغره، فقال: يا أبا عمير ما فعل النغير؟»[٣].

٢٣. تأكيده ﷺ التعليم بالقسم:

وكان ﷺ في كثيرٍ من الأحيان، يبدأُ حديثه بالقسم بالله تعالى، تنبيهاً منه إلى أهمية ما يقولُه وتقويةً للحكم وتأكيداً له[٤].

فعن أبي هريرة ﷺ، قال ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا»[٥].

---

(١) في صحيح مسلم٤: ٢٢٧٢.

(٢) ينظر: الرسول المعلم ص١٦٣.

(٣) في صحيح البخاري٨: ٤٥، وسنن أبي داود٤: ٢٩٣، واللفظ له.

(٤) ينظر: الرسول المعلم ص١٦٥.

(٥) في صحيح مسلم١: ٧٤.

٢٤.تكراره ﷺ القول ثلاثاً لتأكيد مضمونه:

وكان ﷺ يكرِّره حديثه تأكيداً لمضمونه، وتنبيهاً للمخاطب على أهميّته، وليفهَمَه(١).

فعن أنس رضي الله عنه، قال ﷺ: «أنه كان إذا سلم سلَّم ثلاثاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً»(٢).

٢٥. إشعاره ﷺ بالأهمية بتغيير جلسته وحاله، وتكرار المقال:

وتارة كان ﷺ يُغَيِّرُ جِلسته وحالَه، مع تكرار مقاله تعبيراً عن الاهتمام والخُطُورة لما يقولُه أو يحذِّر منه(٣).

فعن أبي بكرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور، فما زال يقولها، حتى قلت: لا يسكت»(٤).

٢٦.إثارته ﷺ انتباه السامع بتكراره النداء مع تأخير الجواب:

وكان ﷺ في بعض الأحيان يكرِّر نداء المخاطب مع تأخيره الجواب؛

---

(١) ينظر: الرسول المعلم ص١٦٨.

(٢) في صحيح البخاري١: ٣٠.

(٣) ينظر: الرسول المعلم ص١٧٢.

(٤) في صحيح البخاري٨: ٤.

لتأكيد الانتباه والاهتمام بما يخبره به، وليُبالغ في تفهُّمِه وضبطِه عنه[(١)].

فعن معاذ رضي الله عنه، قال: «بينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا أخرة الرّحل، فقال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على عباده أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، فقال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق العباد على الله أن لا يعذبهم»[(٢)].

٢٧. إمساكه ﷺ بيد المخاطَب أو منكِبِه لإثارة انتباهه:

وتارة كان ﷺ يثيرُ انتباه المخاطب بأخذ يده أو منكبه ليزداد اهتمامُه، وليلقي إليه سمعه وبصره وقلبه؛ ليكون أوعى له وأذكّر[(٣)].

فعن ابن مسعود رضي الله عنه: «علمني رسول الله ﷺ، وكفي بين كفيه، التشهد، كما يعلمني السورة من القرآن: التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وهو بين ظهرانينا،

---

(١) ينظر: الرسول المعلم ص١٧٤.

(٢) في صحيح البخاري٧: ١٧٠.

(٣) ينظر: الرسول المعلم ص١٧٦.

فلما قبض قلنا: السلام ـ يعني ـ على النبي ﷺ»[١].

٢٨. إبهام ﷺ الشيء لحمل السامع على الاستكشاف عنه للترغيب فيه أو الزجر عنه:

وتارة كان ﷺ يُبهِمُ الشيء ترغيباً فيه لحمل السامع على الاستكشاف عنه، فيكون أوقعَ في نفسه وأخصَّ له على إثباته[٢].

فعن أنس رضي الله عنه، قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ قال: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته ماء من وضوئه معلق نعليه في يده الشمال، فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى، فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى، فلما قام رسول الله ﷺ اتبعه عبد الله بن عمرو بن العاصي فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاث ليال، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تحل يميني فعلت، فقال: نعم، قال أنس: فكان عبد الله بن عمرو بن العاصي يحدث أنه بات معه ليلة أو ثلاث ليال، فلم يره يقوم من الليل بشيء، غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله، وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر فيسبغ الوضوء، قال عبد الله: غير أني لا أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث ليال كدت أحتقر عمله، قلت:

---

(١) في صحيح البخاري٨: ٥٩.

(٢) ينظر: الرسول المعلم ص١٧٩.

يا عبد الله، إنه لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات في ثلاث مجالس: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلعت أنت تلك الثلاث مرات، فأردت آوي إليك فأنظر عملك، فلم أرك تعمل كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، فانصرفت عنه، فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي غلا لأحد من المسلمين، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه، قال عبد الله بن عمرو: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق»[1].

٢٩. إجمالُه ﷺ الأمر، ثم تفصيله ليكون أوضح وأمكَنَ في الحفظ والفهم:

وكان ﷺ في بعض الأحيان يجمل الأمر في حديثه لحضِّ المخاطب على السؤال، وتَشويقِه إلى الاستكشاف عنه، ثم يفصُلُه ببيان واضح، فيكون أوقع في نفس المخاطَب وأمكن في حفظه وفهمه[2].

فعن أنس رضي الله عنه، قال: «مر بجنازة فأثني عليها خيراً، فقال نبي الله ﷺ: وجبت، وجبت، وجبت، ومر بجنازة فأثني عليها شراً، فقال نبي الله ﷺ: وجبت، وجبت، وجبت، قال عمر: فدى لك أبي وأمي، مر بجنازة، فأثني عليها خير، فقلت: وجبت، وجبت، وجبت، ومر بجنازة، فأثني عليها شر،

---

(١) في سنن النسائي الكبرى ٩: ٣١٨، ومسند أحمد ٢٠: ١٢٤.

(٢) ينظر: الرسول المعلم ص١٨٥.

فقلت: وجبت، وجبت، وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض»[١].

٣٠.إجماله ﷺ للمعدودات ثم تفصيلها:

ومما يقرُبُ من الأسلوب المتقدم ما كان النَبي ﷺ يختارُه في التَّعليم، من الإجمال للمعدوات ثمّ بيانها واحداً بعدَ واحد؛ لتكون أَضبط لدىٰ السَّامع وأعون له علىٰ الحفظ والفهم[٢].

فعن عمرو بن ميمون رضي الله عنه، قال ﷺ: لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحّتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»[٣].

٣١.تعليمه ﷺ بالوعظ والتذكير:

ومن أهمّ وأبرز أساليبه ﷺ في التعليم، الوعظُ والتذكير، اقتداء بالقرآن الكريم في قوله: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِين} [الذاريات:٥٥]، وقوله: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّر} [الغاشية:٢١] ، وكثيرٌ من تعليماته ﷺ إنما أخذت منه في مواعظه وخطبه العامة[٤].

---

(١) في صحيح مسلم٢: ٦٥٥.

(٢) ينظر: الرسول المعلم ص١٨٩.

(٣) في سنن النسائي الكبرىٰ١٠: ٤٠٠، والمستدرك٤: ٣٤١، وصححه.

(٤) ينظر: الرسول المعلم ص١٩٠.

فعن عبد الرحمن بن عمرو السلمي، وحجر بن حجر الكلاعي ﵄، قالا: «أتينا العرباض بن سارية، وهو ممن نزل فيه: {وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ}[التوبة: ٩٢]، فسلمنا وقلنا: أتيناك زائرين ومقتبسين، فقال العرباض: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا مجدعا، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فتمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[1].

٣٢.تعليمه ﷺ بالتّرغيب والتّرهيب:

ومن أجلى أساليبه ﷺ في التعليم الترغيب في الخير الذي يدعو إليه، والترهيب عن الشر الذي يحذّر منه، فكان ﷺ يُرغِّب في الخير بذكر ثوابه والتنبيه على منافعه، ويرغب عن الشرّ بذكر عقابه والتنبيه على مساويه.

وكان يجمع في أحاديثه بين الترغيب حيناً والترهيب حيناً آخر، ومما ان يقتصر على الترهيب فيؤدي إلى التنفير، ولا على الترغيب فيؤدي إلى الكسل وترك العلم[2].

---

(١) في سنن أبي داود٤: ٢٠٠، وصحيح ابن حبان١: ١٧٨.

(٢) ينظر: الرسول المعلم ص١٩٣.

٣٣.تعليمه ﷺ بالقصص وأخبار الماضين:

وكثيراً ما كان ﷺ يعلم أصحابه بطريق القَصص والوقائع التي يحدِّثهم بها عن الأقوام الماضيين، فيكون لها في نفوس سامعيها أطيب الأثر، وأفضل التوجيه، وتَحظَىٰ منهم بأوفىٰ النشاط والانتباه، وتقع علىٰ القلب والسمع أطيب ما تكون؛ إذ لا يواجَه بيها المخاطب بأمر أو نهي، وإنما هو الحديث عن غيره، فتكون له منه العبرةُ والموعظة والقُدوة والائتساء، وقد سنَّ الله تعالىٰ هذا الأسلوب الكريم في تعليمه لنبيه ﷺ، فقال: {وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ} [هود: ١٢٠][١].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرىٰ، فأرصد الله له، علىٰ مدرجته، ملكاً فلما أتىٰ عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[٢].

٣٤.تمهيده ﷺ التمهيد اللطيف عند تعليم ما قد يُستحيا منه:

وكان ﷺ تارة يمهِّدُ التمهيدَ اللطيف الرقيق إذا شاء أن يعلم أصحابه ما قد يستحيا منه التصريح به[٣].

---

(١) ينظر: الرسول المعلم ص١٩٤.

(٢) في صحيح مسلم٤: ١٩٨٨.

(٣) ينظر: الرسول المعلم ص٢٠١.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده، أعلمكم، إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة، ولا تستدبروها. وأمر بثلاثة أحجار، ونهى عن الروث، والرمة ونهى أن يستطيب الرجل بيمينه»(1).

٣٥.اكتفاؤه ﷺ بالتعريض والإشارة في تعليم ما يستحيا منه:

وتارة كان ﷺ يكتفي بالتعريض والإشارة في تعليم ما يُستحيا منه(2).

فعن عائشة رضي الله عنها: «أن أسماء سألت النبي ﷺ عن غُسل المحيض؟ فقال: تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها، فتطهر فتحسن الطهور، ثم تصبّ على رأسها فتدلكه دلكاً شديداً حتى تبلغ شؤون رأسها، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها، فقالت أسماء: وكيف تطهر بها؟ فقال: سبحان الله، تطهرين بها، فقالت عائشة: كأنها تخفي ذلك تتبعين أثر الدم، وسألته عن غسل الجنابة؟ فقال: تأخذ ماء فتطهر فتحسن الطهور أو تبلغ الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شؤون رأسها، ثم تفيض عليها الماء، فقالت عائشة: نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»(3).

٣٦.اهتمامه ﷺ بتعليم النساء ووعظهن:

وكان ﷺ يهتمُّ بتعليم النساء ما يحتَجن إليه، فكان يخصُّهن ببعض

---

(١) في سنن ابن ماجة١: ١١٤، واللفظ له، وصحيح مسلم١: ٢٢٤.

(٢) ينظر: الرسول المعلم ص٢٠٥.

(٣) في صحيح مسلم١: ٢٦١.

مجالسه ومواعظه(١).

فعن ابن عباس ﵄: «أشهد على رسول الله ﷺ لصلى قبل الخطبة، قال: ثم خطب، فرأى أنه لم يسمع النساء، فأتاهن، فذكرهن، ووعظهن، وأمرهن بالصدقة، وبلال قائل بثوبه، فجعلت المرأة تلقي الخاتم، والخرص، والشيء»(٢).

٣٧.غضبُه وتعنيفُه ﷺ في التعليم إذا اقتضت الحال ذلك:

وكان ﷺ يغضب الغضب الشَّديد إذا جاوز المتعلم ببحثه وسؤاله إلى ما لا ينبغي السؤال عنه والدخول فيه(٣).

فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده ﵁، قال: «خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفقأ في وجهه، حبّ الرمان من الغضب، فقال: بهذا أمرتم، أو لهذا خلقتم، تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم، قال: فقال: عبد الله بن عمرو، ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ، ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه»(٤).

---

(١) ينظر: الرسول المعلم ص٢٠٨.

(٢) في صحيح مسلم٢: ٦٠٢.

(٣) ينظر: الرسول المعلم ص٢١٠.

(٤) في سنن ابن ماجة١: ٣٣.

٣٨.اتخاذه ﷺ الكتابةَ وسيلةً في التعليم والتبليغ ونحوهما:

ومن أساليبه ﷺ أيضاً التعليم عن طريق الكتابة، وقد كان لرسول الله ﷺ كتابٌ أكثر من خمسةَ عشرَ كاتباً، يكتبون عنه القرآن، وكُتّابٌ آخرون خصَّهم بكتابة رسائله إلى الآفاق والملوك لتبليغهم الإسلام ودعوتهم إليه، وكتّابٌ آخرون خصهم بكتابة أمور أخرى، كما ترى تفصيل كل ذلك مستوعباً في كتاب الكتاني «التراتيب الإدارية»[١].

فعن ابن عمرو رضي الله عنهم، قال: «كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق»[٢].

٣٩.أمره ﷺ بعض الصحابة بتعلّم اللغة السريانية:

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود قال: إني والله ما آمن يهود على كتاب، قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم»[٣].

---

(١) ينظر: الرسول المعلم ص٢١٢.

(٢) في سنن أبي داود٣: ٣١٩، ومسند أحمد١١: ٥٧، والمستدرك١: ١٨٧.

(٣) في سنن الترمذي٥: ٦٧، وقال: حديث حسن صحيح.

٤٠ .التّعليم بذاته الشريفة ﷺ:

لقد كان رسول الله ﷺ معلِّما اختاره الله تعالى لتعليم البشرية دين الله وشريعتَه الخاتمة والخالدة، وليس ي الدنيا أغلى على الله من دين الله تعالى، فاختار الله تعالى لنشره وتعليمه أفضل الأنبياء والرسل محمداً ﷺ.

وكان هذا المصعلم المصطفى من الله تعالى لتبليغ شريعته للناس، معلّماً بمظهره ومخبره، وحاله ومقاله، وجميع أحواله، فتكامل شخصيته الشّريفة أسلوبٌ معلّم للمتعلمين أن يكون كمثاله الشريف وهَديه المنيف.

ومن أهم صفات المعلم أن يكون في ذاته متكامل المحاسن عقلاً وفضلا، وعلماً وحمةً، ومنظراً ورواءً، ولباقةً ولياقةً، وحركة وسكنوناً، وطيب حديثٍ، وكاءَ رائحة، ونظافة ثياب، وجمال طلعةٍ، وحسن منطق وتصرف وإدارة...[1].

ثانياً: أفضل وسائل التعلم[2]:

١ .الإخلاص لله ﷻ؛ بأن يخلص لهذا العلم في الطلب والإعطاء، ويقطع رجاءه من أحد غير الله ﷻ في نفعه، قال طاشكبرى زاده [3]: «ينبغي

(١) ينظر: الرسول المعلم ص٢١٦.

(٢) فصلتُ الكلام في هذا الموضوع في كتاب «ومضان النور في طلب العلم المبرور»، وأقتصر هنا على ذكر خلاصة ذلك.

(٣) في مفتاح السعادة١: ١٨-١٩.

أن ينوي في التعلّم أن يَعملَ بعلمِه لله ﷻ واليوم الآخر، وأن يُعَلِّمَ الجاهل، ويوقظَ الغافل، ويرشدَ الغوي، ويؤيدَ مَن ليس بقوي، فإن التعلّمَ لغير الله ﷻ حرامٌ باطل، وطالب العلم لا للعمل به ضائع؛ إذ نفعه بحسن الاهتداء به في العبادة، فمَن لم يزدد بالعلم ورعاً وزهداً لم يزدد من الله ﷻ إلا مقتاً وبُعداً، وقال بعضُ العلماء الصالحين: الكلامُ إذا لم يخرج من القلب لم يصل إلى القلب».

٢. **تزكية النفس عن رذائل الأخلاق**؛ إذ العلم عبادة القلب وصلاة السرّ وقربة الباطن إلى الله ﷻ، وكما لا تصحّ الصلاة التي هي وظيفة الجوارح إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث، فكذلك لا تصحّ عبادة وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف، قال مالك: «العلم ليس بكثرة الرواية، ولكنه نور جعله الله ﷻ في القلوب»[1].

٣. **أن يكون قصد المتعلّم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة**، وفي المآل القرب من الله ﷻ والترقي إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين، ولا يقصد به الرئاسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران[2].

٤. **أن يقلّل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن**، فإن العلائق شاغلة وصارفة {مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ} [الأحزاب:

---

(١) كما في جامع بيان العلم٢: ٢٥.

(٢) ينظر: الإحياء١: ٦٦.

٤]، ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق؛ والفكرة المتوزّعة على أمور متفرّقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ الزرع[١].

٥. ترك الكسل والتشمير لنيل المعالي، وإيثار السهر في الليالي، وهذا أمر ليس بالهيّن إلا للنفوس العظام، وأكثر الناس في بحور الكسل غارقون، وعن ضفافه بعيدون، يمنون أنفسهم بالأماني الفارغة والأكاذيب المصطنعة، فأعذار وأسباب كسلهم عديدة، كالتسويف فيؤجل كلّ شيءٍ للمستقبل، فإنّ ذلك رُبّما يخرم الآمال ويمنع الأشغال، فالوثوق بالمستقبل لا ينبغي لعاقل؛ لأن كلَّ يوم آت بمشاغله فلا يؤخر شغل يومه إلى غد، والإنسانُ كلَّما كَبِرَ كثرت عوائقه[٢].

٦.العزم والثبات على التعلُّم إلى آخر العمر، كما قيل: «الطلب من المهد إلى اللحد». ومن كلام الشافعيّ رضي الله عنه: «صناعتنا هذه رقّ الأبد فمَن قَصَدَ أن يتركَها ساعة فليترك الساعة». وقال عز وجل لحبيبه صلى الله عليه وسلم: {وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه: ١١٤]، وقال جل جلاله: {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيم}[يوسف: ٧٦]. وسئل ابن المبارك رضي الله عنه: إلى متى تتعلم؟ قال: «لعلّ الكلمة التي أنتفع بها لم أسمعها بعد»[٣].

---

(١) ينظر: الإحياء١: ٦٣.

(٢)الكشف١: ٤٦،٤٣، والمفتاح١: ٢٠، والفوائد المكية ص٦.

(٣) ينظر: المفتاح١: ٢٣.

٧.استغلالُ أوقاته في العلم درساً وتدريساً ومطالعة وتأليفاً، فيصرف الأوقات إلى التحصيل: أنه إذا مَلَّ من علم اشتغل بآخر(١).

٨.برمجة أوقاته اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية في طلب العلم؛ فعلى حسب حاجته للعلوم والمعارف الحياتية له.

٩.الاهتمام بالعلم والحرص عليه والحبّ له، فينبغي للطالب أن يكون مُهتماً كلَّ الاهتمام بالعلم، ومُعتنياً تمام العناية به، فبقدر اهتمامه وعنايته بالعلم يبلغ به إلى أرقى الدرجات وأعلاها، وقد سُئِلَ أحدُ العلماء أو الحكماء ما السبب الذي يُنال به العلم، قال: «بالحرص عليه يُتَّبع، وبالحبّ له يُستمع، وبالفراغ له يَجتمع»(٢).

١٠.الجدُّ والهمّة، فإن الإنسان يطير بهما إلى شواهق الكمالات، وأن لا يؤخر شغلَ يوم إلى غد، فإن لكلِّ يوم مشاغل(٣).

١١.اختيار معلّم ناصح، نقي الحسب، كريم العرق، لا يلابس الدنيا بحيث تشغله عن دينه، وإن اقتضى الأمر أن يسافرَ في طلب هذا الأستاذ إلى أقصى البلاد، قال محمد بن سلمة ﷺ: «أول ما يُذكر من المرء أستاذه فإن كان جليلاً جَلَّ قدره»(٤).

---

(١) ينظر: المفتاح١: ٢٣، والكشف١: ٤٦.

(٢) ينظر: جامع بيان العلم١: ١٠٢.

(٣) ينظر: الكشف١: ٤٨.

(٤) ينظر: المفتاح١: ٢٤.

١٢. **تسليمُ أمره وتفويضه لأستاذه في بيان طريق العلم**؛ فإذا وُجِدَ ما وصفناه، فعليه أن يلقي إليه زمام أمره في تفصيل طريق التعليم، ويذعن لنصحه إذعان المريض للطبيب، ولا يستبدّ لنفسه اتكالاً على ذهنه، ولا يتكبّرَ عليه وعلى العلم ولا يستنكف، قال الأصعمي: «مَن لم يحتمل ذلّ التعلّم ساعة بقي في ذلّ الجهل أبداً»[1]. [2]

١٣. **الإصغاء إلى كلام الأستاذ بالتدبّر، والتغافل عن أقوال الشركاء إلا عند الحاجة، وإذا تكلم يوجز، وإذا تمَّت الحاجة يسكت**، فهذا هو الطالب الذكي، بخلاف الحمقاء من الطلبة؛ إذ ينقسمون إلى سكيت، وهو أهون على الأستاذ، وإلى مكثار يتكلّم مع الأستاذ، ويجاوب الشركاء، ويعترض على كلامهم قبل فهم مرادهم، ويتكلّم بالظاهر البيّن، وقد يتكلم بكلام إذا استفسرته عن مراده به يتحير ولا يدري ما يقول، فمثل ذلك الطالب يغضب المعلم الحليم، ويهلك المعلم الغضوب، ويطفئ حدّة أذهان شركائه، فعلى الأستاذ أن يسكته فإن لم يسكت يطرده عن مجلس الدرس، وإنما يريد الحمقاء بذلك إظهار الذكاء[3].

١٤. **أن يتعلّم من كلّ صغير وكبير، وغنيّ وفقير**، ولا يستنكف من اقتباس الخير ممّن هو أدنى منه حالاً، فإن الحكمةَ ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها وقيّدها، فالعلمُ سبب النجاة عن سبع الجهل، ومَن يطلب مهرباً من

(١) في المدخل إلى السنن الكبرى١: ٣٠٧.

(٢) ينظر: المفتاح١: ٢٤، والكشف١: ٤٧.

(٣) ينظر: الترتيب ص٢٠١.

سَبُع يفترسه لا يفرق بين أن يرشدَه إلى المهرب شريفٌ أو خامل، فكذا ينبغي للطالب الهارب عن سَبُع الجهل أن لا يُفَرِّق بينهما[١]، فعن أبي هريرة ﵁ قال ﷺ: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحقّ بها»[٢].

١٥. **عدم قطع مجالس العلم والتفريق الطويل بينهما**، فينبغي لطالب العلم من أولويات، وأولها مجالسة العلماء والحرص على دروسهم، فلا ينبغي أن يقطعها لأي سبب؛ لأنه إن فعل ذلك ضاع عنه خير ذلك المجلس، وانقطع من قلبه حرمة القطع، فلا يأمن في لحظةٍ من تركِه واعتزاله بالاستسلام لنفسه، وهذا من أخطر ما يحرم الطالب من الاستمرار في الإفادة.

١٦. **الاعتماد على التلقين والإكثار من المشايخ**؛ فإن بكثرة المشايخ تتنوع الطرق والأساليب والفوائد والشوارد لدى الطالب، قال ابن خلدون[٣]: «إنّ الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، والسبب في ذلك أن البشرَ يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلَّون به من المذاهب والفضائل: تارة علماً وتعليماً وإلقاءً، وتارة محاكاةً وتلقيناً بالمباشرة».

١٧. **أن يبتعدَ في بداية دراسته من الاطلاع على اختلاف الأقوال والآراء في المسائل**؛ لا سيما في العلوم الفقهية بأن يدرس أكثر من مذهب مرّة واحدة،

---

(١) ينظر: شرح شرعة الإسلام ص٤٥.

(٢) في سنن الترمذي٥: ٥١، وسنن ابن ماجة ٢: ١٣٩٥.

(٣) في مقدمته ص٣٩٩.

فإنه يشتت الذهن ويبعثر الخاطر، ويربك الطالب، ويضعف التقوى بتناقض الأقوال؛ لا سيما ممّن يرجّح ويجتهد بين آراء المجتهد رغم أنه لا يفهم عباراتهم، ولا يدرك مراميهم، ولم يدرس ولم يتعلّم على طرقهم وأساتذتهم فيرجِّح من غير مرجِّح، ويجتهد في غير محلّ الاجتهاد، فالويل كل الويل لمَن كان حاله هكذا.

١٨ .التدرج في قراءة العلم من الابتداء إلى التوسّط إلى الانتهاء وهكذا، فكما لا يجوز عرض اختلاف المذهب للمبتدئين حتى يضبطوا العلوم ويتمكنوا من أصولها وضوابطها، فينبغي أيضاً التدرج معهم في مسائل كلّ علم، فينتقل معهم من مرحلة إلى أخرى على حسب ما يقتضيه الحال[1].

١٩ .أن العلومَ الآلية لا توسع فيها الأنظار؛ وذلك لأن العلومَ المتداولة على صنفين: علومٌ مقصودة بالذات: كالشرعيات والحكميات. وعلومٌ هي آلة ووسيلة لهذه العلوم كالعربية والمنطق.وأمّا المقاصد: فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفريع المسائل واستكشاف الأدلة، فإن ذلك يزيد طالبها تَمَكّناً في ملكته.[2].

٢٠ .ضبط ما قرأه مستوعباً لمسائله من مبادئه إلى نهايته بتفهّم واستثبات بالحجج، وأن يقصدَ فيه الكتب الجيدة[3]، ففي كلِّ علم يوجد كتب معتمدةٌ

---

(١) ينظر: ترتيب العلوم ص١٩٧.

(٢) ينظر: الكشف ١: ٥٠.

(٣) ينظر: الكشف ١: ٤٨.

وغيرُ معتمدة، فلا بُدّ في بدايةِ أَمره من قراءة الكتب المعتمدة ومراجعتها ليتمكّن من الضبط الصحيح لمسائله وضوابطه.

٢١. أن لا يدع فناً من فنون العلم إلا وينظر فيه نظراً يطّلع به على غايته ومقصده وطريقته، فعلمه بغاية العلم يجعله على ثقة من أمره.

٢٢. مراعاة مراتب العلوم في القرب والبعد من المقصد، فلكلّ منها رتبة يجب رعايتها في التحصيل؛ إذ البعض طريق إلى البعض، ولكلٍّ علم حدّ لا يتعدّاه فعليه أن يعرفه فلا يتجاوز ذلك الحد فمثلاً: لا يقصد إقامة البراهين في النحو ولا يطلب، وأيضاً: لا يقصر عن حده كأن يقنع بالجدل في الهيئة، وأن يعرف أيضاً: أن ملاك الأمر في المعاني هو الذوق وإقامة البرهان عليه خارج عن الطوق وَمَن طلب البُرهان عليه أَتْعَبَ نفسَه.

٢٣. أن لا يخوض في فنٍّ حتى يستوفي الفنّ الذي قبله؛ فإن العلومَ مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق إلى بعض، والموفقُ مَن راعى ذلك الترتيب والتدريج؛ وليكن قصده في كلِّ علم يتحراه الترقيَ إلى ما هو فوقه[1].

٢٤. طلب تشحيذ الخاطر، وتحصيل ملكة المطالعة بالتحضير للدرس، وهذا أمر يغفل عنه كثيرٌ من الطلبة إذ لا بُدَّ أن يكون لديه تصور كامل عن المسائل قبل دراستها على الأستاذ، والأفضل أن يسعى لضبطها وفهمها والتمكّن منها قبل الدرس.

---

(١) ينظر: الإحياء ١: ٦٦.

٢٥. مراجعة درسه وضبطه وتمكينه في نفسه؛ فكما ينبغي على الطالب التحضير بالآلية السابقة، كذلك ينبغي عليه مراجعته وضبط مسائله والتأكد من فهمه الصحيح له، فإن استشكل شيئاً سأل عنه الأستاذ، فالتحضير والتيقظ والانتباه للدرس والمراجعة له هي الأطراف الثلاثة لِمَن أراد أن يستفيدَ من مجالس أستاذه ويتمكّن من العلم الذي يدرسه، قال الرياشي: قيل للأصمعي: ((كيف حفظت ونسي أصحابك؟ قال: درست وتركوا))[١].

٢٦. المذاكرةُ مع الأقران ومناظرتُهم؛ لما قيل: العلم غرس وماؤه درس لكن طلباً للثواب وإظهارا للصواب، وقيل : مطارحة ساعة خير من تكرار شهر، ولكن مع منصف سليم الطبع، وينبغي للطالب أن يكون متأمّلاً في جميع الأوقات في دقائق العلم، ويعتاد ذلك، فإنما تدرك بالتأمل، خصوصاً قبل الكلام فإنّه كالسهم فلا بُدّ من تقويمِهِ بالتأمّل أَوّلاً[٢].

٢٧. تدريس ما درَّسه، وتعليم ما تعلّمه، فتدريس العلم من أعظم الوسائل في ترسيخ العلم في نفس صاحبه، وتمكينها من ضبطه، وفيه إعانة على نفسه بالتحضير والإعداد لما سيلقيه على مَن يدرسهم، ولمكانة هذا المنهج، فإنه متبع في أكثر المدارس العريقة في تدريس العلوم عند علمائنا كما هو مشهور.

---

(١) ينظر: جامع بيان العلم ١: ١٠٣.

(٢) ينظر: الكشف١: ٤٨، والمفتاح١: ٣٤-٣٥.

٢٨.الإنفاق على التعلّم والكتب؛ فينبغي للطالب أن لا يبخلَ مطلقاً على شراء الكتب واقتنائها، ولا يعتمد في مطالعته على الاستعارة والمكتبات العامة، فإنه يقرأ الفائدة في الكتاب ويؤشر عليها إن كان في ملكه، ويستطيع أن يعودَ إليها ويراجعها كلّما احتاجها، في حين إن لم يكن الكتاب له فكيف يؤشر؟ ويصعب الرجوع إليه عند الحاجة والاستفادة منه عند الطلب، فكأنه لم يطالع ولم يخرج الفوائد والدرر(١).

٢٩.الاهتمام بمطالعة سير وأخبار العلماء السابقين؛ فإنها تنقل قارئها من عالمه إلى عالمهم، وتبثّ في نفسه الهمّة العالية والجدّ في السير على طريقهم، ومحاكاتهم في طلبهم ودراستهم وتدريسهم وسهرهم، فإن الإنسانَ يتأثّر بالعمل أكثر من الكلام، وهؤلاء القوم أحقّ مَن يقتدى بهم؛ لأنهم طليعة هذه الأمة ونقلة هذا الدين، وهم النموذج الحيّ لما كان عليه رسول الله ﷺ.

٣٠.تحقيق الكتب العلمية فيما تخصّص من علم؛ وذلك بجمع بعض مخطوطات كتاب في علم درسه وتعلّمه، وطباعته ومقابلة نسخه، وضبط ما يُشكل منه، وترقيمه وتقطيع فقراته، وتخريج أحاديثه، وعزو نصوصه إلى مظانها، والتعليق عليه بما تيسر خدمة له ولهذا العلم.

٣١.التخصّص بأحد علماء أهل السنة الكبار؛ بأن يعمل دراسة علمية وافية عن حياته العلمية الحافلة، ويجمع مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة، ويَنْكَبُّ على دراستها وطباعتها وتحقيقها وخدمتها فيما تيسر له من أوقات.

---

(١) ينظر: جامع بيان العلم ١: ١٠٣.

٣٢. **الاعتناء بالأبحاث العلمية الرصينة**؛ بأن يجمع كلّ ما قيل وذُكِرَ في مسألة علميّة ويحرّرها ويبيّنها ويفصّلها بما يزيل الغموض عنها، ويرفع الالتباس، وهذا يتطلّب منه مراجعة العديد من الكتب، والاطلاع على ما فيها من الاختلاف بين العلماء، والتمكّن من إخراج الدقائق من بطون المؤلّفات، وكلّ هذا يفتح أذهان الطالب، ويوسع صدره، ويصقل شخصيته العلمية بالموضوعية، ويخرج التعصّب من قلبه، ويزيد في مكانة العلماء في نفسه.

٣٣. **الاهتمام بدراسة وضبط ما يلزمه من التكنولوجيا العصرية**؛ لا سيما بالتعرّف على الكمبيوتر والبرامج التي تفيد مجاله وتخصّصه، وفي علم الشريعة عليه أن يعتني بضبط برنامج الورد، وإتقان الطباعة عليه؛ لكثرة حاجته لذلك، كما يتعرّف على كلّ الموسوعات والمكتبات الالكتروينة التي تصدر أولاً بأول لما فيها من العلم الكثير.

٣٤. **الزواج ممّن يطلب العلم ويرغب فيه**؛ إذ بكثرة التوافق والاهتمام بين الزوج والزوجة يسعد كلّ منهما بالآخر، فزواجُ طالب العلم من طالبة علم يعينه على مواصلة طريقه في الطلب؛ لعدم وجود مَن يصرفه عن ذلك، بل إن زوجته ستشجعه عليه إن تقاعسَ، وترفعُ من همّته، وتطالع المسائل معه، وتناقشه فيها، وبذلك تتوفّر له بيئة علمية رائقة في بيته وبين أولاده.

🙜🙜🙜

المراجع:

١. الأحاديث المختارة: لمحمد بن عبد الواحد المقدسي(٥٦٧-٦٤٣هـ)، تحقيق: عبد الملك عبد الله، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ.
٢. أحكام القرآن: لأحمد بن علي الرازي الجصاص (٣٠٥-٣٧٠هـ)، دار الفكر.
٣. إحياء علوم الدين: لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٤. الاختيار لتعليل المختار: لعبد الله بن محمود الموصلي (ت٦٨٣هـ)، تحقيق: زهير عثمان، دار الأرقم، بدون تاريخ طبع.
٥. أدب الدنيا والدين: لعلي بن محمد بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ)، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.
٦. الأذكار: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النَّوَوِيّ الشَّافِعِيّ(٦٣١-٦٧٦هـ)، تحقيق: يوسف بديوي، دار ابن كثير، ط١، ١٤٢١هـ.
٧. إرواء الظمآن في اختصار مناهل العرفان في علوم القرآن للرزقاني، للأستاذ الدكتور صلاح أبو الحاج، دار الفاروق، عمان، ط١، ٢٠١٩م.
٨. الأشباه والنظائر: لإبراهيم ابن نجيم المصري زين الدين (ت٩٧٠هـ)، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٣هـ، وأيضاً: طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٩. إعلاء السنن: لظفر أحمد العثماني التهانوي (١٣١٠-١٣٩٤هـ)، تحقيق: حازم القاضي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م.

١٠. إكفار الملحدين في ضروريات الدِّين: لمحمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (ت١٣٥٣هـ)، المجلس العلمي، باكستان، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.
١١. البحر الرائق شرح كَنْز الدقائق: لإبراهيم ابن نجيم المصري زين الدين (ت٩٧٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ طبع.
١٢. بداية الهداية: لمحمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، ت: د.محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٣ هـ.
١٣. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: لأبي بكر بن مسعود الكاساني (ت٥٨٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت. ط٢، ١٤٠٢هـ، وأيضاً: طبعة دار الكتب العلمية.
١٤. بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية: لأبي سعيد الخادمي، دار إحياء الكتب العربية.
١٥. البناية في شرح الهداية: لأبي محمد محمود بن أحمد العَيْنِي بدر الدين (٧٦٢-٨٥٥هـ)، دار الفكر، ط١، ١٩٨٠مـ.
١٦. تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمد مرتضى الزُّبَيْدِيّ (ت١٢٠٥هـ)، طبعة الكويت.
١٧. التبيان في آداب حملة القرآن: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النَّوَوِيّ الشَّافِعِيّ(٦٣١-٦٧٦هـ)، الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ.
١٨. تبيين الحقائق شرح كَنْز الدقائق: لعثمان بن علي الزيلعي فخر الدين (ت٧٤٣هـ)، المطبعة الأميرية، مصر، ط١، ١٣١٣هـ.
١٩. تحفة الملوك: لمحمد بن أبي بكر الرازي (ت٦٦٦هـ)، تحقيق: الدكتور صلاح أبو الحاج، دار الفاروق، عمان، ط١، ٢٠٠٦م.
٢٠. التحقيق في أحاديث الخلاف: لعبد الرحمن بن علي الجوزي (٥٠٨-٥٩٧هـ)، تحقيق: مسعد السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٢١. ترتيب العلوم: لمحمد بن أبي بكر المرعشي ساجقلي زاده (ت١١٤٥هـ)، تحقيق: محمد بن اسماعيل السيد أحمد، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٠٨هـ.
٢٢. الترغيب والترهيب: لعبد العظيم المنذري (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
٢٣. تسلية أهل المصائب: لمحمد بن محمد بن محمد، شمس الدين المنبجي (ت: ٧٨٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
٢٤. تفسير أبو السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٥. تكملة فتح الملهم بشرح صحيح الإمام مسلم: لمحمد تقي العثماني، مكتبة دار العلوم كراتشي، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٦. تنوير الأبصار وجامع البحار: لمحمد بن عبد الله الخطيب التُّمُرْتاشي الغَزِّي الحَنَفي (ت١٠٠٤هـ)، مطبعة الترقي بحارة الكفارة، ١٣٣٢هـ.
٢٧. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار: لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
٢٨. التيسير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، (ت١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ.
٢٩. جامع العلوم والحكم: لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
٣٠. الجوهر الكلي شرح عمدة المصلي: لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي الحنفي (ت١١٤٣هـ)، من مصورات مخطوطات مكتبتي عن دار صدام.

٣١. الجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري: لأبي بكر بن علي بن محمد الحَدَّادِيّ (٧٢٠-٨٠٠هـ)، المطبعة الخيرية، ط١، ١٣٢٢هـ.
٣٢. حاشية الشلبي على تبيين الحقائق: لأبي العباس أحمد بن يونس بن محمد الحنفي المعروف بـ(ابن الشلبي)(ت ٩٤٧هـ)، مطبوعة بهامش تبيين الحقائق، المطبعة الأميرية بمصر، ط١، ١٣١٣هـ.
٣٣. حاشية الطَّحْطَاوي على مراقي الفلاح: لأحمد بن محمد الطَّحْطَاوِيّ الحنفي (ت١٢٣١هـ)، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.
٣٤. حسن السمت في الصمت: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، ت: أحمد محمد سليمان، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٠م.
٣٥. الدر المختار شرح تنوير الأبصار: لمحمد بن علي بن محمد الحصكفي الحنفي (ت١٠٨٨هـ)، مطبوع في حاشية رَدّ المُحْتَار، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٦. درر الحكام شرح غرر الأحكام: لمحمد بن فرامُوز بن علي الحنفي المعروف بـ(مُلا خسرو)(ت٨٨٥هـ)، الشركة الصحفية العثمانية، ١٣١٠هـ، وأيضاً: طبعة در سعادت، ١٣٠٨هـ. وأيضاً: دار إحياء الكتب العربية
٣٧. الذريعة إلى مكارم الشريعة: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، ت: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام – القاهرة، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م.
٣٨. ذم الغيبة والنميمة لابن أبي الدنيا.
٣٩. ردّ المحتار على الدر المختار: لمحمد أمين بن عمر ابن عابدين الحنفي (١١٩٨-١٢٥٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٠. رسائل الإمام الغزالي: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، محققة مصححة بإشراف مكتب الدراسات، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.

٤١. الرسول المعلم وأساليب تعليمه ﷺ: لعبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات بحلب، ط١.

٤٢. روضة الطالبين وعمدة المفتين: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النَّوَوِيّ الشَّافِعِيّ (٦٣١-٦٧٦هـ)، ط٢، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٤٣. سند سعد بن أبي وقاص: لأحمد بن إبراهيم بن كثير الدَّوْرَقي (ت٢٤٦هـ)، ت: عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٤٤. سنن ابن ماجه: لمحمد بن يزيد بن ماجه القزويني (٢٠٧-٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٤٥. سنن أبي داود: لسليمان بن أشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

٤٦. سنن البَيْهَقِي الكبير: لأحمد بن الحسين بن علي البَيْهَقِي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

٤٧. سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى الترمذي (٢٠٩-٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٨. سنن الدارمي: لعبد الله بن عبد الرحمن أبي محمد الدارمي (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: فواز أحمد وخالد العلمي، ط١، ١٤٠٧هـ، دار التراث العربي، بيروت.

٤٩. السنن الصغرى: لأحمد بن حسين البيهقي(ت٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠هـ.

٥٠. سنن النَّسَائيّ الكبرىٰ: لأحمد بن شعيب النَّسَائِي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الغفار البنداوي وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٥١. شرح ابن ملك علىٰ التحفة: لمحمد بن عبد اللطيف ابن ملك الكِرْمَانِيّ توفي بعد (٨٠٦هـ).

٥٢. شرح السنة: لحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٥٣. شعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن الحسن البيهقي (٣٨٤-٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٥٤. صحيح ابن حبَّان بترتيب ابن بلبان: لمحمد بن حِبَّان التميمي (٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

٥٥. صحيح ابن خزيمة: لمحمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي (ت٣١١هـ)، تحقيق: الدكتور محمد مصطفىٰ الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ.

٥٦. صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البُخَارِيّ (١٩٤-٢٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفىٰ البغا، دار ابن كثير واليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٥٧. صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج القُشَيْرِيّ النَّيْسَابوريّ (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٨. طريقة محمدية: للبركوي، دار إحياء الكتب العربية.

٥٩. العناية علىٰ الهداية: لأكمل الدين محمد بن محمد الرومي البَابَرْتي (ت٧٨٦هـ)، بهامش فتح القدير للعاجز الفقير، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٠. الفتاوي الهندية: للشيخ نظام الدين البرهانفوري، والقاضي محمد حسين الجونفوري، والشيخ علي أكبر الحسيني، والشيخ حامد بن أبي الحامد الجونفوري، وغيرهم، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٣١٠هـ.

٦١. فتح القدير للعاجز الفقير على الهداية: لمحمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد السكندري السيواسي كمال الدين الشهير بـ(ابن الهمام)(٧٩٠-٨٦١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وأيضاً: طبعة دار الفكر.

٦٢. فتح باب العناية بشرح النقاية: لأبي الحسن علي بن سلطان محمد القاري الهروي (٩٣٠-١٠١٤هـ)، تحقيق: محمد نزار وهيثم نزار، دار الأرقم، ط١، ١٤١٨هـ.

٦٣. الفردوس بمأثور الخطاب: لشيرويه بن شهردار الديلمي (٤٤٥-٥٠٩)، تحقيق: سعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

٦٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل: لعلي بن حز الظاهري (ت٤٥٦هـ)، أوفست مطبعة المثنى، بغداد.

٦٥. الفوائد المكية فيما يحتاج طلبة الشافعية من المسائل والضوابط والقواعد الكلية: للسيد علوي بن محمد السقاف، طبعة مصطفى الحلبي.

٦٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير: لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

٦٧. القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط: لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي مجد الدين (ت٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٦٨. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد: لمحمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (ت: ٣٨٦هـ)، ت: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥ م.

٦٩. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث: لإسماعيل بن محمد العجلوني (ت١١٦٢هـ)، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.

٧٠. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لمصطفىٰ بن عبد الله القسطنطيني الحنفي (١٠١٧-١٠٦٧)، دار الفكر.

٧١. كشف العناء عن وصف الغناء: لمحمد شفيع العثماني، مطبوع ضمن أحكام القرآن، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، ط١، ١٤٠٧هـ.

٧٢. المجتبىٰ من السنن: لأبي عبد الله أحمد بن شعيب النسائي (٢١٥-٣٠٣)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٧٣. مجمع الأنهر شرح ملتقىٰ الأبحر: لعبدِ الرَّحمنِ بنِ محمد الرُّومي المعروف بـ(شيخِ زاده)(ت ١٠٧٨هـ)، دار الطباعة العامرة، ١٣١٦.

٧٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ، ودار الكتاب العربي، بيروت.

٧٥. مختار الصحاح: لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٦٦٦)، تحقيق: حمزة فتح الله، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ.

٧٦. مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر: لمحمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (ت٢٩٤هـ)، اختصرها: العلامة أحمد بن علي المقريزي، حديث أكادمي، فيصل اباد، باكستان، ط١، ١٤٠٨ هـ.

٧٧. المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ: لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ)، ت: د.محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.

٧٨. مراسيل أبي داود: لسليمان بن أشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٧٩. مساوئ الأخلاق ومذمومها: لمحمد بن جعفر الخرائطي السامري (ت٣٢٧هـ)، ت: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ط١، ١٤١٣ هـ.
٨٠. المستدرك على الصحيحين: لمحمد بن عبد الله الحاكم (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
٨١. مسند أبي عوانة: ليعقوب بن إسحاق الاسفرائيني أبي عوانة (ت٢١٦هـ)، تحقيق: أيمن بن عارف، دار المعرفة، بيروت، ط١.
٨٢. مسند أحمد بن حنبل: لأحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر.
٨٣. مسند إسحاق بن راهويه: لإسحاق بن إبراهيم الحنظلي (ت٢٣٨هـ)، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط١، ١٩٩٥م.
٨٤. مسند البَزَّار (البحر الزخار): لأبي بكر أحمد بن عمرو البَزَّار (٢١٥-٢٩٢هـ)، تحقيق: الدكتور محفوظ الرحمن، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.
٨٥. مسند الشاميين: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطَّبَرَاني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
٨٦. مسند الشهاب: لأبي عبد الله محمد بن سلامة القُضَاعي (ت٤٥٤هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.
٨٧. مشكل الآثار: لأحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت٣٢١هـ)، مجلس دائرة النظامية، الهند، حيدر آباد، ط١، ١٣٣٣هـ.
٨٨. المصنف في الأحاديث والآثار: لعبد الله بن محمد بن أبي شَيْبَةَ (١٥٩-٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال الحوت، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٨٩. المصنف: لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦-٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٩٠. المعجم الأوسط: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٩١. المعجم الأوسط: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٩٢. المعجم الكبير: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطَّبَرَاني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٩٣. معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام: لعلي بن خليل الطرابلسي الحنفي، (ت٨٤٤هـ)، دار الفكر.

٩٤. المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار: لعبد الرحمن بن الحسين العراقي زين الدين (ت٨٠٦هـ)، دار إحياء الكتب العربية، بهامش الإحياء.

٩٥. مفتاح السعادة ومصباح السيادة: لأحمد بن مصطفى طاشكبرى زاده (ت٩٦٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥.

٩٦. مناقب أبي حنيفة وصاحبيه: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذَّهَبِي شمس الدين (٦٧٣-٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ١٤١٦هـ.

٩٧. المنامات: لعبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٩٨. منحة الخالق على البحر الرائق: لمحمد أمين بن عمر ابن عابدين الحنفي (١١٩٨-١٢٥٢هـ)، ط٢، دار المعرفة.

٩٩. منحة السلوك في شرح تحفة الملوك: لأبي محمد محمود بن أحمد العَيْنِي بدر الدين (٧٦٢-٨٥٥هـ)، تحقيق: محمد فاروق البدري، بإشراف: د. محيي هلال السرحان، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ج٢، ١٤٢١هـ.

١٠٠. موارد الظمآن: لعلي بن أبي بكر الهيثمي (٧٣٥-٨٠٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠١. الموطأ: لمالك بن أنس الأصبحي (٩٣-١٧٩هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.

١٠٢. نفحات السلوك على تحفة الملوك للرازي(ت٦٦٦هـ)، للأستاذ الدكتور صلاح أبو الحاج، دار الفاروق، عمان، ط١، ٢٠٠٦م.

١٠٣. النكت في المسائل المختلف فيها لإبراهيم بن علي الشيرازي (ت٤٦٧هـ)، تحقيق: أنس ياسين المولي وآخرورن، رسائل ماجستير، جامعة بغداد، ١٤٢٠هـ.

١٠٤. الهداية شرح بداية المبتدي: لأبي الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني (ت٥٩٣هـ)، مطبعة مصطفى البابي، الطبعة الأخيرة، بدون تاريخ طبع.

فهرس الموضوعات:

❧ ❧ ❧